

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية
الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة

قسم اللغة العربية و آدابها

كلية الآداب و اللغات

فرع: اللغويات

نظام الفصل و الوصل بين البلاغة و النحو دراسة تطبيقية في سورة النور

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب:

طارق بولخصايم

تحت إشراف:

د. صالح خديش

أعضاء اللجنة المناقشة:

الدكتور:	جامعة	رئيساً	
الدكتور:	جامعة	مشرفاً و مقروناً	قسنطينة
الدكتور:	جامعة	عضواً مناقشاً	
الدكتور:	جامعة	عضواً مناقشاً	

السنة الجامعية 2006-2

مقدمة

إنّ المتنبّع للدراسات البلاغية عند العرب يخرج باقتناع مؤكد في أنّ ظاهرة الفصل و الوصل بين الجمل كانت من أكثر أركان علم المعاني احتقالا بها، و تركيزا على أهميتها و دقتها.

فقد نبّه معظم رجال البلاغة، و خصوصا عبد القاهر الجرجاني، على مكانتها و قيمتها العلمية في اللغة العربية. وقد بلغ من قوّة الأمر فيها أن جعلها بعضهم حدّا للبلاغة كلّها، لأنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الحمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك ذلك فيها، و ما يتبع ذلك من التّهدي إلى إيقاع حروف العطف في مواقعها سرّاً لطيف من أسرار البلاغة، لا يدركه إلا من أوتي فناً من المعرفة في ذوق الكلام.

وقد كانت هذه الإشارة من البلاغيين أحد الأسباب التي دفعتني إلى الخوض في هذا الموضوع، فضلاً عن أنني لم أجد - في حدود مطالعاتي كتابا تناول هذه الظاهرة مستقلة، و حاول أن يخرجها من بطون المصادر البلاغية و غيرها. يضاف إلى ذلك إيماني الراسخ في أنّ البلاغيين قد أفادوا في دراساتهم، و خصوصا في علم المعاني، من عمل النّحاة و جهودهم ممّا يستدعي بالضرورة أن تكون ظاهرة الفصل و الوصل من الموضوعات التي استفيد في تشكيل عناصرها، و بناء قواعدها على أبحاث النّحاة. وهو الأمر الذي دفعني إلى دراسة هذه الظاهرة عند كلّ من البلاغيين و النّحاة.

و إذا وقفنا عند جهود المحدثين فإننا نجد معظمهم، و خصوصا من تعرّض إلى مسائل البلاغة بأقسامها الثلاثة، قد تناول موضوع الفصل و الوصل كأبيّ آخر من أركان علم المعاني، مثلما فعل عبد العزيز عتيق في كتابه (في البلاغة العربية) ، و محمد مصطفى المراغي في كتابه (علوم البلاغة) و عبد العزيز عبد المعطي عرفة في كتابه (من بلاغة النّظم العربي) و أحمد الهاشمي في كتابه (جواهر البلاغة) و غيرهم.

و كان الشَّيخ أمين الخولي في كتابه (فنّ القول) قد همّ-كما يقول- أن يعيد النّظر فيما كتبه البلاغيّون عن الفصل و الوصل بين الجمل، إلا أنّه لم يفعل لأسباب معيّنة.
و هناك إشارة عبّاس محمود العقاد المقتضية إلى فكرة الفصل بين الجمل في كتابه (مراجعات في الآداب و الفنون)، ورده على من ادّعى أنّ ذلك خصيصة من خواص الأسلوب الافرنجي تطرّقت إلى لغتنا.

وقد اكتفى كثير من الدّراسين بالتّنبه على أهمّية فكرة الفصل و الوصل بين الجمل، والإشادة بجهود عبد القاهر الجرجانيّ في هذا المجال، كشوقي ضيف في كتابه (البلاغة تطوّر و تاريخ)، و بدوي طبانة في كتابه (في البيان العربيّ)، و أحمد بدوي في كتابه (عبد القاهر الجرجانيّ و جهوده في البلاغة العربيّة)، و أحمد مطلوب في رسالتيه (البلاغة عند السّكاكيّ) و (القزوينيّ و شروح التّليخيص) و جعفر دكّ الباب في كتابه (الموجز في شرح دلائل الإعجاز) و غيرهم.

و من هنا رأيت أن أتاول هذه الظّاهرة لأحاول أن أنظر في عمل البلاغيّين و النّحاة، و أبين جهد كلّ فريق. و سأقف في هذا البحث عند أوائل القرن العاشر الهجريّ، أي عند السيّوطيّ المتوقّى سنة 911هـ.

و أشير هنا إلى أنّه كان في نيّتي، في بداية الأمر، أن أبدأ بالحديث عن جهود النّحاة، وقد عنونت بحثي على هذا الأساس، إلا أنّني بعد الإلمام بعناصر هذه الظّاهرة، و الوقوف عليها عند كلّ فريق ظهر لي أنّها تأصّلت، و اكتسبت مكانتها عند البلاغيّين، ولذا عدلت عن عزمي الأوّل، ورأيت أن أبدأ بجهود البلاغيّين ليتسّى لي معرفة حدودها و أبعادها، و بالتّالي يسهل عليّ أن أحصر ما يقابلها، أو يضاف إليها عند النّحاة.

وقد قسّمت بحثي إلى مدخل و ثلاثة فصول، فأشرت في المدخل إلى علاقة علم المعاني بالنحو، ثمّ تتبّعت خطوات هذه الظّاهرة في مراحلها الأولى قبل الشَّيخ عبد القاهر الجرجانيّ. فبيّنت أنّ الجاحظ و أبا هلال العسكريّ و الباقلانيّ، و غيرهم من المهتمين بالجوانب الفنيّة، قد اكتفوا بالإشارة إلى أهمّية الفصل و الوصول دون محاولة منهم إلى بسط الحديث في هذا الموضوع، كما بيّنت أنّ بعض عناصرها كالسّؤال و الجواب، و التّفسير و البيان قد تتبّه إليها

النَّحاة كسيبويه و الأخفش و الفراء و غيرهم. و خلصت إلى أنّ هذه الظاهرة نمت و ترعرعت على أيدي البلاغيين، و خصوصا عبد القاهر الجرجانيّ.

و تناولت في الفصل الأوّل الظاهرة عند البلاغيّين. وقد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة عناصر. تناولت أوّلا مواضع الفصل بين الجمل مثلما حدّدها البلاغيّون ثمّ مواضع الوصل، و ختمت هذا الفصل بالحديث عن الجملة الحاليّة التي ألحقها البلاغيّون بهذه الظاهرة لكونها تأتي بالواو تارة، و بغير تارة أخرى.

و عرضت في الفصل الثّاني الظّاهر عند النّحاة، فتناولت أسلوب العطف مركزا على الأدوات و معانيها، و الجملة المفسّرة، و الجملة الاستئنافية، و الجملة الحاليّة. كما ألحقت بذلك ما اعتقدت أنّه من صميم الفصل و الوصل بين الجمل كالجملة الواقعة صفة، و أسلوب الشرط. أمّا الفصل الثالث فقد قسّمته إلى قسمين. و ازلت في القسم الأوّل بين عمل البلاغيّين و عمل النّحاة، فوضّحت أوّلا منهج كل فريق في الدّراسة، ثمّ ألمحت إلى إفادة البلاغيّين في بحثهم، و خصوصا في علم المعاني، من الدّراسات النحويّة، ثمّ عرضت جوانب التّمايز بين الفريقين، فبيّنت أنّ تناول النّحاة للظّاهرة لم يكن مقصودا، و إنّما جاء عرضا في حين أنّ تناول البلاغيّين لها كان مقصودا. و عرضت أخيرا إضافات البلاغيّين في هذا المجال، خصوصا في باب العطف.

و خصّصت القسم الثّاني للتّطبيق الذي حاولت من خلاله أن أرصد إلى أيّ مدى كان البلاغيّون و النّحاة ناجحين في إرساء قواعد هذه الظّاهرة. أمّا مصادر بحثي و مراجعه فكانت متنوّعة و غنيّة، ترواحت بين القديم و الحديث. و قد حاولت قدر إمكاني أن استخلص منها كلّ ما يفيد بحثي.

و بعد، لا يسعني إلا أن أشكر أستاذي الكريم الدّكتور صالح خديش الذي أشرف على هذا البحث، و كان طيلة إنجازي له نعم الموجّه، يسدي النّصح، و يرشد إلى الأحسن دائما، و يذلل الصعوبات و وعورة الطّريق.

و لله سبحانه و تعالى الحمد و الشّكر و المنّة على ما هدى و أعان، إنّهُ نعم المولى و نعم النّصر (إليه يصعد الكلم الطيّب و العمل الصالح يرفعه). " صدق الله العظيم".

المدخل

يعد علم المعاني أحد الأركان الأساسية التي تشكل بناء البلاغة العربية و عمودها. فإذا كان علم البيان يتتبع ورود المعنى الواحد في طرق مختلفة، و ذلك عن طريق الاستعارة و الكناية و غيرها" ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"⁽¹⁾، و إذا كان علم البديع يعتني بوجوه تحسين الكلام" بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"⁽²⁾، فإن علم المعاني يتخذ التركيب مجالاً لبخته. فهو يتناول بنية الجملة العربية و تشكيلها، و ما يعترئها من إثبات و نفي و استفهام، و فيما تقدمه وحداته مجتمعه من معنى، سواء كان ذلك عن طريق التقديم و التأخير، أو الفصل و الوصل، أو القصر، أو غيرها من الأساليب.

فعلم المعاني إذا يتناول صميم الأسلوب العربي و طرقه المختلفة في إيصال المراد إلى المتلقي، لأنه يتتبع" خواص تراكيب الكلام في الإفادة، و ما يتصل بها من الاستحسان و غيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.⁽³⁾

(1)-أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم 86، المطبعة الأدبية، مصر، ط1. و ينظر: جلال الدين القروي، الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح 151، مطبعة محمد علي صبيح، و ينظر: يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة و علوم و حقائق الإعجاز) 1: 11 مطبعة المقتطف، مصر 1914.

(2)-جلال الدين القروي، المصدر السابق 243، نبه الشيخ عبد القاهر على أنه ليس الغرض مما أعتدنا تسمية بالمحسنات اللفظية مجرد تحسين الكلام و تلوينه، و إنما لكل ذلك فضل في زيادة توضيح المعنى ينظر فصل (القول في التجنيس) من: أسرار البلاغة في علم البيان لعبد القاهر الجرجاني الصفحة 4 و ما بعدها، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت 1982.

(3)-ينظر: أبو يعقوب السكاكي، المصدر السابق 86 و يحيى بن حمزة العلوي، الطراز 1: 11. يقول طاش كبري زادة إن للتركيب خواص مناسبة لها يعرفها البلغاء" إما بسليقتهم، أو بممارسة علم البلاغة. و تلك الخواص بعضها ذوقية، و بعضها استحسانية، و بعضها توابع و لوازم، لها معاني الأصلية لكن لزوماً معتبراً في عرف البلغاء، و إلا لما أختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة، و كذا مقامات الكلام متفاوتة، كمقام الشكر و الشكايه و التهنة و التعزية و الجد و الهزل، و غير ذلك من المقامات، و كيفية تطبيق الخواص على المقامات تستفاد من علم المعاني. ينظر: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة، مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوع العلوم 1: 200، تحقيق: كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة-مطبعة الاستقلال، القاهرة.

و علم المعاني، في كل ذلك، يركز على معطيات النحو العربي و أحكامه و أصوله، فالشيخ عبد القاهر يجعل معاني النحو و قوانينه أساس نظريته في النظم، يقول: " و أعلم ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها... فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية و فضل إلا و أنت تجد مرجع تلك الصحة و ذلك الفساد و تلك المزية و ذلك الفضل إلى معاني النحو و أحكامه، و وجدته يدخل في أصل من أصوله، و يتصل بباب من أبوابه." (1)

و يرى ابن الأثير في مقدمة كتابه (المثل السائر) أن مفاتيح درس البلاغي هي النحو و التصريف و غيرها. (2)

فإذا كان علم النحو يبحث في أجزاء الجملة و أركانها متفرقة، و يعتني أكثر ما يعتني بالمفردات (3)؛ أي أن دراسته تحليلية أكثر منها تركيبية (4)، فإن علم المعاني يبحث في ترابط هذه الأجزاء و اتصالها، و فيما توحيه من معنى و هي مجتمعة. و من هنا يمكننا القول عن علم المعاني هو الخطوة المكتملة لعلم النحو، بمعنى أن العلمين يكمل أحدهما الآخر.

و ظاهرة الفصل و الوصل، باعتبارها إحدى مجالات علم المعاني، تكتسي أهمية بالغة في دراسات البلاغة، و قد نوه بأهميتها كثير من العلماء. و إذا حاولنا أن نتبع مراحل تطورها

(1) - عبد القاهر، الجرجاني. دلائل الإعجاز 62-63 و ينظر أيضا الصفحة 354، تحقيق: الدكتورين: محمد رضوان و فايز الداية، ط1 : 1983.

(2) ينظر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. 1: 9، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1939.

(3) ينظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم 41 و طاش كبري زادة، مفتاح السعادة 1: 144.

(4) ينظر: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها 16، دار الثقافة، الدار البيضاء.

ونموها وجب علينا أن نرصد ذلك عند فريقين من الدراسيين، يمثل الفريق الأولى المتكلمون و بعض ممن طغت على كتاباتهم الجوانب الأدبية و الفنية، و يمثل الفريق الثاني النحاة و اللغويون.

المتكلمون :

ساق الجاحظ، في معرض حديثه عن البلاغة عند الأمم، هذه العبارة المقتضبة" قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل و الوصل".⁽¹⁾، كما أننا وجدنا عنده نصين يشيران إلى أهمية الظاهرة. فقد روي أن رجلا من بني مجاشع قال إن الحسن جاءهم في دم كان فيهم، فخطب، فأجابه رجل فقال: قد تركت ذلك لله و لوجهكم، فقال الحسن: لا تقل هكذا، بل قل: لله ثم لوجهكم.⁽²⁾

و يروي الجاحظ أيضا أن الخليفة أبا بكر مر في السوق برجل معه ثوب، فقال أبو بكر: أتبيع الثوب؟ فقال الرجل : لا عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون. قل : لا و عافاك الله.⁽³⁾ و الحق أن الرجل أصاب في رده، لأن المقام مقام فصل، ذلك أن أصل العبارة: لا أبيع عافاك الله. فالجملة الأولى خبرية، و الثانية إنشائية، لأنها تضمنت الدعاء، و هذا مما يوجب الفصل، إلا أن البلاغيين جوزوا الوصل في هذه العبارة دفعا للإيهام.⁽⁴⁾

و قد أورد الجاحظ هذين النصين، و العبارة قبلهما، دون تعليق، حتى إنه لم يذكر أن فيهما فصلا أو وصلا.

(1) - أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين 1 : 88 تحقيق : عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة: 1968.
(2) و (3) ينظر: المصدر السابق 1 : 261.
(4) ينظر: جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة 190 ضبطة و شرحه الأديب: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر. و التفتازاني، مطول على التلخيص 201 المطبعة العثمانية، اسطنبول 1304.

أما ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) فلم يذكر شيئاً عن الظاهرة، باستثناء تناوله لبعض أدوات العطف و معانيها.⁽¹⁾

"و قد قسم أبو الحسن الرماني البلاغة إلى عشرة أقسام، و لم ترد عنده إشارة إلى هذا الأمر، يقول: و البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و التلاؤم و الفواصل و التجانس و التصريف و التضمين و المبالغة و حسن البيان"⁽²⁾، إلا أنه، هو الآخر ألف كتابين في النحو تناول فيهما بعض الأدوات و معانيها.⁽³⁾

أما أبو هلال العسكري، في كتابه (الصناعتين)، فقد أورد العديد من الأقوال و الشهادات التي تشير كلها إلى دقة هذا الموضوع و أهميته في اللغة العربية.⁽⁴⁾ و من ذلك أن الخليفة المأمون سأل أحداً عن البلاغة، فلما فرغ من كلامه رد المأمون قائلاً: "ما عدل سيفك عن الغرض، و لكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، و لا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، و لا يكره المعاني على إنزالها في غير منازلها، و لا يعتمد الغريب، الوحشي و لا الساقط السوقي، فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل و الوصل كانت كاللآليء بلا نظام."⁽⁵⁾ و قال أبو العباس السفاح لكتابه: "قف عند مقاطع الكلام و حدوده، و إياك أن تخلط المرعي بالمهمل، و حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل و الوصل."⁽⁶⁾

(1) - ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن 416-414 و 408-409، تحقيق: و شرح، أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية.

(2) - الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. قسم: النكت في إعجاز القرآن 70، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

(3) - له كتابان حول الأدوات؛ أحدهما منازل الحروف، و الثاني معاني الحروف.

(4) - اكتفى أبو هلال العسكري بالإشارة إلى أهمية هذا الموضوع دون أن يعالج بنوده، أو يبين مواطنه، و ختم حديثه عنه قائلاً: (و هذا باب لو اطلقت العنان فيه لطل و شغل الأوراق الكثيرة، و تصرم فيه الزمان الطويل). ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب

الصناعتين الكتابة و الشعر 473، ط

(5) - أبو هلال العسكري، المصدر السابق 349.

(6) - المصدر السابق 350.

و نقرأ في مواضع أخرى من كتاب الصناعتين أن يزيد بن معاوية كان يقول: "إياكم أن تجعلوا الفصل وصلاً؛ فإنه أشد و أعيب من اللحن".⁽¹⁾، و أن أكرم بن صيفي كان إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه: "أفصلوا بين كل منقوض معنى، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض".⁽²⁾، وكان الحرث بن أبي شمر الغساني يقول لكتابه المرقش: "إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه و بين تبيعته من الألفاظ، فإنك إذا مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن يمدق نفرت القلوب عن وعيها، و ملته الأسماع، و استثقلت الرواة".⁽³⁾

وروى أبو هلال أن المخبل هجا الزبرقان بن بدر فقال:

و أبوك كان ينتهس الحصى و أبي الجواد ربيعة بن قبال⁽⁴⁾

فقال الزبرقان: لا بأس، شيخان اشتركا في صنعه.⁽⁵⁾ فمجيء الواو العاطفة في أول الشطر الثاني عكس المعنى الذي كان المخبل يقصده، فلم يهج والد الزبرقان وحده، كما كان يريد، وإنما هجا والده هو أيضاً؛ لذلك استحسّن الزبرقان هجاءه.

و لم يذكر الخطابي في رسالته (بيان إعجاز القرآن) شيئاً عن المسألة.⁽⁶⁾ و هذا كل من الباقلائي في (إعجاز القرآن) و ابن رشيق في (العمدة) حذو الجاحظ؛ إذ اكتفيا بذكر التعريف الذي أورده للفارسي.⁽⁷⁾

(1) و (2) و (3) أبو هلال العسكري، الصناعتين، 351. و مذق: مزج.

(4) ينظر: المصدر السابق 353. و نهس اللحم: أخذه بمقدم أسنانه.

(5) ينظر: المصدر السابق 353.

(6) ينظر: الرماني ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. القسم الخاص بالخطابي: بيان إعجاز القرآن.

(7) يقول الباقلائي: "... و ذكر الجاحظ في كتاب البيان و التبيين أن الفارسي سئل فقيل له: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل و الوصل". ينظر: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن 193 تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف-مصر. و ورد عنده مصطلحا الفصل و الوصل عندما ذكر أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيننا في (الفصل و الوصل، و العلو و النزول، و التقريب و التباعد، و غير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم) ص: 56. و اكتفى ابن رشيق بتعريف الفارسي للبلاغة. ينظر: ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده 156 تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، طر 1955.

أما أبو الحسين بن وهيب الكاتب فقد تناول في كتابه (البرهان في جوه البيان) الظاهرة بشيء من الاختصار، ولم يورد سوى نماذج قرآنية قليلة، بالرغم من أنه ذكر أن هذا الفن في القرآن كثير. (1) فقد ذكر قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير، و ما أهل لغير الله به، و المنخنقة و الموقودة و المتردية و النطيحة، و ما أكل السبع إلا ما ذكيتم، و ما ذبح على النصب، و أن تستقسموا بالأزلام، ذلكم فسق. اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم و أخشون.) (2) ثم قال: "ثم قطع و أخذ في كلام آخر. (اليوم أكملت لكم دينكم، و أتممت عليكم نعمتي، و رضيت لكم الإسلام ديناً) (3) ثم رجع إلى الكلام الأول فقال: (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم، فإن الله غفور رحيم.) (4) (5). و يضيف ابن وهب قائلاً: "و من ذلك ما حكاه لقمان في وصيته لابنه إذ قال له (يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك نظم عظيم.) (6)، ثم قطع و أخذ في فن آخر، فقال: و وصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن.) (7) إلى قوله (فأنبئكم بما كنتم تعملون) (8) ثم رجع إلى تمام القول الأول في وصية لقمان (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير.) (9) (10)

و أما ابن سنان الخفاجي، معاصر عبد القاهر الجرجاني، فلم نجد عنده إشارة إلى الظاهرة التي نعالجها. (11)

(1) ينظر: أبو الحسن بن وهب، البرهان في جوه البيان 156، تحقيق: د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، العراق 1967م.

(2) و (3) و (4) المائدة: 3

(5) -أبو الحسن بن وهب، المصدر السابق 156-157.

(6) و (7) و (8) و (9) لقمان: 13-16

(10) -أبو الحسن بن وهب، المصدر السابق 127.

(11) ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح و أولاده القاهرة. 1953م.

النحاة و اللغويون :

لقد وجدنا في كتاب سيبويه إشارات كثيرة إلى ما يمكن أن ندخله ضمن نظام الفصل و الوصل. فقد علق على قول المهلهل :

و لقد خبطنا بيوت يشكر خبطه أخواننا و هم بنو الأعمام⁽¹⁾

علق قائلاً: " كأنه حين قال :خبطن بيوت يشكر قيل له:وما هم؟فقال : أخواننا و هم بنو الأعمام"⁽²⁾ كما أورد بيت الفرزدق:

ورثت أبي أخلاقه عاجل القرى و عبط المهاري، كومها و شوبوها⁽³⁾

و قال: " كأنه قيل: أي المهاري؟فقال : كومها و شوبوها."⁽⁴⁾ و تقرأ في موضع آخر من الكتاب: "... و ذلك قولك: إن زيدا منطلق العاقل اللبيب، يرتفع على وجهين: على الاسم المضممر في منطلق، كأنه بدل، فيصير كقولك: مررت به زيد إذا أردت جواب بمن مررت؟ فكأنه قيل له: من ينطلق؟فقال: زيد العاقل اللبيب."⁽⁵⁾

و قد وجدنا نماذج مشابهة لذلك عند الأخفش في (معاني القرآن)، إذ حين ذكر قوله تعالى (و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا، شياطين الإنس و الجن).⁽⁶⁾ علق قائلاً: "... و رفع على (هم شياطين) كأنه إذا رفع على (هم شياطين) كأنه إذا رفع قيل له، أو علم أنه يقال له : ما هم أو من هم؟ فقال : هم كذا و كذا.⁽⁷⁾ و قال في قوله تعالى (قل ألا أنبئكم بخير من ذلكم، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، و أزواج مطهرة).⁽⁸⁾ قال: "كأنه قيل لهم: ماذا لهم؟ و ما ذاك؟ فقيل : هو كذا و كذا."⁽⁹⁾

(1) و (2) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب 2 : 16 تحقيق: عبد السلام محمد هارون. عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت. الخطب: الضرب الشديد، و المراد بالبيوت القبائل.

(3) الفرزدق، الديوان 1: 66 جمعه و علق عليه : عبد الله اسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، ط 1 1936. و البيت في الديوان كميللي:

ورثت إلى أخلاقه عاجل القرى و ضرب عراقيب المتالي شوبوها.

(4) سيبويه، الكتاب 2 : 16.

(5) المصدر السابق 2 : 147.

(6) الأنعام 112

(7) سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش، معاني القرآن 1: 398 تحقيق : د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، ط 1 بيروت :

1985

(8) آل عمران 15:

(9) الأخفش، المصدر السابق 1 : 398.

و هذا الأسلوب هو ما سماه البلاغيون، فيما بعد، بالاستئناف، أي إن الجملة الأولى تتضمن سؤالاً غير ظاهر، فتكون الجملة الثانية جواباً له.⁽¹⁾

و قد ترددت مصطلحات (القطع) و (الابتداء) و (الاستئناف) بكثرة عند سيبويه و الفراء في (معاني القرآن) و الأخفش في (معاني القرآن) أيضاً، و أبي عبيدة في (مجاز القرآن). و نحن نورد نماذج من كتبهم، على سبيل التوضيح ليس إلا، لأننا سنتناول ذلك بالتفصيل، إن شاء الله، في الفصل الثاني عندما نعالج الظاهرة عند النحاة.

يقول سيبويه: "... و إن شئت جعلته صفة فجرى على الأول، و إن شئت قطعته فابتدأه، و ذلك قولك: الحمد لله هو، و الحمد لله أهل الحمد، و الملك لله أهل الملك، و لو ابتدأه فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا أبدى النواجد يوم باسل نكرُ
الخائض الغمر و الميمون طائره خليفة الله يستقي به المطر.⁽²⁾ (3)

و يقول في موضع آخر: " و قال عروة الصعاليك العبسي:

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب و زور⁽⁴⁾

و إنما شتمهن بشيء قد استقر عند المخاطبين، و قال النابغة:

لعمرى و ما عمرى علي بهين لقد نطقت بطلا على الأقارع
أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع⁽⁵⁾

(1) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 166، و أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف 1: 25 دار المعارف-بيروت، و القزويني، التلخيص 186.

(2) - الأخطل، الديوان 1: 197 و 199 تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الأصبعي، حلب و البيهتان في الديوان غير متلازمين مثلما روى سيبويه. و في الديوان: فهو فداء أمير المؤمنين إذا. و النواجد: أقصى الأضراس و الباسل: الكرية، و الذكر: الصلب. و الغمر: الماء الكثير، أراد به شدة الحرب.

(3) - سيبويه، الكتاب 2: 62.

(4) - عروة، الديوان 32، دار صادر-بيروت 1964. و في الديوان:

سقوني النسء ثم تكنفوني عداة الله من كذب و زور

النسء: الشراب القوي المزيل للعقل، و تكنفوني: أحاطوا بي.

(5) - النابغة الذبياني، الديوان 49-50، تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر. و في الديوان: وجوه كلاب بالضم. و جادع: خاصم و شاتم.

و زعم يونس أنك إن رفعت البيتين جميعا على الابتداء، تضرر في نفسك شيئا لو أظهرته لم يكن ما بعده إلا رفعا." (1)

و نقرأ عن مصطلح الاستئناف، و قد عبر عنه أحيانا بالانتفاف، كثيرا من النماذج. يقول الفراء: " و قوله (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) (2) رفعن و أسماؤهن في أول الكلام منصوبة؛ لأن الكلام تم و انقضت به آية، ثم استؤنف (صم بكم عمي) في آية أخرى، فكان أقوى للاستئناف. (3)

و نقرأ في مواضع آخر عند الفراء أيضا، " و قوله (إما يبلغن عندك الكبر). (4) فإنه ثني؛ لأن الوالدين قد ذكرا قبله، فصار الفعل على عددهما، ثم قال (أحدهما أو كلاهما) (5) على الانتفاف، كقوله (ثم عموا و صموا) (6) ثم استأنف فقال (كثير منهم) (7)، و كذلك قوله (لاهية قلوبهم، و أسروا النجوى) (8) ثم استأنف فقال (الذين ظلموا). (9) و قد قرأها ناس كثير (إما يبلغن عندك الكبر) جعلت (يبلغن) فعلا لأحدهما. (10)

و نقرأ عنده أيضا: " و قوله (هارون أخي) (11) إن شئت أوقعت اجعل على هارون أخي و جعلت الوزير فعلا له. و إن شئت جعلت هارون أخي مترجما عن الوزير فيكون نصبا للتكرير. و قد يجوز في (هارون) الرفع على الانتفاف، لأنه معرفة مفسرة لنكرة، كما قال الشاعر:

فإن لها جارين لن يغدرا بها ريب النبي و ابن خير الخلائق. (12)

(1) سيبويه، الكتاب 2 : 70-71.

(2) البقرة: 17-18 و سياق الآيات (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، و تركهم في ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمي لا يرجعون فهم لا يرجعون).

(3) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن 1: 16 تحقيق: محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي طر: 1980م.
(4) و (5) -الأسراء 23 و سياق الآية (و قضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه، و بالوالدين إحسانا. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أف، و لا تنهرهما، و قل لهما قولا كريما).

(6) -المائدة 71: و نص الآية (و حسبوا ألا تكون فتنة، فعموا و صموا، ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صموا، كثير منهم، و الله بصير بما تعملون).

(7) -المائدة 71: و نص الآية (و حسبوا ألا تكون فتنة فعموا و صموا، ثم تاب الله عليهم، ثم عموا كثير منهم، و الله بصير بما تعملون).

(8) و (9) -الأنبياء 3: و نص الآية (لاهية قلوبهم، و أسروا النجوى الذين ظلموا، هل هذا الا بشر متلكم، أفتأتون السحر، و أنتم تبصرون).

(10) -الفراء، معاني القرآن 2: 120.

(11) طه 30: و سياق الآية (و اجعل لي وزيرا امن أهلي، هارون أخي). (12) -الفراء، معاني القرآن 2: 178.

و نقرأ في نفس الباب عند أبي عبيدة" (و تركهم في ظلمات لا يبصرون)⁽¹⁾ ثم انقطع وجاء الاستئناف (صم بكم.)⁽²⁾ قال النابغة :

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام، و ذا العام سابع

ثم استأنف فرفع فقال:

رماد ككحل العين لأيا أبينه و نؤي كجذم الحوض أثلم خاشع⁽³⁾ " (4)

و نقرأ في موضع آخر عند أبي عبيدة أيضا: " (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا)⁽⁵⁾، أي من منا منا، ثم جاء (هذا ما وعد الرحمن، و صدق المرسلون)⁽⁶⁾ استئناف"⁽⁷⁾.

و هناك مصطلح آخر ورد أيضا عند الفريق و هو (التفسير)، و يقابل عند البلاغيين (التوضيح و البيان) و قد جعله هؤلاء قسما برأسه في الفصل بين الجمل. يقول الفراء: " و قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم، إنا دمرناهم)⁽⁸⁾ تقرأ بالكسر على الاستئناف مثل قوله (فلينظر الإنسان إلى طعامه، إنا صبينا الماء)⁽⁹⁾ يستأنف و هو يفسر ما قبله.⁽¹⁰⁾

(1) و(2)-البقرة: 17-18 مر سياق الآيات في الصفحة السابقة.
(3) - النابغة ، الديوان 43 و فيه : رماد ككحل العين ما إن تبينه. و النؤي: التراب، و جذم الحوض :باقية و أصله، و أثلم : متكسر، و خاشع :لا ط بالأرض ، اطمأن و ذهب شخوصه.
(4)- أبو عبيدة ، مجاز القرآن 1 : 32-33 ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة ، ط2 بيروت 1981م.
(5) و(6)- يس 52
(7)- أبو عبيدة، المصدر السابق 163.
(8)-النمل 51.
(9)-عبس : 24-25
(10)-الفراء، معاني القرآن 2 : 296.

و يقول في موضع آخر : "و قوله ههنا (و يذبحون).⁽¹⁾ و في موضع آخر (يذبحون)⁽²⁾ بغير واو، و في موضع آخر (يقتلون)⁽³⁾ بغير الواو. فمعنى أنهم يمسهم العذاب غير التدبيح كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح و بالذبح. و معنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب. و إذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملا في كلمة، ثم فسرتة فأجعله بغير الواو. و إذا كان أوله غير آخره فالواو. فمن الجمل قوله الله عز و جل (و من يفعل ذلك يلق أثاما)⁽⁴⁾ فالآثام فيه نية العذاب قليلة و كثيرة، ثم فسره بغير الواو فقال (يضاعف له العذاب يوم القيامة)⁽⁵⁾، و لو كان غير مجمل لم يكن به تفسير له، ألا ترى أنك تقول: عندي دابتان بغل و بردون، و لا يجوز : عندي دابتان و بغل و بردون، و أنت تزيد تفسير الدابتين بالبغل و البردون. ففي هذا كفاية عما نترك من ذلك فقس عليه.⁽⁶⁾ فالنص كما يبدو، صريح لا يحتاج إلى تعليق؛ إذ إن فيه إشارة واضحة إلى فكرة (التوضيح و البيان) عند البلاغيين.

و إذا تقدمنا قليلا في الزمن نجد أن الأنباري (المتوفي سنة 328 هـ) يخصص كتابا ضخما للوقف و الابتداء أسماء : (إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عز وجل) عرف في بدايته المواطن التي لا يصح الوقف عندها، و هي كثيرة جدا، نقتطف منها مايلي: " اعلم أنه لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، و لا على المنعوت دون النعت، و لا على الرفع دون المرفوع، و لا على المرفوع دون الرفع، و لا على الناصب دون المنسوب، و لا على المنسوب دون الناصب، و لا على المؤكد دون المؤكد، و لا على المنسوق دون ما نسقته عليه، و لا على (إن) و أخواتها دون اسمها، و لا على اسمها دون خبرها...⁽⁷⁾ ثم مثل لكل حالة

(1)-ابراهيم 6 : و نص الآية (و إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم؛ إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، و يذبحون أبناءكم، و يستحيون نساءكم.)

(2) البقرة 49 : و نص الآية (و إذ نجيناكم من آل فرعون، يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، و يستحيون نساءكم.)

(3)-الأعراف 141 : (و إذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، يقتلون أبناءكم، و يستحيون نساءكم.)

(4)-الفرقان 68.

(5)-الفرقان 69.

(6)-الفراء، معاني القرآن 2 : 68-69.

(7)-أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء 1 : 116 تحقيق : محي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق : 1971م.

بنموذج من القرآن الكريم، و ذكر أن الوقف لا يكون إلا مع تمام المعنى، و أن الابتداء، و هو الاستئناف، لا يكون إلا بعد انتهاء المعنى.⁽¹⁾ ثم ذكر أن الوقف على ثلاثة أوجه : وقف تام و وقف حسن ليس بتام، و وقف قبيح ليس بحسن و لا تام. و مثل لكل نوع بنموذج أو نموذجين من القرآن الكريم، و من ذلك قوله : فالوقف التام هو الذي يحسن الوقف عليه و الابتداء بما بعده، و لا يكون ما بعده ما يتعلق به كقول الله تعالى (أولئك على هدى من ربهم، و أولئك هم المفلحون).⁽²⁾ و يحسن الابتداء بقوله (إن اللذين كفروا)⁽³⁾ و وقف تام.

و كذلك (أم لم تنذرهم لا يؤمنون)⁽⁴⁾ و وقف تام.⁽⁵⁾ تم أخذ بعد ذلك في التطبيق فراح يبين مواضع الوقف و الابتداء في القرآن الحكيم، مع إظهار اختلافات العلماء و القراء في ذلك أحياناً، و كان يكتفي في أحيان كثيرة بالقول: هذا وقف تام، و هذا حسن، و ذلك قبيح، دون تعليق أو توضيح.⁽⁶⁾

* * *

نلمس من خلال هذا العرض لبوارد ظاهرة الفصل و الوصل، قبل الشيخ عبد القاهر، أن معالمها لم تكن واضحة و مضبوطة، وإنما كانت كالبدرة المغمورة التي تحتاج إلى عناية ورعاية لتنمو و ترى النور. و مع ذلك فإنها فتحت الأبواب واسعة أمام اجتهادات البلاغيين، و في مقدمتهم الشيخ عبد القاهر، فاستطاعوا، و قد وجدوا الطريق أمامهم ممهداً، أن يؤصلوا هذه الظاهرة، و يضعوا لها الحدود و القواعد، فأصبحت مرسومة الأبعاد ظاهرة الأقسام.

(1) ينظر: أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف و الابتداء، 2 : 961.
(2) البقرة 5-6 و سياق الآيات (الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين للذين يؤمنون بالغيب، و يقيمون الصلاة، و مما رزقناهم ينفقون، و الذين يؤمنون بما أنزل إليك، و ما أنزل من قبلك، و بالأخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم، و أولئك هم المفلحون. إن اللذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون).
(3) و (4) البقرة 6
(5) أبو بكر الأنباري، المصدر السابق 1 : 149-150.
(6) -و قد ألف أبو جعفر بن النحاس (المتوفي سنة 338 هـ) كتاباً شبيهاً بكتاب الأنباري أسماء (القطع و الإنتناف)، و لا يزال مخطوطاً، عالج فيه هو الآخر مواطن الوقف و الابتداء في القرآن الكريم، إلا أن كتابة هذا، كما ذكر محقق كتاب الأنباري، جاء أصغر حجماً، و أقل قيمة ينظر : مقدمة محقق كتاب : إيضاح القف و الابتداء 1 : 36.

ولعل فضل الشيخ كبير في هذا المجال؛ إذا إن معظم البلاغيين الذين عقبوه تأثروا بما كتب، و ساروا على هدى معالجته لهذا المبحث و غيره. فقد خصص له عبد القاهر فصلا طويلا في كتابه(دلائل الإعجاز) نبه فيه على أهمية الظاهرة، و ذقتها في اللغة العربية، يقول : " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل، من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها،و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، و مما لا يتأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص و الأقوام طبعوا على البلاغة،و أوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام. و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال:معرفة الفصل من الوصل؛ ذلك لغموضه و دقة مسلكه، و أنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة."⁽¹⁾

و يقول في موضع آخر: " و اعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض، و دقيق صعب إلا و علم هذا الباب أغمض و أخفى و أدق و أصعب. و قد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف: إن الكلام قد استوعف،و قطع عما قبله، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك، و لقد غفلوا غفلة شديدة."⁽²⁾

(1)-الجرجاني ، دلائل الإعجاز 156.

(2)-المصدر السابق 163.

أما عند أبي القاسم محمود عمر الزمخشري، فإن هذه الظاهرة أصبحت جزءاً من تطبيقاته في تفسيره: الكشاف. فقد نبه في مقدمة كتابه هذا على أنه سيعتمد خصوصاً على علمي المعاني و البيان، في تفسير القرآن الكريم، لما لهما من أثر في كشف أسرارِهِ و نكته و لطائفه. يقول: " ثم إن أماً العلوم بما يغمر القرائح، و أنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلف مسلكها، و مستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطية، و إجابة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن. فالفقيه و إن برز على الأقران في علم الفتاوي و الأحكام، و المتكلم و إن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، و حافظ القصص و الأخبار و إن كان من ابن القرية أحفظ، و الواعظ و إن كان من الحسن البصري أوعظ، و النحوي و إن كان أنحى من سيبويه، و اللغوي و إن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلك تلك الطرائق، و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، و هما علم المعاني و علم البيان، و تمهل في ارتيادهما آونة، و تعب في التنقير عنهما أزمنة، و بعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله، و حرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ.⁽¹⁾

و نحن نسوق هاهنا نماذج من تطبيقاته، و على سبيل التوضيح فقط لأن هذه التطبيقات ستكون جزءاً من دراستنا، في القسم الذي خصصناه للبلاغة. يقول عن الآيات الأولى من سورة البقرة⁽²⁾، " و محل (هدى للمتقين) الرفع؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف، أو خبر مع (لا ريب فيه)، لـ ذلك، أو مبتدأ إذا جعل الظرف مقدم خبر عنه، و يجوز أن ينصب على الحال و العامل فيه

(1) - الزمخشري، مقدمة الكشاف 1 : 3 .

(2) - البقرة : 1-2 و نص الآيات (الم ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين).

معنى الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا، و أن يقال إن قوله (ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و (ذلك الكتاب) جملة ثانية، و (لاريب فيه) ثالثة، و (هدى للمتقين) رابعة، و قد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة، و موجب حسن النظم؛ حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، و ذلك لمجيئها متأخية أخذاً بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتقة لها، و هلم جرا إلى الثالثة، والرابعة⁽¹⁾ و يقول عن آية الكرسي⁽²⁾ : " فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف، قلت: ما منها جملة إلا و هي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه. و البيان متحد بالمبين، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا و لحائها. فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق، و كونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، و الثانية لكونه مالكا لما يدبره، و الثالثة لكبرياء شأنه، و الرابعة لإحاطته بأحوال الخلق، و علمه بالمرتضي منهم المستوجب للشفاعة و غير المرتضي، و الخامسة لسعة عمله و تعلقه بالمعلومات كلها، أو لجلاله و عظم قدره.⁽³⁾

(1)-الزمخشري، الكشاف 1 : 21.
(2)-البقرة 255 و نص الآية (الله لا إله، إلا هو، الحي القيوم، لا تأخذه سنة و لا نوم، له ما في السموات و ما في الأرض. من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه. يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم، و لا يحيطون بشيء من عمله إلا بما شاء. وسع كرسيه السموات و الأرض و لا يؤوده حفظهما، و هو العلي العظيم.)
(3)-الزمخشري، المصدر السابق 1 : 154.

أما أبو يعقوب السكاكي فإنه يترسم خطوات الشيخ عبد القاهر، فينوه هو الآخر بدقة هذا الموضوع و لطافته، إذ إن إدراك خباياه، و كشف أسراره لا يتأتي إلا بإمعان النظر، و طول التأمل. ثم يقرر أن تمييز مواطن الفصل و الوصل يعد "محك البلاغة، و منتقد البصيرة، و مضمار النظار، و متافضل الأنظار، و معيار قدر الفهم، و مسبار غور الخاطر، و منجم صوابه و خطائه، و معجم جلائه و صدائه، و هي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدر المعلى، و أن لك في إيداع وشيها اليد الطولى".⁽¹⁾

و من هنا فهو يؤكد أن هذا المبحث يحتاج إلى "تقرير واف و تحرير شاف"⁽²⁾، و يعد هذا الركن إحدى العقبات التي لا يمكن تجاوزها إلا بعد اجتياز كافة عقبات البلاغة.

أما من جاءوا بعد هؤلاء الثلاثة فإنهم كانوا مقتدين و مقتفين للأثر لا أكثر؛ لأنهم، في معظمهم، تأثروا بما كتب الشيخ في دلائل الإعجاز.⁽³⁾

و من هنا يمكننا القول إن ظاهرة الفصل و الوصل نمت و ترعرعت على أيدي البلاغيين، فأصبحت ركنا مهما من أركان علم المعاني.

(1) و (2) السكاكي، مفتاح العلوم 134.

(3) ينظر : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. 260 تحقيق: د. خديجة الحديثي و د. أحمد مطلوب مطبعة العاني ط1، بغداد 1974م. و العلوي حمزة بن يحيى، الطراز 2 : 33. لقد ذهب جل البلاغيين إلى أن هذه الظاهرة تكتسي أهمية كبرى، و أنها ذات مسالك صعبة، و لطائف دقيقة، و لذا جعلها بعضهم حدا للبلاغة فقصرها على معرفة هذا الفن. و قد استدرك القزويني الأمر وهنا فقال " و ما قصرها عليه لأن الأمر كذلك، و إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه، و أن أحدا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها." الإيضاح 109.

الفصل الأول

الفصل و الوصل عند البلاغيين

إن الجمل في اللغة العربية تتوالى أحيانا منثورة، تستأنف واحدة في إثر الأخرى، دون حاجة إلى رابط. و تأتي في أحيان أخرى متناسقة، موصولا بعضها ببعض، تارة بالواو، و تارة بالفاء، و أخرى بثم و غيرها من حروف النسق.⁽¹⁾ وقد شغل هذا الأمر البلاغيين، فحاولوا أن يتبينوا مواطن الفصل و الوصل بين الجمل، و يحددوا مواقعها. و بعد أن تم لهم ذلك جعلوا هذا الموضوع قسما مهما من علم المعاني.

و لعل من المفيد أولا أن نتطرق إلى معنى الفصل و الوصل لغة و اصطلاحا. فقد جاء في الصحاح: "الفصل: واحد الفصول، و فصل الناحية أي خرج، و فصلت الرضيع عن أمه فصلا وافتصلته إذا فطمته. و الفاصلة التي في الحديث (من انفق نفقة فاصلة فله في الأجر كذا)⁽²⁾ فتفسيره في الحديث أنها التي فصلت بين كفره و إيمانه. و الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. و عقد مفصل: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة."⁽³⁾ و جاء في لسان العرب مايلي: "فصل: الليث: الفصل بون ما بين الشئيين. و الفصل من الجسد، موضع المفصل. ابن سيدة: الفصل: الحاجز بين الشئيين، فصل بينهما فصلا فانفصل، و فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع. و الفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام. و الفصل: القضاء بين الحق و الباطل، و قوله عز و جل (هذا يوم الفصل)⁽⁴⁾ أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن و المسيء و يجازي كل بعمله، و بما يتفضل الله على عبده المسلم."⁽⁵⁾

(1) - قد توصل الجمل بعضها ببعض بأدوات أخرى غير حروف النسق، مثلما سنرى في الفصل الثاني حين نعرض للظاهرة عند النحاة.

(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. تنظيم و ترتيب: أ.ي. و سنك و ي.ب منسج 6 : 516 مطبعة بريل، ليدن: 1967م. و فيه: فاصلة بدل فاصلة.

(3) - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح 5. 1790-1791 تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار الكتاب العربي بمصر.

(4) - الصافات 21 : و المراسلات : 38.

(5) - أبو الفضل بن منظور، لسان العرب 11 : 521، دار صادر-بيروت 1956م.

أما مادة(وصل) ف جاء، في الصحاح، بشأنها مايلي: " وصلت الشيء وصلا وصلة. و وصل إليه وصولا أي بلغ، و وصل بمعنى اتصل. و الوصل: وصل الثوب و الخف و التواصل ضد التصارم. (1) و جاء في اللسان مايلي: " وصل: وصلت الشيء وصلا وصلة و الوصل: ضد الهجران. ابن سيدة: الوصل خلاف الفصل. وصل الشيء وصلا وصلة و صلة. و اتصل الشيء بالشيء: لم يتقطع. و ليلة الوصل: آخر ليلة من الشهر لاتصالها بالشهر الآخر. (2)

و الفصل اصطلاحا معناه أن نفصل بين جملتين، و يكون ذلك بترك العاطف (3) أما الوصل فهو أن يصل بين جملتين بأحد حروف النسق. (4) و لا يخفى ما بين هذه المعاني من ترابط وصلة؛ إذا لا نشك أن هذه المعاني الاصطلاحية قد اكتسبت مدلولها من خلال ما توحى به تلك المعاني اللغوية.

لقد أجمل الشيخ عبد القاهر مواضع الفصل و الوصل في ختام حديثه عن هذا الباب فقال: " و إذ قد عرفت هذه الأصول و القوانين في شأن فصل الجمل و وصلها، فأعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب:
-جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، و التأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف ألبتة، لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.

(1) - الجوهري، الصحاح، 05 : 1842.

(2) - ابن منظور، لسان العرب 11 : 726-729.

(3) - ينظر : الجرجاني، دلائل الإعجاز 156 و السكاكي، مفتاح العلوم 134 و القزويني التلخيص 175 و التفتازاني مطول على التلخيص 190.

(4) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 156 و السكاكي، المصدر السابق 134 و القزويني، المصدر السابق 175.

- و جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، و يدخل معه في حكم و يدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلاً الاسمين فاعلاً، أو مفعولاً أو مضافاً إليه، فيكون حقها العطف.

- و جملة ليست في شيء من الحاليين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه، و لا مشاركاً له في معنى، بل هو الشيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، و يكون ذكر الذي قبله، و ترك الذكر سواء في حاله؛ لعدم التعلق بينه و بينه رأساً. و حق هذا ترك العطف ألبتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية، و العطف لما هو واسطة بين الأمرين، و كان له حال بين الحاليين فاعرفه.⁽¹⁾

و قد تلقف البلاغيون، بعد الشيخ عبد القاهر، هذه الخلاصة و راحو يفصلون الحديث عنها. فحددوا ، على ضوئها، مواضع الفصل و الوصل في اللغة العربية، و وضعوا لكل ذلك حدوداً و مجالات مضبوطة. و سنتولى، إن شاء الله، توضيح ذلك على هذي ما كتبوه.

مواضع الفصل بين الجمل

اعتنى البلاغيون بالفصل بين الجمل، و ركزوا عليه كثيراً اهتمامهم، و لم نجد منهم من أشار إلى الفصل بين المفردات باستثناء الزملكاني الذي استهل به دراسته عن الفصل و الوصل، و حمزة العلوي الذي كان تابعاً له و متأثراً بما كتب، و قد صرح هو نفسه بذلك في مقدمة كتابه الطراز. كما أنه أورد نفس النماذج و الأمثلة التي استشهد بها الزملكاني.⁽²⁾

(1) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 170-171.

(2) ينظر : ابن الزملكاني ، التبيان في علم البيان المطلاع على إعجاز القرآن 129 تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي مطبعة العاني، ط1-بغداد 1964. و مقدمة كتاب الطراز 1 : 4.

و قد حدد البلاغيون مواطن الفصل بين الجمل كما يأتي :

القطع :

يقول عبد القاهر الجرجاني : " و مما هو أصل في هذا الباب أنك ترى الجملة و حالها مع التي قبلها حال ما يعطف و يقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها فصارت به أجنبية مما قبلها.(1)

1-القطع للوجوب :ومن ذلك أن يكون للجملة الأولى حكم، و لم يقصد إعطاؤه للجملة الثانية.(2) و هو ما سماه أبو يعقوب السكاكي بالقطع للوجوب.(3) و مثاله قوله تعالى (و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنما نحن مستهزئون. الله يستهزيء بهم)(4) إنا إذا تأملنا هذه الآية نجد أن جملة (إنا معكم) لها محل من الإعراب.(5) فهي في محل نصب مفعول به لـ (قالوا)، أما جملة (الله يستهزيء بهم) فليست كذلك، لأنها ليست من مقول المنافقين، و إنما هي إخبار من الله عنهم و لذا فصلت عنها، و لو عطف عليها لفسد المعنى لاختلاف حكمها؛ لأن العطف يوجب لها أن تشاركها في حكمها فتكون مثلها مفعولا به لـ (قالوا)، و هي في الواقع ليست كذلك. و إذا كان بذلك "كان العطف ممتنعا، لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم، و إلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤخذون، و أن الله تعالى يعاقبهم عليه"(6) و هذا بعكس قوله تعالى (يخادعون الله، و هو خادعهم)(7) ،

(1)-الجرجاني، دلائل الإعجاز 163.

(2) ينظر : القزويني ، التلخيص 179 و الإيضاح 110.

(3) ينظر:السكاكي، مفتاح العلوم 142 والقزويني، الإيضاح 115.

(4) -البقرة 15.

(5) - يقول النفتازاني : " إنما قلنا (إنا معكم) دون (إنما نحن مستهزئون)، لأن هذه الجملة بيان لقوله (إنا معكم). " مطول على

التلخيص 191.

(6)-الجرجاني : المصدر السابق 163. و يرى القزويني أنه يجوز عطف الجملة الثانية على الأولى بحرف نسق غير الواو، كالفاء

و ثم و غيرها. ينظر الإيضاح 110.

(7)-النساء : 142.

و(مكروا، و مكر الله)⁽¹⁾ لأن الأول من الكلام في الآتين كالثاني في أنه خبر من الله تعالى، و ليس بحكاية.⁽²⁾ يقول الزمخشري:

"فإن قلت: كيف ابتدئ قوله (الله يستهزيء بهم)، و لم يعطف على الكلام قلبه، قلت: هو استئناف في غاية الجزالة و الفخامة، ؛ و فيه أن الله عز و جل هو الذي يستهزيء بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزأؤهم إليه باستهزاء، و لا يؤبه في مقابلته؛ لما ينزل بهم من النكال و يحل بهم من الهوان و الذل، و فيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين، و لا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله."⁽³⁾ و قد يعن لسائل أن يقول: ماذا لو عطف قوله (الله يستهزيء بهم) على قوله(قالوا)؟ فنقول: إن تلك الجملة لم تعطف على هذه؛ لئلا ينسحب عليها حكمها، و حتى لا تشاركها في الاختصاص بالظرف المقدم، و هو قوله(و إذا خلوا إلى شياطينهم): ذلك أن استهزاء الله بهم مستمر، غير منقطع، سواء خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا، قالوا تلك المقالة أم لم يقولها.⁽⁴⁾

و مما فصل لعدم اشتراكه في حكم سابق قوله تعالى (و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون، و لكن لا يشعرون)⁽⁵⁾، فجملة (إنما نحن مصلحون) في محل نصب مفعول به، أما جملة (ألا إنهم هم المفسدون) فليست كذلك؛ لأنها ليست من مقولهم، بل هي إخبار من الله عز و جل عنهم بأنهم مفسدون؛ لذا فصلت عن سابقتها. و لو عطف عليها للزم مشاركتها في حكمها، و لصار ذلك "خييرا من اليهود، و وصفا منهم لأنفسهم بأنهم

(1) - آل عمران : 54.

(2) -الجرجاني، دلائل الإعجاز : 163.

(3) -الزمخشري،الكشاف 1 : 35.

(4) -الجرجاني،المصدر السابق 165 و السكاكي،مفتاح العلوم 142 و ينظر : بدر الدين ابن عبد الله محمد بن جمال محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي المعروف بابن الناظم،المصباح في علم المعاني و البيان و البديع 28، المطبعة الخيرية، طر : 1302هـ.

(5) -البقرة : 11-12.

مفسدون؛ و لصار كأنه قيل: قالوا إنما نحن مصلحون، و قالوا إنهم هم المفسدون، و ذلك مما لا يشك في فساده"⁽¹⁾، و كذلك يكون الشأن لو افترض أحدهم عطفها على قوله(قالوا)، إذ تشاركها في حكم يفسد به المعنى.

2- **القطع احتياطا** :و هو أن يقطع الجملة الثانية احتياطا⁽²⁾ ، أي دفعا للتوهم و الالتباس. و ذلك نحو قول الشاعر :

و تظن سلمى أنني أبغي بها بدلا،أراها في الضلال تهيم⁽³⁾

فقد فصل قوله (أراها) عما قبله حتى لا يتوهم السامع أن العطف واقع على (أبغي) دون (تظن)،فتصبح جملة (أراها) لذلك من مظنونات سلمى، و ليس مراد الشاعر كذلك. و من هنا فصلت الجملتان احتياطا و دفعا للبس الذي قد ينتاب السامع.⁽⁴⁾ و مما فصل احتياطا أيضا قول الشاعر :

زعمتم أن إخوانكم قريش لهم إلف، و ليس لكم إلف⁽⁵⁾

زعم السكاكي أن الشاعر لم يعطف جملة(لهم إلف) على ما قبلها،خيفة أن يظن العطف على(أن إخوانكم قريش) فيفسد معنى البيت، و يضيع قصد الشاعر⁽⁶⁾؛لأن العطف يوحي أن جملة (لهم إلف) من زعم هؤلاء الذين أدعوا أخوة قريش،و المراد ليس كذلك،لأن الشاعر ينفي عنهم هذه الأخوة، و يفندها بقوله: لقريش إلف، و ليس لكم إلف فكيف تدعون أنكم إخوان لهم—م.

(1)- الجرجاني،دلائل الإعجاز 164.

(2) و (3) ينظر السكاكي،مفتاح العلوم 141 و القزويني، الإيضاح 115.

(4) ينظر : السكاكي، المصدر السابق 142. ذكر السكاكي أن الفصل في البيت يمكن أن يكون على سبيل الاستئناف. كأن قائلا قال له: فما قولك في ظنها،فقال : إراها في الضلال تهيم. و يرى التفتازاني أن الجملة (أراها في الضلال تهيم) يحتمل أن تكون تأكيدا أوبيانا لما قبلها. ينظر: التفتازاني،مطول على التلخيص.201

(5) و (6) ينظر : السكاكي، المصدر السابق 142.

الإستئناف :

إن الحالة الثانية المقتضية للفصل بين الجمل، هي أن تكون الجملة الثانية بمثابة جواب لسؤال تضمنته الجملة الأولى.⁽¹⁾ و تنزيل السؤال " بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة، إما لتنبية السامع على موقعه، أو لإغناؤه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء أولئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ."⁽²⁾، فحذف السؤال ضرب من التأليف. " لطيف المأخذ عجيب المغزى، و لا تجد بابا من أبواب الحذوف أحسن مأخذا منه ولا أطرف خبرا"⁽³⁾، ذلك أن العلاقة بين السؤال و الجواب وثيقة لا تحتاج إلى رابط. و قد سمي البلاغيون الفصل هنا استئنافا⁽⁴⁾، و هو ما سموه أيضا بشبه كمال الاتصال.⁽⁵⁾

1- السؤال و الجواب : من ذلك قول الشاعر :

زعم العواذل أنني في غمره صدقوا، و لكن غمرتي لا تتجلى⁽⁶⁾

يقول الشيخ عبد القاهر: " لما حكي عن العواذل أنهم قالوا: هو في غمرة، و كان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك، و ما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له، و صار كأنه قال: أقول صدقوا أنا كما قالوا، و لكن لا مطمع لهم في فلاح، و لو قال : زعم العواذل أنني في غمرة، و صدقوا لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسؤول، و أن كلامه كلام مجيب."⁽⁷⁾

و مثله قول الشاعر⁽⁸⁾

زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت، و أجمت
كذب العواذل لورأين مناخنا بالقادسية قلن لج و ذلت

(1) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 166 و الزمخشري، الكشاف 1 : 25 و القزويني، التلخيص 186.

(2) - السكاكي، مفتاح العلوم 137.

(3) - ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام و المنثور 137. تحقيق د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد. مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956.

(4) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 165 و الزمخشري، الكشاف 1 : 24 و السكاكي، المصدر السابق 136 و الزمكاني، التبيين في علم البيان 132.

(5) - ينظر: القزويني، التلخيص 186 و التفتازاني، مطول على التلخيص 199.

(6) و (7) الجرجاني، المصدر السابق 166 و الغمرة : الشدة.

(8) - المرزوقي، في الحماسة 1 : 307-308 - تحقيق : أحمد أمين و عبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف و النشر ط: 1951م. ورد البيتان بلا نسبة. و الخبت : المتسع من بطون الأرض ج أخبات و خبوت، و أجمت : استراحت، و لج: أسرع في السير.

إن الشاعر، لما أحس أن كلامه مما يحرك السامع لأن يسأل: و ماذا تقول في زعمهم، أجاب كذب العواذل، ففصل كلامه عما سبقه، ليقع جوابا لهذا السؤال الذي اقتضاه الحال.⁽¹⁾ و في إعادة ذكر (العواذل) ظاهرا غير مضمرة قوة و بيان، بحيث جعل جملة (كذب العواذل) غير محتاجة لما قبلها حتى كأن ليس قبلها كلام. فكان الاستئناف أظهر و أبين.⁽²⁾ و من ذلك أيضا قول اليزيدي.⁽³⁾

ملكته حبلي، و لكنـه ألقاه من زهد على غاربي
و قال إني في الهوى كاذب أنتقم الله من الكـ، اذب

جعل الشاعر كلامه (انتقم الله من الكاذب) جوابا لسؤال سائل: فما تقول فيما اتهمت به من الكذب.⁽⁴⁾

و منه أيضا قول الشاعر :

قال لي كيف انت قلت عليل سهر دائم، و حزن طويل⁽⁵⁾

وقع في ظن الشاعر أن أحدا يسأله: ما بك و ما علتك؟ فرد : سهر دائم و حزن طويل، و ذلك جوابا" عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال.⁽⁶⁾ و قد أشار جلال الدين القزويني إلى أن السؤال هنا عن سبب الحكم مطلقا.⁽⁷⁾ و ذلك أن "العادة أنه إذا قيل: فلان عليل أن يسأل عن سبب علته و موجب مرضه، لا أن يقال: هل سبب علته كذا و كذا، لاسيما السهر و الحزن فإنه قل ما يقال : هل سبب مرضه السهر و الحزن، لأنهما أبعد أسباب المرض، فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون الخاص، و عدم التأكيد فيه أيضا مشعر بذلك."⁽⁸⁾

(1) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 143.

(2) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 166 و الزملكاني، التبيين في علم البيان 142 و القزويني، الإيضاح 116.

(3) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 167 و القزويني، المصدر السابق 112، و الغارب: الكاهل، و يقال : حبلك على غاربك: أي اذهبي حيث شئت.

(4) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 167. جعل السكاكي الفصل ههنا من باب (كمال الانقطاع) و ذلك عندما تختلف الجملتان خيرا و إنشاء ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 146.

(5) و (6) الجرجاني، المصدر السابق 168.

(7) - ينظر: القزويني، التلخيص 187 و الإيضاح 116.

(8) - التفاضل، مطول على التلخيص 199-200.

وسلوك هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثير⁽¹⁾، حتى أنه يفوق الحصر. و من ذلك قوله تعالى (و ما أبريء، نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)⁽²⁾ كأنه قيل: هل النفس أمارة بالسوء، فقيل: إن النفس لأمارة بالسوء. و قد ذهب القزويني إلى أن السؤال في الآية عن حكم خاص، أي عن سبب بعينه. و هذا الضرب يتطلب تأكيد الحكم بخلاف السؤال عن مطلق الحكم.⁽³⁾

و مما جرى مجرى السؤال و الجواب في الذكر الحكيم قوله جل شأنه (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم، و على سمعهم).⁽⁴⁾ فجملة (ختم الله على قلوبهم و على سمعهم) وردت جوابا لسؤال تضمنته الجملة السابقة، لأن حالة من كان الإنذار عنده أو عدمه سواء، مما يحرك السامع أن يسأل: ما بال هؤلاء يستوي عندهم الإنذار وعدمه، فأجيب بما أجيب، و فصلت الجملة عن سابقتها.

و جعل الزمخشري قو له تعالى (علم أن سيكون منكم مرضي، و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، و آخرون يقاتلون في سبيل الله)⁽⁵⁾ استئنافا على تقدير السؤال عن وجه النسخ.⁽⁶⁾ فكان قائلا قال لم تاب علينا؟ فقيل: علم أن سيكون منكم...؛ و لذا فصلت العبارة عن سابقتها، و جملة (فأقرأوا ما تيسر من القرآن) اعتراضية.

(1) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 144 و ابن الناظم، المصباح 29 و شمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية الفوائد: المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان 169. مطبعة السعادة ط 1 : 1327.

(2) - يوسف : 53.

(3) - ينظر: القزويني، التلخيص 187 و الإيضاح 116.

(4) - البقرة : 6-7.

(5) - المزمّل : 20 و سياق الآية (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه، و طائفة من الذين معك، و الله يقدر الليل و النهار. علم أن لا تحصوه فتأب عليكم، فقرأوا ما تيسر من القرآن الكريم. علم أن سيكون منكم مرضي، و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله)

(6) - ينظر: الزمخشري، الكشاف 4 : 155.

2- لفظ(قال) في القرآن الكريم :يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: " أعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ(قال) مفعولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه،و الله أعلم،أعني مثل قوله تعالى(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين،إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما،قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين،فقربه إليهم قال ألا تأكلون،فأوجس منهم خفية،قالوا لا تخف)⁽¹⁾ جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال،فلما كان في العرف و العادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا،أن يقولوا :فما قال هو ؟ و يقول المجيب:قال كذا،أخرج الكلام ذلك المخرج؛ لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه،وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه، وكذلك قوله (قال ألا تأكلون)،و ذلك أن قوله(فجاء بعجل سمين فقربه إليهم) يقتضي أن يتبع هذا الفعل بقول،فكأنه قيل و الله أعلم:فما قال حين وضع الطعام بين أيديهم؟فأتي قوله(قال ألا تأكلون)جوابا عن ذلك. و كذا(قالوا لا تخف)؛لأن قوله(فأوجس منهم خيفة) يقتضي أن يكون من الملائكة كلام في تأنيسه و تسكينيه مما خامره، فكأنه قيل فما قالوا حين رأوه و قد تغير و دخلته الخيفة؟فقيل:قالوا لا تخف. و ذلك، و الله أعلم،المعنى في جميع ما يجيء منه."⁽²⁾ و قد تبع كل البلاغيين عند القاهر الجرجاني في هذا الرأي.⁽³⁾

و مما هو واضح بين في هذا المجال قوله عز و جل(قال فرعون و ما رب العالمين، قال رب السموات و الأرض و ما بينهما، إن كنتم موقنين،قال لمن حوله ألا تستمعون،قال ربكم رب آبائكم الأولين،قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون،قال رب المشرق و المغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون، قال لئن اتخذت إله غيري لأجعلنك من المسجونين،قال أولو جنتك بشيء مبين،قال فأت به إن كنت من الصادقين،فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين،و نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين،قال للملا حوله إن هذا لساحر عليم.)⁽⁴⁾ فالحوار،كما هو واضح بين فرعون،لعنه الله، و موسى عليه السلام، و قد جاء على شكل سؤال و جواب،لذا وردت الجملة منثورة مستأنفة.

(1) -الذاريات : 24-28 .

(2) -الجرجاني، دلائل الإعجاز 169.

(3) - ينظر:السكاكي،مفتاح العلوم 144 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 143 و العلوي حمزة بن يحيى،الطراز 2 :50.

(4) -الشعراء : 23-34 .

وذكر حمزة العلوي أن الذي يرد من لفظه(قال) مجردا من حرف العطف فهو على تقدير السؤال، مثلما بينا آنفا. و أما الذي يرد متصلا به حرف العطف،فهو يأتي على إثر جملة يكون معطوفا عليها.(1) و ذكر من ذلك قوله تعالى(هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلو عليه فقالوا سلاما)(2) فالقول ههنا معطوف على الدخول. و مثله قوله تعالى(و قالت اليهود ليست النصارى على شيء، و قالت النصارى ليست اليهود على شيء.) (3) فالمقام هنا لا يوحى بالسؤال والجواب؛لأن الغرض هو الجمع بين ما قالت اليهود، و ما قالت النصارى. و من هنا عطفت الجملتان.

فورود حرف العطف مع لفظ(قال) يأتي لغرض معين و إفادة معنى ما،أما الاستغناء عنه فيكون أيضا لغرض معين، و هو تقدير السؤال و الجواب.

3-مسائل تتعلق بالاستئناف : هناك مسائل تتعلق بالاستئناف نذكرها كمايلي :

أ-ورود السؤال صريحا : يرد السؤال أحيانا صريحا غير مضمّر، و الغالب في السؤال إذا كان ظاهرا أن لا يذكر الفعل في الجواب، و يقتصر على الاسم وحده.(4) و قد ذهب بعضهم إلى أن السؤال إذا كان مذكورا فالفصل فيه وجهان: وجه الجواب و السؤال الذي نحن بصدده، و وجه آخر هو كمال الانقطاع، و الذي تفصل فيه الجملتان بسبب الخبر و الإنشاء؛ لأن السؤال إنشاء و جوابه خبر.(5)

و مما يدخل ضمن ذلك قوله تعالى(هل أنبئكم على من تنزل الملائكة،تنزل على كل أفك أقيم.) (6) فجملة (تنزل على كل أفك أقيم) جواب لقوله(هل أنبئكم على من تنزل الملائكة) و لذا فصلت

(1)- ينظر : العلوي حمزة بن يحيى،الطراز 2 : 50-51

(2)-الزريات : 24-25.

(3)- البقرة : 113.

(4)- ينظر:الجرجاني، دلائل الإعجاز 168 و الزملكاني،التبيان في علم البيان 143 و البرهان الكاشف 281.

(5)-ينظر:عز الدين التنوخي،تهذيب الإيضاح 261 مطبعة الجامعة السورية 1948.

(6)-الشعراء : 221-222.

عنها. و مثله قوله تعالى (يسألونك ماذا أحل لهم، قل أحل لكم الطيبات، و ما علمتم من الجوارح مكلبين، تعلمونهن مما علمكم الله.)⁽¹⁾

ب- إعادة المستأنف عنه: يأتي الاستئناف أحيانا بإعادة اسم ما استؤنف عنه الحديث، مثل قولنا: قد أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بذلك. و يأتي في أحيان أخرى بإعادة صفة دون اسمه، فيكون المسند إليه في الجملة الإستئنافية عندئذ من صفات من قصد استئناف الحديث عنه. مثال ذلك قولنا: أحسنت إلى زيد، صديقك القديم أهل لذلك.⁽²⁾ و يعد البلاغيون الاستئناف الذي يأتي بإعادة الصفة أحسن و أبلغ؛ لأنه السبب و العلة.⁽³⁾ و ليس يجري هذا- أي إعادة الاسم أو الصفة- في سائر صور الاستئناف. فمنه ما يعاد فيه الاسم أو الصفة، و منه ما يكون استئنافا على شكل جواب دون إعادة اسمه أو صفته.⁽⁴⁾

فما أعيد فيه اسم ما استؤنف عنه الحديث قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم، و أولئك هم المفلحون.)⁽⁵⁾ فقد وردت هذه الجملة على شكل استئناف مفصولة عما قبلها؛ لأن قوله تعالى (الم ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون، و الذين يؤمنون بما أنزل إليك، و ما أنزل من قبلك، و بالآخرة هم يوقنون.)⁽⁶⁾ مما يحرك السامع أن يسأل: و ما للمتصفيين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى؟ فأجيب:

(1)- المائة : 4.

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف 1 : 44 و ابن الأثير، الجامع الكبير 137-138 و القرويني، الإيضاح 117 و التفتازاني، مطول على التلخيص 200 و العلوي حمزة بن يحيى، الطراز 2 : 93.

(3) ينظر: الزمخشري، المصدر السابق 1 : 44 و ابن الأثير، المصدر السابق 138.

(4) ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق 138 و العلوي حمزة بن يحيى، الطراز 2 : 95 و التفتازاني، المصدر السابق 201.

(5) و (6) البقرة : 1-4.

إن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى و الفلاح.⁽¹⁾ فالذين اختصوا بالهدى و الفلاح هم أنفسهم المنقون. و مما أعيد فيه صفة ما استؤنف الحديث عنه قوله تعالى (الم ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة، و مما رزقناهم ينفقون، و الذين يؤمنون بما أنزل إليك من قبلك و بالآخرة هم يوقنون.)⁽²⁾ فقوله (هدى للمتقين) مما يحرك السامع أن يقول من هم المخصوصون بذلك؟ أي الذين يعد الكتاب هدى لهم؟ فوقع قوله (الذين يؤمنون بالغيب...) كالجواب، و جيء بصفات المتقين، و هي الإيمان بالغيب، و إقام الصلاة و الزكاة و الإيمان بما أنزل الله و بالآخرة.⁽³⁾

ج- حذف صدر الاستئناف: يحذف أحيانا صدر الاستئناف لقيام فرينة مقامه. و ذلك كقوله (يسبح له فيها بالغدو و الأصال رجال)⁽⁴⁾ في من قرأ (يسبح) بالبناء للمفعول.⁽⁵⁾ و كأن سائلا قال من يسبح له فقيل: يسبح له رجال، أو هم رجال. فحذف بذلك صدر الاستئناف.

و يحذف أحيانا الاستئناف كله، و فيه أمران حسب ما ذكر البلاغيون.⁽⁶⁾ فإما أن يقام ما يدل عليه مقامه، كقوله الشاعر: زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف، و ليس لكم إلف⁽⁷⁾ فقد حذف الجواب الذي هو (كذبتهم في زعمكم)؛ لأنه لما قال: زعمتم أن إخوتكم قريش، كان ذلك مما يحرك السامع أن يسأل: و ماذا تقول في هذا الزعم؟ فحذف الجواب الذي ذكرناه قبلا، و جعل قوله (لهم إلف، و ليس لكم إلف) بديلا له، و دالا عليه. و يجوز أن يكون قوله (لهم إلف، و ليس لكم إلف) جوابا اقتضاه الجواب المحذوف، كأنه لما قال: كذبتهم كان ذلك مما يحرك السامع

(1)- ينظر: الزمخشري، الكشاف 1 : 44 و ابن الأثير، الجامع الكبير 138.

(2)- البقرة : 1-4.

(3)- ينظر: الزمخشري، المصدر السابق 4 : 43 و ابن الأثير، المصدر السابق 138.

(4)-النور : 36.

(5)-إن القراءة للحسن و عاصم و أبي بكر ينظر: أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقوف و الابتداء 2 : 798 و ذكر الفراء عاصما فقط.

ينظر: معاني القرآن 2 : 253.

(6)- ينظر: القزويني، التلخيص 190 و الإيضاح 117-118 و التفتازاني، مطول على التلخيص 201.

(7)- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 142.

أن يسأل ثانية: لم كذبوا؟ فرد الشاعر بقوله: لهم إلف، و ليس لكم إلف⁽¹⁾ و يجوز أن يكون جملة (لهم إلف) بيانا أو تأكيدا للجوب المحذوف⁽²⁾. و إما أن يحذف دون أن يقوم شيء مقامه كقوله تعالى (إنا وجدناه صابرا، نعم العبد، إنه أواب)⁽³⁾، و العبد هو أيوب -عليه السلام- دل عليه ما قبل هذه الآية في قوله (و اذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه).⁽⁴⁾ فإذا اعتبرنا أن المخصوص بالمدح خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هو، كان الاستئناف كله قد حذف، و لم يبق ما يقوم مقامه.

كمال الاتصال:

إن الحالة الثالثة التي تقتضي الفصل بين الجمل هي ما سماه الشيخ عبد القاهر: الاتصال للغاية.⁽⁵⁾ و سماه البلاغيون بعده: كمال الاتصال.⁽⁶⁾

يقول عبد القاهر الجرجاني: "أعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله، و رابط يربطه، و ذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالمصوف إلى شيء، و كالتأكيد الذي لا يفتر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد، كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، و تستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، و هي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها و مبينة لها، و كانت إذا حصلت لم تكن شيئا سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف و التأكيد غير المؤكد. فإذا قلت: جاءني زيد الظريف، و جاءني القوم كلهم، و لم يكن (الظريف) و (كلهم) غير زيد، و غير القوم."⁽⁷⁾ و قد أورد الشيخ عبد القاهر جملة من النماذج بين من خلالها غرضه، و قد لاحظنا أنه لم يفصل الأمر بوضوح.

(1) - ينظر: القزويني، الإيضاح 117.

(2) - ينظر: التفناني، مطول على التلخيص 201.

(3) - ص: 44.

(4) - ص: 41.

(5) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 171.

(6) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 136 و ابن الناظم، المصباح 28 و القزويني، التلخيص 180 و التفناني، المصدر السابق 180.

(7) - الجرجاني، المصدر السابق 159-160.

فمصطلحات التوكيد و البيان و التحقيق وردت عنده بنفس المعنى، يقول: " و مثال ما هو في الجمل كذلك قوله تعالى(الم ذلك الكتاب لا ريب فيه)⁽¹⁾ قوله (لا ريب فيه) بيان و توكيد و تحقيق لقوله (ذلك الكتاب)، و زيادة تثبيت له بمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبته، و ليس تثبيت الخبر غير الخبر"⁽²⁾، ثم ذكر بعد ذلك عدة نماذج بين فيها أن الجمل الثانية تأكيد للأولى، و اعتبرها-أي الجمل المؤكدة- أبلغ و أكد في المعنى.⁽³⁾ و اقترن عنده التأكيد بالتثبيت و بغض النظر عن حسن تحليله، و قوة إقناعه فيما يقول فإن هذا القسم عنده ظل يحتاج إلى شيء من التفصيل و التمييز، و هو الأمر الذي فطن له البلاغيون بعده، فراحوا يفصلون الكلام فيه، معتمدين على ما كتبه في (الدلائل) حتى إنهم اعتمدوا على نفس الشواهد الواردة عنده، و طعموها بنماذج أخرى من القرآن و الشعر. و قد خرجوا من ذلك إلى أن الجمل التي تدخل ضمن ما سموه بكمال الاتصال تكون على ثلاثة أقسام. فمنها ما يكون بياناً و أيضاً منها ما يكون توكيداً و تقريراً، و منها ما يكون بدلاً.⁽⁴⁾

1-البيان و الإيضاح : إن الحالة المقترضية للإيضاح و البيان، هي أن تكون الجملة الأولى على شيء من الخفاء و الإبهام، و المقام يتطلب إزالة ذلك، فتأتي الجملة الثانية لتزيله⁽⁵⁾ و من ذلك قوله تعالى (فوسوس إليه الشيطان، قال هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى)⁽⁶⁾ فقد فصلت جملة (قال) عن جملة(وسوس) لكونها تفسيراً و توضيحاً لها لأننا إذا تأملنا الجملة الأولى لشعرنا

(1)-البقرة : 1-2

(2)-الجرجاني، دلائل الإعجاز 160.

(3)-ينظر:المصدر السابق ، الصفحات 160 و 161 و 162

(4)- ينظر: السكاكي،مفتاح العلوم 137 و القزويني، الإيضاح 112 و الزملكاني،التبيان في علم البيان 140-141 والتفتزاني،مطول على التلخيص 195. لم يرد عند عبد القاهر الجرجاني مصطلح الإيضاح، و لم يشر إلى الجملة التي تكون بدلاً.

(5) ينظر السكاكي،مفتاح العلوم 137 و ابن الناظم،المصباح 30 و الفزويني،التلخيص 185،وردت مصطلحات:الإيضاح و التفسير و التبيين عند السكاكي بنفس المعنى ينظر مفتاح العلوم 145،وبنفس المعنى،ووردت عند القزويني أيضاً.ينظر الإيضاح 114،أما في كتابه التلخيص فلم يرد سوى مصطلح البيان، و ذكر التفتزاني البيان و الإيضاح و التبيين. ينظر : مطول على التلخيص 197،وورد عند العلوي مصطلحا الإيضاح و البيان. العلوي حمزة،الطراز 2 : 46

(6)-طه : 120.

أننا في حاجة إلى معرفة هذه الوسوسة، فتأتي الجملة الثانية لتوضح لنا الأمر، و تبين لنا فحوى تلك الوسوسة. و من ذلك (و إذا أنجنيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم).⁽⁷⁾ فجملة (يذبحون) و ما بعدها بيان للعذاب الذي كان آل فرعون يسومونه لقوم موسى عليه السلام؛ و لأجل ذلك فصلت الجملتان.⁽⁸⁾ و من ذلك (والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها و مرعاها)⁽⁹⁾ أي إن الله عز و جل بسطاها " و مدها للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكنها في تسوية أمر المأكل و المشرب و إمكان القرار عليها و السكون بإخراج الماء و المرعى " ⁽¹⁰⁾ و لذا فصلت جملة (أخرج منها ماءها و مرعاها)، عما سبقها.

و لعل السر في الاستغناء عن الرابط في هذه الجمل هو اتحاد البيان بالمبين و لذلك لا يحتاجان إلى وسيط بينهما.⁽⁵⁾

2- التأكيد و التقرير: تكون الجملة الثانية في هذه الحالة تأكيدا للأولى، و تثبيتا لها، و زيادة في تقريرها.⁽⁶⁾ و يكون المقتضي لتأكيد الكلام دفع توهم التجوز و الغلط.⁽⁷⁾ و مما هو من الجمل كذلك قوله تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه)⁽⁸⁾ فقوله (لا ريب فيه) بيان و توكيد" و تحقيق لقوله: ذلك الكتاب، و زيادة تثبيت له و بمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبيته، و ليس تثبيت الخبر غير الخبر.⁽⁹⁾

(1) -البقرة : 49.

(2) قال تعالى (و إذ قال موسى لقومه أذكروا نعمة الله عليكم، إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب، و يذبحون أبناءكم و يستحيون نساءكم) إبراهيم: 06 فالمقام هنا مقام تفسير، و مع ذلك ورد العاطف، و السر في ذلك أن التذييل في هذه الآية زيادة على جنس العذاب حتى كأنه جنس آخر، و هو تنبيه على استقلال كل جملة و مغايرتها لها. ينظر : الزمخشري، الكشاف 2 : 294 و الزمخشري، التبيان في علم البيان 282 و التفزازاني، مطول على التلخيص 198.

(3) -النازعات : 30-35.

(4) -الزمخشري، الكشاف 4 : 183.

(5) - ينظر : المصدر السابق 1 : 154.

(6) - ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز 160 و السكاكي، مفتاح العلوم 145 و التفزازاني، مطول على التلخيص 195.

(7) - ينظر: القزويني، التلخيص 180 و الإيضاح 112.

(8) -البقرة : 1-2.

(9) -الجرجاني، المصدر السابق 160.

نفهم من كلام عبد القاهر أن جملة (لا ريب فيه) من قبيل التوكيد اللفظي، فقله (و ليس تثبيت الخبر غير الخبر) يوحي بذلك، أما السكاكي- و بعده القزويني و غيره- فقد رأى أن قوله (لا ريب فيه) شبيه بـ (نفسه) في قولنا : جاءني الأمير نفسه؛ ذلك أنه بالغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال، بجعل المبتدأ (ذلك)، وتعريف الخبر بالألف واللام⁽¹⁾، أصبح معنى قوله (ذلك الكتاب) أنه كتاب الكامل، و كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً.⁽²⁾ فكان ذلك مما يوهم السامع قبل التبصر و التأمل أن هذا مما يرمى به جزافاً و اعتباطاً من غير تحقيق، فأتبعه (لا ريب فيه) نفياً لذلك و إزالة للمظنة والشك⁽³⁾؛ لأن قولنا (نفسه) ورد على سبيل دفع توهم من يظن أن الذي جاء ليس الأمير، و إنما خبره أرسوله أو أي نائب عنه.⁽⁴⁾ و شبهه السكاكي أيضاً بالحال المؤكدة في قولنا: هو الحق بينا.⁽⁵⁾

و مما ورد على سبيل التوكيد قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم و على سمعهم، و على أبصارهم غشاوة، و لهم عذاب عظيم)⁽⁶⁾، فقله (لا يؤمنون) تأكيد لقوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)، و قوله (ختم الله على قلوبهم و على سمعهم) تأكيد ثان أبلغ من الأول؛ لأن من كان "حاله إذا أنذر مثل حالة إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، و كان مطبوعاً على قلبه لا محالة"⁽⁷⁾، فالجمل كلها بنفس المعنى تقريباً، فأكد بعضها زيادة في التقرير و التثبيت.

(1)- إن تعريف المسند إليه بالإشارة يدل على كمال العناية بتمييزه، و تعريف المسند باللام يفيد الانحصار حقيقة نحو: الله، الواجب أو مبالغة نحو، حاتم الجواد ينظر التفناني، مطول على التلخيص 195.

(2) ينظر : الزمخشري، الكشاف 1 : 33.

(3) ينظر السكاكي، مفتاح العلوم 145 و ابن الناظم، المصباح 30 و القزويني، التلخيص 182.

(4) ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل: 2 : 206 شرح محمد محي الدين عبد الحميد. طر و ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب في معرفة كلام العرب 431 شرح: محمد محي الدين عبد الحميد.

(5) ينظر: السكاكي، المصدر السابق 145.

(6) البقرة : 6-7.

(7) -الجرجاني، دلائل الإعجاز 160 و ينظر الزمخشري، المصدر السابق 1 : 26 و السكاكي، المصدر السابق 145.

و افتراض القزويني ههنا أن التوكيد من قبيل اللفظي صحيح⁽¹⁾؛ لأن المعنى واحد في هذه الجمل المتتابعة. و منه قوله تعالى (و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين، يخادعون الله و الذين آمنوا)⁽²⁾، فالمخادعة ليست شيئا غير "قولهم (آمنا) من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذا كلام أكد به كلام آخر هو في معناه، و ليس شيئا سواه."⁽³⁾

و من ذلك أيضا قوله (و إذا تتلى عليه آياتنا و لى مستكبرا، كان لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ).⁽⁴⁾ إن المقصود من التشبيه بمن" في أذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلا أن الثاني أبلغ و أكد في الذي أريد"⁽⁵⁾ و من أجل ذلك فصلت جملة (كأن في أذنيه وقرأ) عن جملة (كأن لم يسمعها)؛ لأنها تأكيد لها و زيادة في تقريرها أو تثبيتها. و قد اعتبر القزويني التوكيد ههنا من قبيل التوكيد المعنوي، لأن الجملتين مختلفتا المعنى، و الثانية مقررة لما أفادته الأولى.⁽⁶⁾

و من ذلك (ما هذا بشرا، إن هذا إلامك كريم)⁽⁷⁾، فقد فصلت جملة (إن هذا إلامك كريم) عن قوله (ما هذا بشرا)؛ لأنها تأكيد و تحقيق لها. فالجملة الأولى (ما هذا بشرا) نفت عن الموصوف جنس البشرية. و جملة (إن هذا إلامك كريم) أكدت ذلك النفي بأن أثبتت له جنسا آخر. ثم إنه من العادة إذا قيل: ما هذا بشرا، و ما هو بآدمي و الحال" حال تعظيم و تعجب

(1) ينظر: القزويني، الإيضاح، 113.

(2) البقرة: 8-9.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز 160-161. اعتبر الزمخشري، و بعده السكاكي، جملة (يخادعون) من قبيل البيان و التوضيح. ينظر: الكشف 1: 31 و مفتاح العلوم 145. و جوز الزمخشري أيضا أن تكون (يخادعون) مستأنفة، كأنه قيل: "و لم يدعون الإيمان و ما رفقهم في ذلك؟ فقيل: (يخادعون)" الكشف 1: 31. و لست أرجح أن تكون جملة (يخادعون) مفسرة، لأن قوله (و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين) ليس فيه ما يخفى حتى يحتاج إلى تفسير و بيان.

(4) لقمان: 7.

(5) الجرجاني: المصدر السابق 161 و ينظر: السكاكي، المصدر السابق 146 و ابن قيم الجوزية، الفوائد 186 و يرى الزمخشري أن جملة (كأن لم يسمعها) حال من (مستكبرا)، و جملة (كأن في أذنيه وقرأ) حال من (كأن لم يسمعها). و هذا لا يمنع أن تكون الثانية مؤكدة للأولى و تحتمل جملة (كأن في أذنيه وقرأ) عنده الاستئناف. الكشف 3: 210-211.

(6) ينظر: القزويني، الإيضاح، 112.

(7) يوسف: 31.

مما يشاهد في الإنسان من حسن خلق، أو خلق أن يكون الغرض و المراد أن يقال إنه ملك، و أن يكنى به ذلك حتى إنه يكون مفهوم اللفظ، و إذا كان مفهوما من اللفظ قبل أن يذكر تأكيدا؛ لأن حد التأكيد أن تحقق بلفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك.⁽¹⁾ و يحتمل أن تكون جملة (إن هذا إلا ملك كريم) تفسيرا و إيضاحا للجملة قلبها؛ ذلك أن قولنا (ما هذا بشرا) يجعل السامع في حيرة من أمره، فينشد الشرح و التبيين فتكون الجملة الثانية هي المزيلة لتلك الحيرة، و لذلك الإبهام الذي يكتنف الجملة الأولى.⁽²⁾ و من ههنا وجدنا القزويني يضع هذا الشاهد ضمن قسم : البيان و الإيضاح، ثم يقول إنها تحتمل التأكيد.⁽³⁾

3- الإبدال : إن الحالة المقتضية للإبدال بين الجمل هي أن تكون الجملة الثانية بدلا من الجملة التي تسبقها. و يكون المقتضي للإبدال أن يأتي "الكلام السابق غير واف بالمراد و إيراده، أو كغير الوافي، و المقام مقام اعتناء بشأنه، إما لكونه مطلوباً في نفسه، أو لكونه غريباً أو فظيحا أو عجباً أو لطيفاً، أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه. فيعيد المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد إلى المراد، ليظهر بمجموع القصدين إليه في الأول و الثاني، أعني في المبدل منه و البديل مزيد الاعتناء بالشأن."⁽⁴⁾ فالغرض من الإبدال هو الزيادة في الاعتناء بالمقام؛ لأن الجملة الأولى قد يكون فيها نوع من قصور، أو عدم تبيين للقصد و المراد، فتأتي الجملة الثانية لتزيل ذلك القصور، و تفي بالمراد أكثر من الأولى، و لأجل ذلك تفصلان؛ لما بين البديل و المبدل منه من علاقة و صلة تغني عن الرابط.

(1)- الجرجاني، دلائل الإعجاز 162 و ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 146 و العلوي حمزة، الطراز 2 : 46.

(2) ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 162 و ابن قيم الجوزية، الفوائد 186.

(3) ينظر: القزويني، الإيضاح 114.

(4)- السكاكي، المصدر السابق 137. لم يذكر عبد القاهر الجرجاني هذا النوع. من الجمل ضمن القسم الذي خصه للفصل و الوصل بين الجمل في كتابه دلائل الإعجاز. فأضافه البلاغيون بعده. و أرجح أن الذي أضافه هو أبو يعقوب السكاكي، مستعينا في ذلك بتطبيقات الزمخشري، بدليل أن نفس النماذج التي استشهد بها وردت عند البلاغيين بعده فكلامه الذي استشهدنا نقله بعضهم حرفيا. ينظر: ابن الناظم، المصباح 29 و نقله آخرون بنصر فينظر: القزويني، التلخيص 183 و الإيضاح 113.

و مثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى (و اتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام و بنين و جنات و عيون.)⁽¹⁾ فقوله تعالى مسوق للتببيه على نعمه و آلائه التي أمد بها عباده، فكانت جملة: أمدكم بأنعام و بنين و جنات و عيون، أكثر أداء للمراد من الأولى؛ لأنها دلت على المدد بالتفصيل.⁽²⁾ و هي بدل من الجملة السابقة و لذا فصلت عنها، و لما كان الإمداد الذي عدده الله سبحانه و تعالى لهم، بعضا من إمداده و نعمه فقد جعل القزويني البدل ههنا من قبيل بدل البعض من متبوعه في المفرد؛ لأن الجملة هنا بمنزلة قولنا: أعجبنى زيد ووجه.⁽³⁾

و مما ورد بدلا قول الشاعر⁽⁴⁾:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا و إلا فكن في السر و الجهر مسلما

فقد فصل قوله (لا تقيمن) عن قوله (ارحل) لقصد البدل، لأن القصد من كلامه إظهار الكراهية و التذمر من إقامته بسبب أنه يسر غير ما يجهر به، فكانت جملة (لا تقيمن) أوفى بتأدية ذلك القصد؛ لأنها دلت عليه بالمطابقة و التأكيد، بخلاف (ارحل) فإنها دلت على ذلك بالتضمن مع تجريدها من التأكيد.⁽⁵⁾

(1)- الشعراء : 132 - 134.

(2) ينظر : الزمخشري، الكشاف 3 : 122 و القزويني، التلخيص 183 و التفتازاني، مطول على التلخيص 196.

(3) ينظر: القزويني، الإيضاح 113 و التفتازاني، مطول على التلخيص 196. و الفصل بين الجملتين في هاتين الأيتين عن سورة الشعراء يحتمل- عند السكاكي- الاستئناف. لأن قوله: و اتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، مما يحرك ذهن السامع إلى السؤال. ينظر: مفتاح العلوم 144.

(4) ذكر السكاكي هذا البيت و لم ينسبه إلى أحد، و كذلك القزويني. ينظر: مفتاح العلوم 144 و القزويني، الإيضاح 114.

(5) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 145 و ابن الناظم، المصباح 30 و القزويني، التلخيص 184. المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له، أما التضمن فهو دلالة اللفظ على جزئه، و أما الالتزام فهو دلالة اللفظ على معنى خارج عنه و شروطه اللزوم الذهبي، ينظر التلخيص 236-237 يقول التفتازاني : " فإن قلت: قوله (لا تقيمن عندنا) إنما يدل بالمطابقة على طلب الكف عن الإقامة، لأنه موضوع للنهي، و أما إظهار كراهة المهني فمن لوازمه و مقتضياته. فدلالته عليه تكون بالالتزام دون المطابقة. قلت: نعم و لكن صار قولنا: لا تقم عندي بحسب العرف حقيقة في إظهار كراهة إقامته و حضوره حتى أنه كثيرا ما يقال: لا تقم عندي و لا يراد به كفه عن الإقامة بل مجرد إظهار كراهة حضوره. و التأكيد بالنون دال على كمال هذا المعنى فصار (لا تقيمن عندنا) دالا على كمال إظهار الكراهة لإقامته بالمطابقة " مطول على التلخيص 197.

و من ذلك قوله تعالى (بل قالوا مثل ما قال الأولون، قالوا أنذا متنا و كنا ترابا و عظاما أننا لمبعوثون)⁽¹⁾ فالمراد من الآية ذكر ما قال هؤلاء المبشرون الجدد، و لكن الجملة الأولى لم تكن وافية بالقصد، فجاءت الثانية فعينت بجلاء هذا القصد. و لما كانت الثانية بدلا من الأولى فقد فصلت عنها لمتانة العلاقة بين البديل و المبدل منه.⁽²⁾

و من ذلك أيضا قوله تعالى (اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون)⁽³⁾ فصلت جملة (اتبعوا من لا يسألكم اجرا و هم مهتدون)، عن سابقتها، لأنها بدل منها. فالمراد حمل المخاطبين على إتباع الرسل، فكانت الجملة الثانية أوفى بتأدية المراد، لأن معناها "لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم، و تربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا و خير الآخرة."⁽⁴⁾ و قد جعل القزويني الجملة هنا بمنزلة (حسنها) في قولنا: أعجبتني الدار حسنها، أي إنها بدل الاشتمال؛ لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها و غير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة.⁽⁵⁾

ومن ذلك أيضا قول الشاعر⁽⁶⁾ :

متى تأتانا، تلثم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا، و نارنا تاججا

فجملة: تلثم بنا في ديارنا، كما هو واضح، بدل من جملة: تأتينا. و قد كانت أكثر تأذية للقصد من الأولى؛ لأن قوله: تأتينا، عام غير محدد فجاءت الجملة الثانية لتحدد حقيقة هذا الإتيان؛ و لذا فصلت عن سابقتها لما بينهما من كمال الاتصال.⁽⁷⁾

(1)- المؤمنون : 81-82.

(2)- ذكر السكاكي أن الفصل في الآية يحتمل الاستئناف أيضا، لأن قوله: بل قالوا مثل ما قال الأولون، مما يبعث على التساؤل لمعرفة ماذا قال الأولون ينظر مفتاح العلوم 145.

(3)- يس: 20-21.

(4)- الزمخشري، الكشاف 3 : 283. نقل القزويني هذا التعبير حرفيا عن الزمخشري ينظر الإيضاح 113-114.

(5)- ينظر: القزويني، الإيضاح 114.

(6)- هو عبيد الله بن الحر. ينظر: سبويه، الكتاب 3 : 86 و الحطب الجزل : اليابس.

(7)- ينظر: الزمخشري، المصدر السابق 3 : 104 و الزمكاني، البرهان الكاشف 277

و من ذلك أيضا قوله تعالى (و سيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله، يتزكى.)⁽¹⁾ فقد فصل جملة: يتزكى عن جملة: يؤتي ماله؛ لأنها بدل منها. و هي من قبيل بدل الكل من الجملة الأولى. هذا إذا كان معنى (يتزكى) من الزكاة، أما إذا كان معناها من الزكاء - أي مؤتي ماله لا يريد به الرياء و السمعة - فتكون حالا.⁽²⁾

كمال الانقطاع :

إن الحالة الرابعة المقتضية للفصل بين الجمل هي ما سماه البلاغيون: كمال الانقطاع⁽³⁾، وحددوها في قسمين: أن تختلف الجملتان خبرا و إنشاء لفظا و معنى أو معنى فقط، أو أن لا يكون بينهما جامع أو مناسبة.⁽⁴⁾

1- اختلاف الجملتين خبرا و إنشاء: إن اختلاف الجملتين خبرا و إنشاء كثير مطرد، ومن ذلك قول الشاعر:

و قال قائلهم ارسوا نزاولها فكل حتف امرىء يجري بمقدار⁽⁵⁾

فقالوا له (ارسوا) إنشاء لفظا و معنى، و قوله (نزاولها) خبر؛ و لذلك فصلت الجملتان. و لم يجزم (نزاولها) لتكون جوابا للأمر؛ لأن الغرض تعليل الأمر بالارساء بالمزاولة، و الحال في الجزم ليست كذلك.⁽⁶⁾

(1) - الليل : 17-18.

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف 4: 218.

(3) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 137 و ابن الناظم، المصباح 30-31 و القزويني، التلخيص 179. ذكر الشيخ عبد القاهر في النهاية بحثه: الفصل و الوصل أن من موجبات الفصل بين الجمل حالة الانفصال للغاية، و ذكر منها أن الثانية من الجمل لا تدخل في حكم الأولى لأنه لا علاقة لها بها فتفصل عنها، أو أن لا تكون بينهما مناسبة. و لكنه لم يفصل القول في اختلاف الجمل خبرا و إنشاء، و اكتفى بالقول: و لا يعطف الخبر على الإنشاء، ينظر: الدلائل 164. و قد أشار الزمخشري إلى هذا الأمر كثيرا في تطبيقاته في الكشاف، و جعل أبو يعقوب السكاكي هذا البند قسما قائما برأسه في فصل الجمل فتبعه البلاغيون، الذين عقبوه في ذلك.

(4) - ينظر: الزمخشري، الكشاف 1 : 25 و 4 : 95 و السكاكي، مفتاح العلوم 147 و القزويني، الإيضاح 111-112.

(5) ذكر السكاكي هذا البيت بلا نسبة. ينظر مفتاح العلوم 146 و كذلك القزويني ينظر: التلخيص 179.

(6) ينظر: التفتازاني، مطول على التلخيص 194

و قد تختلف الجملتان معنى،و ذلك أن تكون إحداهما تتضمن معنى الإنشاء كقولنا: مات فلان،رحمه الله. فقد فصلت جملة: رحمه الله،عن سابقتها؛لأنها تضمنت الدعاء،و الدعاء من الأساليب الإنشائية. و عليه قولنا : أساء فلان، غفر الله له.

و من ذلك قوله اليزيدي:

ملكته حبلي،و لکنه ألقاه من زهد على غاربي
و قال إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب⁽¹⁾

فقد فصل قوله: انتقم الله من الكاذب،عما قبله؛ لأنه تضمن الدعاء فدخل بذلك في الأسلوب الإنشائي.⁽²⁾ ومن ذلك قوله عز و جل (و قالت اليهود يد الله مغلولة،غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا)⁽³⁾ فصلت جملة: غلت أيديهم،عن الجملة السابقة؛لأن الأولى خبرية و الثانية إنشائية معنى لتضمنها الدعاء.

2-انعدام المناسبة: إن القسم الثاني من كمال الانقطاع هو أن لا يكون بين الجملتين مناسبة، أو جامع يجمعهما جمعا" من جهة العقل أو الوهم أو الخيال"⁽⁴⁾ و من ذلك أن تكون في "حديث ويقع في خاطرك بغتة حديث آخر،لا جامع بينه و بين ما أنت فيه بوجه،أو بينهما جامع غير ملتفت إليه؛لبعد مقامك عنه،و يدعوك إلى ذكره داع فتورده في الذكر مفصولا."⁽⁵⁾ و من ذلك قوله تعالى (إن الذين كفروا سوء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم،لا يؤمنون)⁽⁶⁾، فقد قطعت هذه

(1) ينظر: الجرجاني،دلائل الإعجاز 167 و القزويني،الإيضاح 112.

(2) ينظر: السكاكي،مفتاح العلوم 146 و القزويني،الإيضاح 112،جعل عبد القاهر الجرجاني الفصل في البيت من قبيل الاستئناف،يقول: " استأنف قوله: انتقم الله من الكاذب؛لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سائلا قال له : فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب؟فقال: أقول: انتقم الله من الكاذب" دلائل الإعجاز 167.

(3) -المائدة : 64.

(4) -السكاكي، المصدر السابق 137.

(5) -المصدر السابق 137.

(6) -البقرة: 6.

العبرة عما قبلها لعدم وجود مناسبة بينهما ؛ لأن الكلام قبلها" مسوق لذكر الكتاب، و أنه هدى للمتقين، و سيقّت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت و كيت، فبين الجملتين تباين في الغرض و الأسلوب، و هما على حد لا مجال فيه للعاطف.⁽¹⁾

و من ههنا وجدنا البلاغيين يلحون على ضرورة وجود مناسبة أو جامع بين الجملتين المعطوفتين، خصوصاً إذا لم يكن للأولى حكم فتشركها الثانية فيه، حتى إنهم فصلوا القول في أمر الجامع، و خاصة أبا يعقوب السكاكي، و سيأتي تفصيل ذلك في حينه عندما نتعرض للوصل بين الجمل.

مواضع الوصل بين الجمل

ركز البلاغيون في الوصل، مثلما فعلوا في الفصل، على الجمل و لم يهتموا بالعطف في المفردات؛ لأن أمر العطف في المفردات لا إشكالية فيه، فالفائدة منه إشراك الثاني في إعراب الأول. و إذا شاركه في إعرابه فقد شاركه في حكم ذلك الإعراب؛ كأن يكون المعطوف على المرفوع فاعلاً مثله أو مبتدأً أو خبراً إلى غير ذلك، و المعطوف على المنصوب مفعولاً به أو فيه أو له أو حالاً أو غيره، و هلم جرا.⁽²⁾ و لكون الفائدة من العطف في المفردات ظاهرة فقد صرف البلاغيون النظر عنها إلى العطف بين الجمل.

أنواع العطف بين الجمل:

إن العطف بين الجمل، كما يراه البلاغيون⁽³⁾، على ضربين:

(1)- الزمخشري، الكشاف 1 : 25.

(2)- ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 157 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 129 و العلوي حمزة، الطراز 2 : 33.

(3)- ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 157 و السكاكي، مفتاح العلوم 135 و القزويني، التلخيص 157.

1- الجملة ذات المحل الإعرابي: إن الجملة المعطوف عليها إذا كان لها محل من الإعراب تسهل أمر العطف؛ لأن حكمها حينئذ يصبح كحكم المفرد" إذ لا يكون للجملة الأولى موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد، و كان وجه الحاجة إلى الواو ظاهراً، و الاشتراك بها في الحكم موجوداً." (1) و هذا النوع يقرب تعاطيه سواء أعطفنا بالواو أم بغيرها من حروف النسق الأخرى. (2) فلا يظهر فيه إشكال ألبتة، فإذا قلنا: مررت برجل خلقه حسن و خلقه قبيح، كنا قد أشركنا الجملة الثانية في حكم الأولى، فتكون مثلها في موضع جر على أنها صفة لـ(رجل). و "نظائر ذلك تكثر، و الأمر فيها يسهل" (3) لأن فائدة الواو في الجمع بين الجمل تظهر، إذ أنها تجمع بين جملتين، أو أكثر، لهما نفس المحل من الإعراب فتشركهما في حكم واحد، و تكون المناسبة بينهما ظاهرة. (4)

2- الجملة التي لا محل لها من الإعراب : إن الضرب الثاني هو أن لا يكون للجملة الأولى المعطوف عليها محل من الإعراب، كأن تقول: زيد قائم و عمرو قاعد، و العلم حسن و الجهل قبيح. فهنا" لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في الإعراب قد وجب الأولى بوجه من الوجوه. و إذا كان ذلك كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف و المغزى منه، و لم يستو الحال بين ان تعطف، و بين أن تدع العطف فتقول: زيد قائم عمرو قاعد. (5)، و هذا الضرب يبعد تعاطيه و يشكل الأمر فيه؛ لأن فائدة العطف هنا بالواو و لا تظهر للوهلة الأولى كما كان الشأن مع الضرب الأولى. (6)

(1) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 157 وابن الزمكاني، البرهان الكاشف 262 و القزويني، التلخيص 175.

(2) ينظر السكاكي، مفتاح العلوم 135.

(3) الجرجاني، المصدر السابق 157.

(4) ينظر: المصدر السابق 157 و السكاكي، المصدر السابق 135.

(5) الجرجاني، المصدر السابق 157 و ينظر: ابن الزمكاني، التبيين في علم البيان 132.

(6) ينظر: السكاكي، المصدر السابق 135.

إن الإشكال في هذا الضرب من الجمل، كما يراه البلاغيون، يعترى الواو دون غيرها من حروف النسق؛⁽¹⁾ لأن بقية الحروف الأخرى تفيد مع الاشتراك معاني أخرى إضافية. فالفاء تفيد الترتيب من دون تراخ، و (ثم) تفيد الترتيب أيضا لكن مع شيء من التراخي، و (أو) تردد الفعل بين شيئين و تجعله لأحدهما لا بعينه، و هلم جرا مع سائر الحروف العاطفة الأخرى. فإذا عطفت بواحد منها ظهرت فائدة ذلك الحرف واضحة جلية.⁽²⁾ أما الواو فليس لها معنى آخر سوى الإشراك" في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعته فيه الثاني الأولى. فإذا قلت جاعني زيد و عمرو، لم تقد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتته لزيد، و الجمع بينه و بينه. و لا يتصور إشراك بين الشيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه. و إذا كان ذلك كذلك، و لم يكن معنا في قولنا زيد قائم و عمرو قاعد، معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه ثبت إشكال المسألة."⁽³⁾ و من هنا وجدنا البلاغيين يركزون في دراستهم لعطف الجمل على الواو؛ لما يعترىها من إشكال، و لما تحتاجه من إعمال الفكر لمعرفة المغزى من العطف بها في الجمل العارية من الإعراب.⁽⁴⁾ و ليس معنى هذا أنهم أهملوا شأن الحروف العاطفة الأخرى، فقد درسوها أيضا. و سنتوقف معهم، من خلال تناولهم لبعض هذه الحروف، قبل أن نمضي إلى الحديث عن الجامع بين الجملتين المعطوفتين.

معاني الحروف العاطفة :

ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني، في أثناء حديثه عن معاني النحو، أنه ينبغي أن نعرف مواقع حروف العطف و التمييز بين مواضعها؛ لأن ذلك من تمام حسن النظم.⁽⁵⁾ و ذكر أبو يعقوب السكاكي أن العطف في باب البلاغة" يعتمد معرفة أصول ثلاثة. أحدها الموضع الصالح

(1) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 157 و السكاكي، مفتاح العلوم 135 و الزملكاني، البرهان الكاشف 262 و القزويني، التلخيص 177-178.

(2) ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 157 و السكاكي، المصدر السابق 135 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 132.

(3) الجرجاني، المصدر السابق 157 و ينظر: الزملكاني، البرهان الكاشف 263 و التقطازاني، مطول على التلخيص 193.

(4) ينظر: د. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن 173 مكتبة نهضة مصر. ط 1.

(5) ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 63.

من حيث الوضع، و ثانيها فائدته، و ثالثها وجه كونه مقبولاً لا مردوداً.⁽¹⁾ و هي الأمور التي حاول البلاغيون تلمسها داخل النصوص؛ لأن أكثر الناس، على ما ذكر ابن الأثير، يجعلون " ما ينبغي أن يعطف بالواو معطوفاً بالفاء، و ما ينبغي أن يعطف بالفاء معطوفاً بـ ثم ... و في هذه الأشياء دقائق".⁽²⁾

و قد ذهب ابن الأثير بعيداً، حينما نفى عن سابقه أن يكونوا تتالوا هذا الباب من العربية بمثل ما تناوله هو. يقول: " و ما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض له و لا ذكره. و لا أقول إنهم لم يعرفوا ذلك أصلاً؛ لأن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى، لأنه مذكور في كتب العربية جميعها، و لست أعني بإيرادها هنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف المعطوف عليه في الإعراب بل أمراً وراء ذلك، و إن كان المرجع فيه إلى الأصل الذي ذكره علماء العربية في كتبهم"⁽³⁾، و لا يخفى ما في هذا الزعم من المبالغة و الشطط.⁽⁴⁾

1- عند الزمخشري: كان الزمخشري يعرض لبعض أدوات العطف و يبين معانيها من خلال مواقعها في النصوص. ففي قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا، و تواصلوا بالصبر و تواصلوا بالمرحمة)⁽⁵⁾ يقول: " جاء بـ ثم لتراخي الإيمان و تباعده في الرتبة و الفضيلة عن العتق و الصدقة لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره و لا يتبث عمل صالح إلا به".⁽⁶⁾ و يقول في قوله تعالى (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون، ثم آتينا موسى الكتاب)⁽⁷⁾، يقول: "فإن قلت علام عطف

(1)- السكاكي، مفتاح العلوم 135.

(2)- ابن الأثير، الجامع الكبير 201.

(3)- المصدر السابق 201.

(4)- إهتم الذين سبقوا ابن الأثير بما نفاه عنهم، و خصوصاً من تعرض منهم إلى تفسير القرآن و شرحه كالقراء و الطبري و الزمخشري و غيرهم.

(5)- البلد : 17.

(6)- الزمخشري، الكشاف 4 : 214.

(7)- الأنعام : 153-154.

(ثم آتينا موسى الكتاب) قلت على (وصاكم به)، فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم و الإيتاء قبل التوصية بدهر طويل؟ قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصيها كل أمة على لسان نبيهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: محكمات لم ينسخهن شيء في جميع الكتب. فكأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما و حديثا. (1)

و في قوله تعالى (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) (2) يقول: فإن قلت ما معنى ثم؟ قلت الدلالة على أن إنكارهم مستبعد بعد حصول المعرفة؛ لأن من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر. (3) و في قوله عز و جل (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، و تركهم في ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمى فهم لا يرجعون، أو كصيب من السماء) (4) يقول: "ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف، و إيضاحا غب إيضاح. و كما يجب على البليغ في مكان الإجمال و الإيجار أن يجمع و يوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل و الإشباع أن يفصل و يشبع. أنشد الجاحظ:

يوحون بالخطب الطوال، و تارة و حي الملاحظ خيفة الرقباء

و مما ثنى في التمثيل في التنزيل قوله تعالى (و ما يستوي الأعمى و البصير، و لا الظلمات و لا النور، و لا الظل و لا الحرور، و ما يستوي الأحياء و لا الأموات.) (5) فإن قلت: لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك؟ قلت: (أو) في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك، و ذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا، و منه قوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) (6) أي الآثم و الكفور

(1) -الزمخشري، الكشاف: 2 : 49

(2) -النحل : 83.

(3) -الزمخشري، المصدر السابق 2 : 340.

(4) -البقرة : 17-19.

(5) فاطر : 19

(6) -الإنسان : 24.

متساويان في وجوب عصيانهما. فكذاك قوله (أو كصيب) معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين، و أن القصتين سواء في استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل، فبأيهما مثلتها فأنت مصيب، و إن مثلتها بهما جميعا فكذاك.⁽¹⁾ و الأمثلة التي أوردها الزمخشري في الكشف كثيرة، لا مجال لحصرها.

2- عند ابن الأثير: و إذا مضينا عند ابن الأثير وجدناه يسير في نفس النهج الذي سار فيه الزمخشري؛ و إذ عالج الحروف العاطفة في مظانها و داخل النصوص التي وردت فيها. ففي قوله تعالى (و الذي هو يطعمني و يسقني، و إذا مرضت فهو يشفين، و الذي يميّتي ثم يحييني)⁽²⁾ يقول : "فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع، و تقديم الإطعام على الإسقاء و الاسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم. ثم عطف الثاني بالفاء؛ لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثم عطف بثم؛ لأن الإحياء بعد الموت بالزمان؛ و لهذا جيء في عطفه بثم التي هي للتراخي. و لو قال قائل في موضع هذه الآية، و الذي هو يطعمني و يسقني و يمرضني و يشفين و يميّتي و يحييني لكان للكلام معنى تام إلا أنه لا يكون كمعنى الآية؛ إذا كل شيء منها قد عطف بما يناسبه، و يقع موقع السداد منه."⁽³⁾

و في قوله تعالى: (قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره)⁽⁴⁾ يقول: " ألا ترى انه لما قال (من نطفة خلقه) كيف قال (فقدره) و لم يقل ثم قدره؛ لأن التقدير لما كان تابعا للخلقة و ملزما لها عطفه بالفاء، و ذلك بخلاف قوله (ثم السبيل يسره)؛ لأن بين خلقه و تقديره في بطن أمه، و بين إخراجها منه و تسهيل سبيله مهلة و زمانا، فلذلك عطفه بثم. و على هذا جاء قوله تعالى (ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره)؛ لأن بين إخراجها من بطن أمه، و بين موته تراخيا و فسحة، و كذلك بين موته و نشوره

(1)-الزمخشري،الكشاف 1 : 40-41

(2)-الشعراء : 71-79

(3)-ابن الأثير،المثل السائر 2 : 50

(4)-عبس : 17-22.

أيضا عطفها بثم. و لما لم يكن بين موت الإنسان و إقباره تراخ و لا مهلة عطفه بالفاء.⁽¹⁾

و من النماذج التي حلل فيها ابن الأثير معاني حروف العطف قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا)⁽²⁾ يقول: "و في هذه الآية دليل على أن حملها به، و وضعها إياه كانا متقاربين؛ لأنه عطف الحمل و الانتبذ إلى المكان الذي مضت إليه و المخاض الذي هو الطلق بالفاء، و هي للفور، و لو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي و المهلة. ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى (قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه فقدره ثم السبيل يسره).⁽³⁾ فلما كان بين تقديره في البطن و إخراج منه مدة متراخية عطف ذلك بثم، و هذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فإنها عطف بالفاء"⁽⁴⁾، ثم يذكر أن المفسرين اختلفوا في مدة حمل مريم-عليها السلام-؛ فمن قائل إنها حملت كباقي النساء، و من قائل إن المدة كانت ثلاثة أيام، و قيل أكثر من ذلك، بينما يرى هو أن الآية مزيلة للخلاف، لأنها "دلت صريحا على أن الحمل و الوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، و ربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذا بما دلت عليه الآية."⁽⁵⁾

و من الآيات التي تناولها أيضا قوله تعالى (و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفةعلقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر)⁽⁶⁾، يقول: " ففي الآية المتقدم ذكرها قال (من نطفة خلقه فقدره)⁽⁷⁾ فعطف التقدير على الخلق بالفاء لأنه تابع له، و لم يذكر تفاصيل حال المخلوق.

(1)-ابن الأثير ، المثل السائر 2 : 50-51 و ينظر : الجامع الكبير 200-201

(2)-مريم: 22-23.

(3)-عيس : 17-20

(4)-المثل السائر 2 : 51

(5)-المصدر السابق 2 : 51.

(6)-المؤمنون : 12-14

(7)- عيس : 19.

و في هذه الآية ذكر تفاصيل حالة في تنقله، فبدأ بالخلق الأول و هو خلق آدم من طين، و لما عطف الخلق الثاني هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي، و حيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء، و لما انتهى إلى جعله ذكرا أو أنثى، و هو آخر الخلق، عطفه بثم⁽¹⁾، ثم بتوقيع، بعد تحليله للمعاني التي أفادتها الحروف العاطفة في الآية، سوألا و هو : لم عطفت المضغة على العلقة بالفاء في هذه الآية بينما عطفت في آية أخرى بثم.⁽²⁾ و لكن رد ابن الأثير على هذه التساؤل يسقط من جميع أصول الكتاب، كما يشير محقق المثل السائر.⁽³⁾

و أرى أن الله عز و علا يستغرب إنكار بعض الناس للبعث و شكهم في حقيقته. فيقول لهم جل شأنه: لا تتكروا ذلك و انظروا إلى أطوار حياتكم و وجودكم. فقد خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، و كأنه تعالى يقول: ثم نبعتكم من قبوركم مثلما خلقناكم. فجاءت (ثم) ههنا لتبين لهم المراحل الزمنية التي يمرون بها و التي تقودهم أخيرا إلى يوم البعث. فالعطف بثم ههنا جاء لتمييز الأطوار التي يمر بها الإنسان، و ليس القصد منها التراخي في الزمن، و يعزز هذا الرأي ما ذكره الزمخشري من أن (ثم) ترد أحيانا لتدل على التراخي في الرتب.⁽⁴⁾

3- عند الزمكاني : لقد طرح الزمكاني عدة آيات تبدو لأول وهلة أنها متناقضة، و يحاول أن يرد لها اعتبارها. و منها قوله تعالى (و كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا).⁽⁵⁾ فمجيء البأس ينبغي أن يسبق الإهلاك، و هو ههنا مؤخر، لأن الآية محمولة على أنه "لما أهلكها - حكم

(1)-المثل السائر 2 : 52.

(2)-نص الآية (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة ثم من علقة، ثم من مضغة) الحج : 5

(3)-ابن الأثير، هامش المثل السائر 2 : 52.

(4)-ينظر : الزمخشري، الكشاف 4 : 214 و الزمكاني، البرهان الكاشف 270 و ابن قيم الجوزية، الفوائد 40.

(5)-الأعراف : 4.

بأن البأس جاءها أو على تقدير: قدرنا إهلاكها فجاءها، و الفعل يعبر به عن الإرادة كما في قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله)⁽¹⁾، أي إذا أردت قراءة القرآن، و منه قول امرئ القيس.

أيقنتني و المشرفي مضاجعي و مسنونة رزق كأنياب أغوال⁽²⁾

أي: أيريد قتلي.

و قيل أنه من باب الترتيب اللفظي لكون الاهتمام بالإهلاك أتم في غرض الإخبار، و إن كان مجيء البأس قلبه في الوجود.⁽³⁾

و ذكر أيضا قوله تعالى (و إني لغفار لمن تاب، و آمن و عمل صالحا، ثم اهتدى)⁽⁴⁾ فالهداية ينبغي أن تتقدم على العمل لكونه لا يصح دونها، و هي مؤخرة، لأنها محمولة على "دوام الاهتداء و ثباته، أي ثم استمر على الهداية، و منه (اهدنا السراط المستقيم).⁽⁵⁾ " (6)

و ذكر قوله تعالى (و أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون).⁽⁷⁾ فالآية توحى بالتردد من الله- عز وجل- وهو منزه عن ذلك. و قد ورد ذلك على أنهم " من الكثرة بحيث يقول فيهم الناظر: هم مائة ألف أو أكثر."⁽⁸⁾

و قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، و تركهم في ظلمات لا يبصرون. صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق)⁽⁹⁾، فالآية هنا توحى أيضا بالتردد من الله سبحانه و تعالى، و السر في ذلك أنه تعالى "ذكر مثلين مضروبين للمنافقين في حالتين مختلفتين فهو لاء، لا يخلون من إحدى الحالتين، فـ "أو" على بابها

(1)- النحل : 98.

(2)- امرئ القيس، الديوان 33 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر. المسنونة السهام المحددة، و رزق: صافية مجلوة.

(3)- الزمكاني، التبيان في علم البيان 135 و ينظر البرهان الكاشف 269.

(4)- طه : 82.

(5)- الفاتحة : 6.

(6)- الزمكاني، التبيان في علم البيان 135 و ينظر: البرهان الكاشف 269.

(7)- الصافات 147.

(8)- الزمكاني، التبيان في علم البيان 135 و ينظر: البرهان الكاشف 269.

(9)- البقرة : 17-19.

من التردد كقولك: زيد لا يخلو من أن يكون في الدار أو في المسجد . ذكرت "أو" لكونك أردت أحد الشيئين. فـ "أو" في أصلها لتساوي أمرين فصاعداً في الشك ثم استعيرت للترديد الخالي عن الشك، فحال المنافقين مشبهة بحالي هاتين القصتين، فبأيهما مثلت فأنت مصيب، و كذلك إن مثلت بهما جميعاً⁽¹⁾، و قد كان الزمكاني متأثراً بمن سبقوه، في تحليلاته لبعض الآيات وخصوصاً بأستاذه ابن الحاجب، كما صرح بذلك هو نفسه، و بالزمخشري أيضاً. و فضلاً عن ذلك فإن هذه الآيات التي أوردتها لفتت انتباه الكثيرين قبله، و خصوصاً من تعرض منهم لتفسير القرآن الكريم. و إفادته من هؤلاء ظاهرة.

و كانت محاولات كل من حمزة العلوي و ابن القيم الجوزية تسير في هذا الاتجاه، و قد استفادا من هؤلاء الذين ذكرناهم آنفاً، و عالجوا نفس النماذج التي عالجها أولئك، فلم يكادوا يضيفون جديداً.

هكذا إذا نظر البلاغيون إلى أدوات العطف مع حروف العطف، فعالجها في مظانها، و من خلال مواقعها في النصوص. و ستكون لنا وقفة مع حروف العطف في الفصل الثاني عندما نعالج الظاهرة عند النحاة.

الجامع بين الجملتين المعطوفتين :

أعود فأقول عن الواو شددت إليها انتباه البلاغيين أكثر من غيرها من حروف النسق، خصوصاً في الضرب الثاني من الجمل حينما تكون الجملة، المعطوف عليها عارية من الإعراب.

و إذا كان حال الواو بهذه الصورة من الغموض فإن الأمر يحتاج إلى تأمل عميق أوفى، من أجل قراءة آثار عقلية أنضج و أبعد مما رسخ في أذهاننا عن فكرة المشاركة. و ههنا

(1) - الزمكاني، التبيان في علم البيان 135 و ينظر: البرهان الكاشف 269-270.
(2) ينظر: الزمكاني، البرهان الكاشف 270.

ينتهي عبد القاهر إلى القول بفكرة الجامع العقلي الذي يعده أساس النظر في هذا الموضوع، و هذا الجامع قد يكون مناظرة أو مشاركة أو مناقضة.⁽¹⁾

فنحن و إن لم نجد في قولنا: زيد قائم و عمرو قاعد حكما نزعاً " أن الواو جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإننا نرى أمراً آخر نحصل معه على الجمع، و ذلك أنا لا نقول: زيد قائم و عمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد، و حتى يكونا كالنظيرين و الشريكين، و بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أو يعرف حال الثاني. يدل ذلك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب، و لا هو مما يذكر بذكره و يتصل حديثه بحديثه لم يستقم، فلو قلت: خرجت اليوم من داري ثم قلت: و أحسن الذي يقول بيت كذا، قلت ما يضحك.⁽²⁾ و من ههنا عابوا أبا تمام في قوله:

لا و الذي هو عالم أن النوى صبر، و أن أبا الحسين كريم⁽³⁾

و ذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين و مرارة النوى، و لا تعلق لأحدهما بالآخر، و ليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك.⁽⁴⁾

(1) - د. تامر سلوم، نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي 137، دار الحوار، ط1 اللاذقية 1983 و ينظر: د. أحمد بدوي، من بلاغة القرآن 174.

(2) - يقول أبو يعقوب السكاكي: " و لذلك، متى قال قائل: زيد منطلق و درجات الحمل ثلاثون، و كم الخلفية في غاية الطول و ما أوجني إلى الإستفراغ، و أهل الروم نصاري و في عين الذباب جحوظ: و كان جالينوس ماهراً في الطب و ختم القرآن في التروايح سنة و أن القرد شبيه بالأدمى، فعطف أخرج من زمرة العقل و سجل عليه بكمال السخافة أو عد مسخرة من المساخ، و استظرف نسقه هذا إلى غاية ربما استودع دفاتر المضاحك و سفين نواذر الهذيان، بخلافه إذا ترك العطف و رمى بالجمل رمي الحصى من غير طلب انتلاف بينهما، فالخطب إذن يهون هونا ما. "مفتاح العلوم 147.

(3) - أبي تمام، الديوان، بشرح التبريزي 3 : 290 تحقيق: محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر. و قد عد ابن المعتز هذا البيت مما حسن فيه الخروج من معنى إلى معنى ينظر: عيد الله بن المعتز، كتاب البديع 60-61. نشره و علق عليه و أعد فهرسه المستشرق اغناطيوس كراتشوفسكي، دار الحكمة-دمشق. و الصبر: عصارة شجر مر.

(4) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 158 و ينظر السكاكي، مفتاح العلوم 147 و القزويني، التلخيص 176-177 و ابن القيم، الفوائد 186. تمحل بعضهم في إيجاد المناسبة، فاعتبر أن مرارة النوى سبب يقتضي انتجاع أبي الحسين طلباً لمكارمه، و أشار بعضهم إلى أن الشاعر جمع بين متضادين هما مرارة النوى و حلاوة كرم أبي الحسين فأبرزهما في معرض التوخي. ينظر: هامش التلخيص 178.

تفهم من هذا الكلام أن العطف لا يقع موقعه المناسب ما لم يكن بين الجملتين المتعاطفتين جهة جامعة، أو مناسبة معنوية تربط بينهما، و تجعل أمرهما يتوحد في الذهن. و قد حدد البلاغيون هذه الجهة الجامعة باعتبار المسند إليه و المسند في الجملتين جميعا. فكما يجب أن يكون المسند إليه في إحدى الجملتين بسبب من المسند إليه في الجملة الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون المسند في إحدهما" مما يجري مجرى الشبيه أو النظير أو النقيض للخبر عن الأول، فلو قلت: زيد طويل القامة و عمرو شاعر كان خلفا؛ لأنه لا مشاكلة و لا تعلق بين طول القامة و بين الشعر، و إنما الواجب أن يقال: زيد كاتب و عمرو شاعر، و زيد طويل القامة و عمرو قصير.⁽¹⁾ و من ههنا قطع قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون.)⁽²⁾ عما قبله، لأنه لا مناسبة بينهما فالكلام السابق سيق لذكر الكتاب في حين ما بعده للحديث عن الكفار" فبين الجملتين تباين في الغرض و الأسلوب و هما على حد لا مجال فيه للعاطف.⁽³⁾ ينبغي إذا أن يكون المعنى في الجملة الأولى وثيق الصلة بالمعنى في الجملة الثانية و مضاميا له و مرتبطا به في الأذهان مثل" أن زيدا و عمرا إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك، و كذا السبيل أبدا، و المعاني في ذلك كالأشخاص، فإنما قلت مثلا العلم حسن و الجهل قبيح؛ لأن كون العلم حسنا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحا.⁽⁴⁾

(1)-الجرجاني، دلائل الإعجاز 158 و ينظر: القزويني، الإيضاح 119 و العلوي، الطراز 2: 49. إن قول السكاكي:- " و الجامع العقلي هو أن يكون بينهما اتحاد في تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه أو في الخبر أو في قيد من قيودهما، أو تماثل هناك" مفتاح العلوم 137-يشار أنه يكفي للعطف بين جملتين أن يكون الجامع باعتبار المسند إليه، أو المسند أو قيدهن قيودهما. و قد نقض بقوله هذا ما سبق أن صرح به من امتناع عطف قولنا: خفي ضيق على قولنا: خاتمي ضيق-المفتاح 147-و هما متحدان في المسند كما يظهر، و لعله سهو من السكاكي مثلما نص على ذلك القزويني في الإيضاح 120.

(2)-البقرة : 6 و سياقها) ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، و يقيمون الصلاة، و مما رزقناهم ينفقون. و الذين يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و بالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون. إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون).

(3)-الزمخشري، الكشاف 1: 25 و ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 147.

(4)-الجرجاني، المصدر السابق 158 و ينظر: القزويني، الإيضاح 119 و التفتازاني، مطول على التلخيص 203-204. و ابن قيم الجوزية، الفوائد 186-187.

إنه كلما كان المسند إليـه في الجملتين واحدا كلما ازداد معنى الجمع في الواو قوة و ظهورا. فإذا قلنا : زيد يضر و ينفع فإننا نفيد بالواو أنه يقوم بالفعلين جميعا، و هذا بعكس قولنا: يضر ينفع من غير الواو؛ لأنه يجوز أن يكون قولنا (ينفع) رجوعا عن قولنا (يضر) و إبطالا له.⁽¹⁾ و مما ظهرت فيه قوة الجمع بجلاء قول الشاعر:

لا تطمعوا أن تهينونا و نكرمكم و أن نكف الأذى عنكم و تؤذونا⁽²⁾

فالمعنى هنا" لا تطمعوا أن تروا إكرامنا قد وجد مع أهانتكم و جامعها في الحصول."⁽³⁾ و من ذلك أيضا قول أبي تمام:

لهان علينا أن نقول و تفعلنا و نذكر بعض الفضل منك و تفضلا⁽⁴⁾

فكان الفعلين هنا في حكم فعل واحد.⁽⁵⁾

و قد بالغ السكاكي في أمر الجامع قسمه إلى ثلاثة أقسام: عقلي و وهمي و خيالي.⁽⁶⁾ و نحن نعرض هذه الجوامع واحد واحدا محاولين إجلاءها على حسب ما فهمناه من كتب البلاغيين.

1- الجامع العقلي : إن الجامع العقلي، كما يرى السكاكي، هو أن يكون بين الجملتين إتحاد في التصور أو تماثل، فالعقل " بتجريده المتلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد عن البين"⁽⁷⁾ و قد حاول التفاتاني أن يشرح هذه العبارة فقال : إن "العقل مجرد لا يدرك بذاته الجزئي من حيث هو جزئي، بل يجرده عن العوارض المشخصة في الخارج، و ينزع منه المعنى الكلي فيدركه. فالمتماثلان إذا جردا عن المشخصات صارا متحدين فيكون حضور أحدهما في المفكرة حضور الآخر، و إنما قال عن التشخص في الخارج، لأن كل ما هو حاصل في العقل فلا بد له

(1) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 159.

(2) ذكره الشيخ عبد القاهر بلا نسبة: ينظر المصدر السابق 159.

(3) الجرجاني، المصدر السابق 159 و ينظر: ابن قيم الجوزية، الفوائد 187.

(4) - أبي تمام، الديوان 3: 98.

(5) - الجرجاني، المصدر السابق 159 و ينظر: الزملكاني، التبيان في علم البيان 139-140.

(6) ينظر : السكاكي، مفتاح العلوم 137.

(7) - السكاكي، المصدر السابق 137 و ينظر: القزويني، التلخيص 192 و الإيضاح 120.

من تشخص عقلي ضرورة انه متميز عن سائر المعلومات، و إنما قلنا إنه لا يدرك الجزئي بذاته؛ لأنه يدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية؛ لأنه يحكم بالكليات على الجزئيات.⁽¹⁾ أوتضاييف كالذي بين العلة و المعلول، و السبب و المسبب، أو السفل و العلو، و الأقل و الأكثر "فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن، و أن العقل سلطان مطاع"⁽²⁾، فالتضاييف، كما يرى التفتازاني هو أن تعقل كل واحد منهما يستدعي تعقل الآخر؛ لأن حصول كل واحد منهما في المفكرة يسلتزم بالضرورة حصول الآخر أيضا.⁽³⁾

2- الجامع الوهمي : و هو أن يكون بين "تصوراتهما شبه تماثل، نحو أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض، و في الثانية لون صفرة. فإن الوهم يحتال في أن يبرزهما في معرض المتلين. و كم للوهم من حيل تروج،"⁽⁴⁾ و هذا بخلاف العقل فإنه إذا خلي و نفسه لم يحكم باجتماعها في المفكرة؛ لأنه يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس اللون.⁽⁵⁾ و من ههنا حسن الجمع بين الثلاثة⁽⁶⁾ التي في قوله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى، و أبو إسحاق، و القمر⁽⁷⁾

فالوهم يرى أن هذه الثلاثة متماثلة و متشابهة- بخلاف العقل فإنه يرى أن كلا منهما من نوع مختلف- و إنما تماثلت في نظر الوهم؛ لأنها جميعا تشرق الدنيا بإشراقها فرحا بإقبالها، و إن كان ذلك في أبي إسحاق مجازا.⁽⁸⁾

(1)- التفتازاني، مطول على التلخيص 205.

(2)- السكاكي، مفتاح العلوم 137 و ينظر: القزويني، الإيضاح 120.

(3)- ينظر: التفتازاني، المصدر السابق 205.

(4)- السكاكي، مفتاح العلوم 137 و ينظر: القزويني، التلخيص 192.

(5)- ينظر: التفتازاني، المصدر السابق 206.

(6)- ينظر: السكاكي، المصدر السابق 137 و القزويني، الإيضاح 120.

(7)- ذكره السكاكي بلا نسبة ينظر: السكاكي، المصدر السابق 137 و كذلك القزويني في الإيضاح 120.

(8)- ينظر: التفتازاني، المصدر السابق 206 و التنوخي، تهذيب الإيضاح 371.

و قد يكون بينهما تضاد، كالذي بين "السواد و البياض، و الهمس و الجهارة و الطيب و النتن، و الحلاوة و الحموضة، و الملاسة و الخشونة، و كالتحرك و السكون، و القيام و القعود، و الذهاب و المجيء، و الإقرار و الإنكار، و الإيمان و الكفر، و كالمتصفات بذلك من نحو الأبيض و الأسود، و المؤمن و الكافر".⁽¹⁾

و قد يكون بينهما شبه تضاد كالذي بين "نحو السماء و الأرض، و السهل و الجبل و الأول و الثاني. فإن الوهم ينزل المتضادين و الشبيهين بهما منزلة المتضايين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن، و لذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد".⁽²⁾ و يكون هذا الخطور في الوهم لا في العقل؛ لأن هذا يتعقل "كلا منهما ذاهلا عن الآخر، و ليس عنده ما يقتضي اجتماعهما في المفكرة"⁽³⁾، و مما يبين هذا قوله تعالى (الشمس و القمر بحسبان و النجم و الشجر يسجدان)⁽⁴⁾، يقول الزمخشري: "فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف، قلت: إن الشمس و القمر سماويان، و النجم و الشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، و أن السماء و الأرض لا تزالان تذكران قرينتين، و أن السماء و الأرض لا تزالان تذكران قرينتين، و أن جري الشمس و القمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم و الشجر".⁽⁵⁾

3- الجامع الخيالي: و هو أن يكون بين الجملتين تقارن في الخيال سابق في ذهن المخاطب، و بالتالي يحضره هذا التقارن عند التذكر و محاولة إيجاد العلاقة بين الجمل المعطوفة. فجميع ما "يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأذى إليه و يتكرر لديه؛

(1)- السكاكي، مفتاح العلوم 137-138.

(2)- السكاكي، المصدر السابق 138 و ينظر: القزويني، التلخيص 193 و التفتازاني، مطول على التلخيص 206-207.

(3)- التفتازاني، المصدر السابق 207.

(4)- الرحمن : 5-6.

(5)- الزمخشري، الكشف 4 : 50.

ولذلك لما لم تكن الأسباب على وثيرة واحدة فيما بين البشر اختلفت الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتبا ووضوحا. فكم من صور تتعاقق في الخيال، و هي في آخر ليست تتراءى، و كم من صور لا تكاد تلوح في الخيال و هي في غيره نار على علم.⁽¹⁾

فالجامع الخيالي يختلف باختلاف البشر و أهوائهم و مهنتهم و طبائعهم و أمزجتهم، فكل واحد يرتبط عنده النص بما في خياله، و كل يفهمه بحسب وقعه في نفسه.

و قد حاول عز الدين التنوخي أن يميز بين هذه الجوامع الثلاثة، فذكر أن العقلي يجمع بين الشئيين على وجه الحقيقة و الواقع، كاتحاد المسند اليه في قول الإمام الشافعي:

سافر تجد عوضا عن تفارقه و انصب فإن لذيق العيش في النصب⁽²⁾

و أما الوهمي فيجمع بينهما جمعا اعتباريا غير محسوس بإحدى الحواس الظاهرة، و أما الخيالي فإنه يجمع بينهما جمعا اعتباريا، لكنه يستند في ذلك إلى إحدى الحواس الظاهرة.⁽³⁾

و ذكر أبو يعقوب السكاكي، في ختام حديثه عن أنواع الجامع، أن دارس علم المعاني يلزمه التنبيه إلى هذه الأنواع و التنقظ لها لاسيما الخيالي منها؛ ذلك أن الخيال يختلف من واحد الى واحد، و بالتالي فإن الأسباب تتباين في شأن الجمع بين صور و أخرى، فمن أسباب تجمع بين صومعة و قنديل و قرآن، و من أسباب تجمع بين د سكرة و إبريق و أفران.⁽⁴⁾ و ليدلل على رأيه أورد قوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، و إلى السماء كيف رفعت، و إلى الجبال كيف نصبت، و إلى الأرض كيف سطحت).⁽⁵⁾ فمن لم يكن متيقظا و كان من أهل المدر فإنه لا محالة

(1)- السكاكي، مفتاح العلوم 138 و ينظر القزويني، التلخيص 193 و الإيضاح 120.

(2)- الإمام الشافعي، الديوان 49، جمعه و حققه و علق عليه: زهدي يكن. دار الثقافة- بيروت 1961.

(3)- ينظر: التنوخي، تهذيب الإيضاح 373.

(4)- السكاكي، المصدر السابق 139.

(5)- الغاشية: 17-20.

لن يستحلى كلام الله، وربما وصفه بالاضطراب؛ لأنه جمع بين الإبل و السماء و الجبال والأرض، و لا علاقة ظاهرة بينهما لكن إذا "وافاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء، و ذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم و مشربهم و ملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة، لا محالة، إلى أكثرها نفعاً، و هي الإبل. ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعي و تشرب، كان جل مرمى غرضهم نزول المطر، و أهم مسارح النظر عندهم السماء. ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم، و إلى حصن يتحصنون فيه، و لا مأوى و لا حصن إلا الجبال:

لنا جبل يحتله من نجيره منيع، يريد الطرف و هو كليل

فما ظنك بالنفقات خاطرهم إليها، ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل، و من لأصحاب مواش بذاك، كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور. فعند نظره هذا يرى البدوي إذا يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صور الإبل حاضرة هناك، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة، أو تعوزه صورة الجبال بعدهما، أو لا تتص عليه صورة الأرض تليها بعدهن.⁽¹⁾ و في تعليق الزمخشري على هذه الآيات ما يوحي أن السكاكي قد استعان في تحليله هذا على ما قرأه عنده، ثم أضاف دقة في العرض و توسعا في الشرح.⁽²⁾

و مما خفي فيه أمر الجامع قوله تعالى (يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس و الحج، و ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها.)،⁽³⁾ فلا رابط بين أحكام الأهلة و بين إتيان البيوت من ظهورها، كما يبدو ظاهرياً، غير أننا إذا عرفنا سبب نزول الآية زال الإشكال. فقد كان أهل الجاهلية، باستثناء قريش و من ولدته قريش من العرب، إذا أحرم أحدهم في غير أشهر

(1) - السكاكي، مفتاح العلوم 140.

(2) - يقول الزمخشري: " فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء و الجبال و الأرض و لا مناسبة، قلت، قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم و بواديهما فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم "الكشاف 4 : 207.

(3) - البقرة : 189.

الحج، في بيت مدر أو شعر أو خباء ثقب في بيته تقبا ليدخل منه و يخرج، و لا يخرج من الباب، و ظلوا يفعلون ذلك في الإسلام، فنزلت الآية لتبين لهم سخف ما يفعلون. (1) يقول الزمخشري: "فإن قلت: "فما وجه اتصاله بما قبله، قلت: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلّة و عن الحكمة في نقصانها و تمامها، معلوم أن كل ما يفعلها الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغّة، و مصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، و انظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء، و أنتم تحسبونها برا. و يجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد، لما ذكر أنها مواقيت للحج؛ لأنه كان من أفعالهم في الحج. و يحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم، و أن مثلهم كمثل من يترك باب البيت و يدخله من ظهره، و المعنى ليس البر و ما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، و لكن البر بر من اتقى ذلك، و تجنبه و لم يجسر على مثله." (2)

و مما خفي فيه أمر الجامع أيضا قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير، و أتينا موسى الكتاب.) (3) فالتقدير، كما يرى الزمكاني "أطلعناه على الغيب عيانا، و أخبرناه بوقائع من سلف بيانا، ليقوم إخباره بذلك على معجزته برهانا، أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته، لتقصها ذكرى، و أخبرك بما جرى لموسى صلى الله عليه و سلم و قومه في الكرتين، ليكون قصها آية أخرى." (4)

(1) للفرّاء، معاني القرآن 1 : 115-116.

(2) الزمخشري، الكشاف 11 : 117.

(3) الإسراء : 1-2.

(4) الزمكاني، البرهان الكاشف 265.

مواطن الوصل بين الجمل :

ذكر الشيخ عبد القاهر في خلاصة حديثه عن الفصل و الوصل، أن ترك العطف يكون إما للاتصال للغاية، و هو ما سماه البلاغيون بعده: كمال الاتصال، أو الانفصال للغاية، و هو ما سماه البلاغيون بعده: كمال الانقطاع، ثم ذكر أن العطف بين الجمل يكون لما هو واسطة بين الأمرين.⁽¹⁾ و لكنه فيما يخص العطف لم يذكر سوى الجهة الجامعة، و أغفل ما سماه: واسطة بين الأمرين، و هذا الأمر اتضح لدى البلاغيين الذين عقبوه، فذكروا حالتين تعطف فيهما الجمل بعضها على بعض، و نحن نفصل ذلك كمايلي:

1- التوسط بين الحالتين: إن الحالة الأولى المقتضية للوصل بين الجمل هي ما سماه البلاغيون: التوسط بين حالتي كمال الانقطاع و كمال الاتصال، يحصل هذا إذا اتفقت الجملتان خبراً أو إنشاء لفظاً أو معنى فقط مع وجود جامع بين الجملتين.⁽²⁾

أ- عطف الخبر على الخبر: فمن الجمل الخبرية المتعاطفة التي اتفقت لفظاً قوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم و إن الفجار لفي جحيم).⁽³⁾ و قوله تعالى (يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي).⁽⁴⁾

ب- عطف الإنشاء على الإنشاء : من الجمل الإنشائية التي اتفقت لفظاً قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع).⁽⁵⁾

ج- عطف الإنشاء معنى على الإنشاء لفظاً : و قد تتفق الجملتان فتكون إحداها إنشائية لفظاً، و تكون الأخرى خبرية في معنى الإنشاء. و من ذلك قوله تعالى (و إذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل

(1) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 171.

(2) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 140 و القزويني، التلخيص 190 و التفتازاني، مطول على التلخيص 202.

(3) الإنفطار: 13-14.

(4) الروم: 19.

(5) الجمعة: 9.

لا تعبدون إلا الله، وبالوالدين إحساناً، وذي القربى و اليتامى و المساكين، و قولوا للناس حسناً.(1) فقولته: لا تعبدون، يتضمن معنى النهي، أي: لا تعبدوا، وقوله: و بالوالدين إحساناً يتضمن الأمر، و لذا صح عطف قوله (قولوا للناس حسناً) على ما قبله(2) و قد علق أحمد بن المنير الإسكندري على الآية بقوله: "وجه الدليل منه أن الأول لو لم يكن في معنى النهي لما حسن عطف الأمر عليه؛ لما بين الأمر و الخبر المحض من التنافر."(3) و جعل الزمخشري قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أذلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم، يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، و مساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم، و أخرى تحبونها. نصر من الله و فتح قريب، و بشر المؤمنين).(4) من هذا القبيل، إذا اعتبرنا أن (تؤمنون) تتضمن معنى الأمر بمعنى آمنوا؛ لذا صح عطف (و بشر المؤمنين) عليها(5) بينما يرى السكاكي أن قوله (و بشر المؤمنين) معطوف على (قل) المقدرة قبل (يا أيها الذين آمنوا)، أي: قل يا محمد: يا أيها الذين آمنوا... و بشر المؤمنين. و قد علق بقوله: "فتأمل جميع ذلك و كن الحاكم دوني."(6) و الحق أن رأي السكاكي أدخل في الذهن؛ لأننا إذا أخذنا برأي الزمخشري نكون قد عطفنا ما خوطب به الرسول-ص- و هو (بشر) على ما خوطب به الذين آمنوا، و لا يخفى ما في ذلك من عدم الانسجام، و لست أدري لماذا اعتبر شوقي ضيف أن التمثل ظاهر في رأي أبي يعقوب السكاكي.(7) و ذهب القزويني إلى أن قوله تعالى (و بشر المؤمنين) معطوف على محذوف، أي: فابشر يا محمد و بشر.(8) و لست اقتنع بهذا الرأي، لأن السياق العام لهذه الآيات لا يشعر بذلك.

(1)-البقرة : 83.

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف: 1: 79 و السكاكي، مفتاح العلوم 140.

(3) الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير الإسكندري المالكي، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال. طبع الكتاب على هامش الكشاف للزمخشري 1: 79 دار المعارف بيروت.

(4)-الصف : 10-13.

(5) ينظر : الزمخشري، المصدر السابق 4: 95.

(6)-السكاكي، المصدر السابق 141.

(7) ينظر : د. شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ 298، دار المعارف، مصر 1965.

(8) ينظر: القزويني، الإيضاح 119.

د- عطف الخبر معنى على الخبر لفظاً: و قد تتفق الجملتان فتكون إحداهما لفظاً، و تكون الأخرى إنشائية في معنى الخبر، نحو قوله تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار، و من حولها، و سبحان الله رب العالمين، يا موسى إنه أنا العزيز الحكيم، و الق عصاك).⁽¹⁾ فالكلام مشتمل على تضمن الإنشاء معنى الخبر، فقوله (و الق عصاك) معطوف على قوله (أن بورك) و المعنى: فلما جاءها قيل بورك، و قيل الق عصاك، ذلك أن (أن) التفسيرية هذه تأتي بعد فعل في معنى القول.⁽²⁾ و عليه قوله جل و علا (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب، أن لا يقولوا إلا الحق، و درسوا ما فيه).⁽³⁾ يقول الزمخشري: "فإن قلت: علام عطف قوله (و درسوا ما فيه) قلت: على (ألم يؤخذ عليهم)، لأنه تقرير، فكأنه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب، و درسوا ما فيه." ⁽⁴⁾ و عد التفتازاني قوله تعالى (قال إني أشهد الله و أشهدوا على أبي بريء مما تشركون).⁽⁵⁾ من هذا القبيل، إذا إن قوله (و أشهدوا) في معنى (و أشهدكم).⁽⁶⁾ و ذكر الزمخشري أنه لم يقل: إني أشهد الله و أشهدكم مباشرة، لأن "إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد و شد معاقده، و أما إشهدهم فما هو إلا تهاون بدينهم و دلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، و جيء به على لفظ الأمر بالشهادة."⁽⁷⁾

هـ- ما يوهم أنه من عطف الإنشاء على الخبر أو العكس: تبدو بعض الآيات ظاهرياً، أنها مما عطف فيه الإنشاء على الخبر أو العكس، و هو الأمر الذي يجيزه البلاغيون⁽⁸⁾؛ و لذا وجدناهم يؤولون ذلك. و منه قوله تعالى (فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا، فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة،

(1)- النمل: 8-10

(2) ينظر: الزمخشري، الكشاف 2: 102 و السكاكي، مفتاح العلوم 141.

(3)- الأعراف: 169.

(4)- الزمخشري، المصدر السابق 2: 102.

(5)- هود: 54.

(6) ينظر: التفتازاني، مطول على التلخيص 203.

(7)- الزمخشري، المصدر السابق 2: 221.

(8) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 164 و السكاكي، المصدر السابق 137 و ابن الناظم، المصباح 30-31.

أعدت للكافرين، و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار⁽¹⁾، يقول الزمخشري: " فإن قلت: علام عطف هذا الأمر، ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف المؤمنين عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يعاقب بالقيد و الإرهاق، و بشر عمرا بالعفو و الإطلاق. و لك أن تقول: هو معطوف على قوله (فاتقوا) كما تقول: يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، و بشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم⁽²⁾ و يرى أبو يعقوب السكاكي أن قوله (و بشر) معطوف على (قل) المقدره قبل قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا...) ⁽³⁾ أي: قل يا محمد يا أيها الناس اعبدوا ربكم... و بشر الذين آمنوا... ⁽⁴⁾ و ذهب القزويني، و معه التفزازاني، إلى أن قوله (وبشر) معطوف على محذوف قبله، أي: فانذرهم و بشر الذين آمنوا. ⁽⁵⁾ و الحق أن تأويل السكاكي أدخل في الدهن؛ لأن لفظ (قل) قد تكرر في القرآن و كان المخاطب به، لا محالة، محمد-ص- أو غيره من الأنبياء. و من ذلك قوله تعالى (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن). ⁽⁶⁾ و قوله تعالى (قل يا أيها الذين هادوا...) ⁽⁷⁾ و قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) ⁽⁸⁾، و أشباه ذلك في القرآن الكريم مما لا يحصى.

(1)-البقرة: 24-25.

(2)-الزمخشري،الكشاف 1: 51.

(3)-البقرة 21.

(4)-ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 141. ذكر الزمخشري أن المخاطب هنا ليس محمدا-ص- بالضرورة، و إنما يجوز أن يكون كل احد" كما قال عليه الصلاة و السلام: يبشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة، لم يأمر بذلك واحد بعينه، و إنما كل أحد مأمور به، و هذا الوجه أحسن و أجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمة، و فخامة شأنه محقق بأن يبشر به كل من قدر على الإشارة به " المصدر السابق 1: 51.

(5)-ينظر: القزويني، الإيضاح 119 و التفزازاني، مطول على التلخيص 103.

(6)-الجن: 1.

(7)-الجمعة: 6.

(8)-المائدة: 59.

و مما تأوله البلاغيون أيضا قوله تعالى (قل أرغب أنت عن ألهي يا إبراهيم، لئن لم تنته لأرجمنك و اهجرني مليا)⁽¹⁾، يقول الزمخشري: "فإن قلت: علام عطف (و اهجرني) قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه (لأرجمنك) أي: فاحذرني و اهجرني؛ لأن (لأرجمنك) تهديد و تقييد."⁽²⁾

2- الوصل لدفع الإيهام: إن الحالة الثانية المقتضية للوصل بين الجمل، هي ما سماه القزويني بالوصل لدفع الإيهام⁽³⁾ و مثل لها بمثال واحد هو: لا و أيدك الله. فحق الجملتين هنا أن تفصلا عن بعضهما لما بينهما من كمال الانقطاع؛ فالأولى و التي تمثلها (لا) جملة خبرية؛ لأن الأصل هو (لا أبيع)، في حين أن جملة (أيدك الله) إنشائية معنى لما فيها من دعاء، و لكن الفصل هنا يوهم بعكس المراد؛ و لذا وصلت الجملتان دفعا للإيهام، و إزالة للالتباس الذي ينتاب السامع.

و من هنا عنت أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ذلك الأعرابي الذي لقيه يبيع ثوبا، فقال له: أنتبيع الثوب، فرد الأعرابي: لا عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا و عافاك الله.⁽⁴⁾

الجملة المعطوفة على جملة و بينهما جملة أو أكثر:

ذكر الشيخ عبد القاهر أن الجملة، أحيانا، لا تعطف على الجملة التي تسبقها رأسا، و إنما يكون بينهما وبين المعطوف عليها جملة أو أكثر. و وصف هذا بأنه مما يقل فيه نظر الناس.⁽⁵⁾

و مثل لذلك يقول المتنبي:

تولوا بغتة فكان بيينا تهيبني، ففاجأني اغتيالاً
فكان مسير عيسهم ذميلاً و سير الدمع إثرهم إنهما لا⁽⁶⁾

(1) -مریم : 46.

(2) -الزمخشري، الكشاف 2 : 413.

(3) -ينظر: القزويني، التلخيص 190 و الإيضاح 118.

(4) -ينظر : الجاحظ، البيان و التبيين 1 : 261.

(5) - ينظر: الجرجاني: دلالات الإعجاز 171.

(6) - المتنبي، الديوان 1 : 289-290 شرحه الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت 1964. و تهيبني بمعنى هابني، و السير الذميل: اللين.

فقوله: فكان مسير عيسهم معطوف على (و تولوا بغتة) دون ما يليه من قوله (ففاجائي)؛ لأننا إن "عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيث أنه يدخل في معنى كأن، و ذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة، و يكون متوهماً، كما كان تهيب البين كذلك. و السبب في ذلك أن الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة أخيراً، و بين المعطوف عليها الأولى ترتبط في معناها بتلك الأولى، كالذي ترى أن قوله (فكان بينا تهيبني) مرتبط بقوله (تولوا بغتة) و ذلك أن الثانية مسبب و الأولى سبب. ألا ترى أن المعنى: تولوا بغتة فتوهمت أن بينا تهيبني. و لا شك أن التوهم كان بسبب أن كان التولي بغتة. و إذا كان ذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد، و كان منزلتها منها منزلة المفعول و الظرف و سائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل، مما لا يمكن إفراده على الجملة، و أن يعتد كلاماً على حدته"⁽¹⁾، ثم نبه على أمر دقيق آخر، و هو أن قولهم: فكان مسير عيسهم ذميلاً لم يعطف وحده على ما عطف عليه" و لكن العطف تناول جملة البيت مربوطاً آخره بأوله. ألا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن تجعل توليهم بغتة، و على الوجه الذي توهم من أجله أن البين تهيبه مستدعياً بكاءه، و موجبا أن ينهمل دمه، فلم يعنه أن يذكر ذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع، و أن يوفق بينهما؟... و كذلك الحكم في الأول، فنحن و إن كنا قلنا إن العطف على (تولوا بغتة) فإننا لا نعني أن العطف عليه مقطوعاً عما بعده، بل العطف عليه مضموماً إليه ما بعده إلى آخره، و إنما أردنا بقولنا إن العطف عليه أن نعلمك أنه الأصل، و أن نصرفك عن أن تطرحه، و تجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه، فتزعم أن قوله: فكان سير عيسهم معطوف على (فاجائي)، فتقع في الخطأ كالذي أريناك. فأمر العطف إذا موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، و تعتمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضاً على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك."⁽²⁾

(1) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 171 و ينظر: أيضا الزملكاني، البرهان الكاشف . 289.

(2) - الجرجاني، المصدر السابق : 172.

و من ذلك أيضا قوله تعالى (و ما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، و ما كنت من الشاهدين، و لكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر، و ما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا، و لكننا كنا مرسلين)⁽¹⁾، فإننا لو جرينا على الظاهر فعطفنا كل جملة على ما يليها رأسا لأختل المعنى، و ذلك أنه" يلزم منه أن يكون قوله (و ما كنت ثاويا في أهل مدين) معطوفا على قوله (فتطاول عليهم العمر) و ذلك يقتضي دخوله في معنى (لكن) و يصير كأنه قيل: و لكنك ما كنت ثاويا، و ذلك ما لا يخفى فساده. و إذا كان ذلك كذلك بان منه أنه ينبغي أن يكون قد عطف مجموع (و ما كنت ثاويا في أهل مدين ... إلى ..مرسلين) على مجموع قوله (و ما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ... إلى قوله : العمر)."⁽²⁾

و ههنا يتوقع عبد القاهر الجرجاني اعتراضا، و هو: ماذا لو جعلنا (و ما كنت ثاويا في أهل مدين) معطوفا على (و ما كنت من الشاهدين)، دون ما بعده، إلى قوله (العمر)؟ فيرد قائلا: "لأننا إن قدرنا ذلك و جب أن ينوى به التقديم على قوله (ولكننا أنشأنا قرونا)، و أن يكون الترتيب: و ما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، و ما كنت من الشاهدين، و ما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا و لكننا أنشأنا قرونا، فتطاول عليهم العمر، و لكننا كنا مرسلين. و في ذلك إزالة (لكن) عن موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه، ذلك لأن سبيل (لكن) سبيل (إلا)، فكما لا يجوز أن نقول: جائني القوم، و خرج أصحابك. إلا زيدا و إلا عمرا بجعل (إلا زيدا) استثناء من جائني القوم، ولا (إلا عمرا) من خرج أصحابك. كذلك لا يجوز أن تصنع مثل ذلك بـ (لكن) فنقول: ما جائني زيد و ما خرج عمرو و لكن بكرا حاضر و لكن أخاك خارج. فإذا لم يجز ذلك، و كان تقديرك الذي زعمت يؤدي إليه و جب أن تحكم بامتناعه فاعرفه."⁽³⁾

(1)-القصص : 44-45.

(2)-الجرجاني، دلائل الإعجاز 173.

(3)-المصدر السابق 173-174.

محسنات الوصل :

ذكر البلاغيون أن من محسنات الوصل أن تتناسب الجمل في الاسمية و الفعلية، و في المضي و المضارعة، و في ماشاكل ذلك.⁽¹⁾ و كلما كان الجامع أظهر كلما كان الوصل بالقبول أجدر.⁽²⁾ و من ذلك قوله تعالى (قد أفلح من زكاهها، و قد خاب من دساها).⁽³⁾ و قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فأوى، و وجدك ضالاً فهدى، و وجدك عائلاً فأغنى).⁽⁴⁾

قد نجد أحيانا أن الجملة الفعلية تعطف على غير نظيرتها، و كذلك الجملة الاسمية، و لا يصر إلى ذلك" في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة، كالنتبيه على الاختلاف في التجدد و الثبوت.⁽⁵⁾ فإذا قلنا: قام زيد و عمرو قاعد، و كانا قاعدين سوية قبل قيام زيد، كنا نريد بذلك التجدد في الجملة الأولى، و الثبوت في الثانية.⁽⁶⁾ و من ذلك قوله تعالى (سواء عليهم أوعتوهم أم أنتم صامتون).⁽⁷⁾ فالمعنى ههنا أن إحداثكم الدعوة لهم، أو استمراركم على صمتكم معهم سواء، فالحال لن تفترق؛ لأن الذين تدعون، و من دون الله، حجارة لا تنطق، و لا تجيب.⁽⁸⁾

و من ذلك قوله تعالى (أجئنا بالحق، أم أنت من اللاعبتين).⁽⁹⁾ فقد حسب قوم إبراهيم عليه السلام أن ما قاله قاله" على وجه المزاح و المداعبة، لا على طريق الجد.⁽¹⁰⁾ فالمعنى ههنا إذا "أجددت وأحدثت عندنا تعاطي الحق فيما نسمعه منك، أم اللعب، أي أحوال الصبا بعد على

(1) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 147 و القزويني، الإيضاح 121-122 و التفقازاني، مطول على التلخيص 208. لم يرد ذكر هذا الأمر عند الشيخ عبد القاهر.

(2) ينظر ابن الناظم، المصباح 33.

(3) الشمس: 9-10.

(4) الضحى: 6-8.

(5) ابن الناظم، المصدر السابق : 33.

(6) ينظر: السكاكي، المصدر السابق 148.

(7) الأعراف: 193.

(8) ينظر: الزمخشري، الكشاف 1 : 110 السكاكي، المصدر السابق 148 و ابن الناظم، المصدر السابق 33.

(9) الأنبياء : 55.

(10) الزمخشري، المصدر السابق 3 : 14.

استمرارها عليك، استبعادا منهم أن تكونة الأصنام من الضلال." (1) فقد عطفت الجملة الاسمية، في الآية على الجملة الفعلية لإفادة معنى مقصود و غرض محدد؛ و لذا حسن العطف في الآية.

و من ذلك قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله، و هو خادعهم.) (2)، فالمعنى هنا أن خداع الله ثابت مستمر، و أنه فوق مخادعتهم، و مجاوز لها، و أن الله سبحانه" فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث تركهم معصومي الدماء و الأموال في الدنيا، و أعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة." (3)

و قوله تعالى (و مكروا و مكر الله، و الله خير الماكرين.) (4) فقد عطفت الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لإثبات أن مكر الله لا يعادله مكر، فهو سبحانه" أقواهم مكرا، و أنفذهم كيـدا، و أقدروهم على العقاب، من حيث لا يشعر المعاقب." (5)

و قد يراد في إحدى الجملتين المضى، و في الأخرى المضارعة، مثل قوله تعالى (إن الذين كفروا و يصدون عن سبيل.) (6)، و المعنى: إن الذين سبق منهم الكفر و يصدون، زيادة على كفرهم، عن سبيل الله لهم عذاب أليم يوم القيامة، خصوصا إذا كان صدهم مستمرا دائما، و هو ما يراه الزمخشري. (7)

(1) -السكاكي، مفتاح العلوم 148 و ينظر: ابن الناظم، المصباح 33.

(2) - النساء 142.

(3) -الزمخشري، الكشاف 1: 306.

(4) - آل عمران : 54.

(5) -الزمخشري، المصدر السابق 1 : 192.

(6) -الحج : 25.

(7) -ينظر: الزمخشري، المصدر السابق 3 : 29.

و من ذلك قوله تعالى (فريقا كذبتهم، و فريقا تقتلون.)⁽¹⁾ يقول الزمخشري "فإن قلت هلا قيل و فريقا قتلتم؟ قلت: هو على وجهين، أن تراد الحال الماضية، لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس، و تصويره في القلوب. و أن يراد و فريقا تقتلونهم بعد؛ لأنكم تحرمون حول قتل محمد -ص- لولا أنني أعصمه منكم، و لذلك سحرتموه سمتم له الشاة."⁽²⁾

الجملة الحالية⁽³⁾

إن الجملة إذا كانت في موضع حال ترد ثارة بالواو، و ثارة بدونه. و هي في ذلك لا تخلو من إحدى حالتين؛ فإما أن تكون اسمية أو فعلية. و نحن ندرسها، على هدي ما كتبه البلاغيون، على هذا الأساس.

الجملة الاسمية :

سندرس الجملة الاسمية ههنا بحسب الحالات التي ترد فيها، و هي كما يلي:

- 1- المبتدأ و الخبر : إن الغالب في الحال من مبتدأ و خبر أن تصحبها الواو⁽⁴⁾ نحو قولنا: جاءني زيد و عمرو أمامه، و أتاني و سفيه على كتفه. و من ذلك قول امرئ القيس :

أيقتلني و المشرفي مضاجعي و مسنونة رزق كائيات أحوال⁽⁵⁾

(1)- البقرة : 87.

(2)- الزمخشري، الكشاف 1 : 80..

(3) خصص الشيخ عبد القاهر فصلا مستقلا للجملة الحالية في كتابة (دلائل الإعجاز) أسماء: فروق في الحال له فضل تعلق بالبلاغة. و لم يلحقها بموضوع الفصل و الوصل الذي خصه أيضا بفصل مستقبل. أما البلاغيون بعده فألحقوا الجملة الحالية بالنظام الذي ندرسه، و اعتبروها، أي الجملة الحالية جزءا مكمل لهذا النظام. و لعل أول من ابتدأ ذلك هو أبو يعقوب السكاكي، ثم هذا حذوه من أتوا بعده من المهتمين بالدرس البلاغي، و خصوصا من أعتنوا بكتابة يقول" و إذا لخصنا الكلام في الفصل و الوصل إلى هذا الحد فالحري أن نلحق به الكلام في الحال التي تكون جملة، لمجيئها تارة مع الواو، و أخرى لا معها. "مفتاح العلوم 148. و يقول القزويني: " و مما يتصل بهذا الباب القول في الجملة إذا وقعت حالا متنقلة فإنها تجيء ثارة بالواو، و ثارة بغير الواو." الإيضاح 22.. و قد اعتنى البلاغيون بالحال التي تكون جملة و اهتموا ما كان منها مفردا، يقول عبد القاهر: " اعلم أن أول فرق في الحال أنها تجيء مفردا و جملة، و القصد ههنا إلى الجملة." دلائل الإعجاز 142.

(4) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 142 و السكاكي، مفتاح العلوم 149. و ذكر القزويني انه يجوز الأمران إلا أن مجيء الواو أولى. ينظر: القزويني، الإيضاح 126.

(5)- امرئ القيس، الديوان 33.

و من التنزيل قوله تعالى(ولو في الأرض من شجرة أقلام،و البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر، ما نفدت كلمات الله.)⁽¹⁾ فالمعنى ههنا:لو أن الأشجار في كون حال البحر مداد.⁽²⁾

2-المبتدأ ضمير منفصل:إذا كان المبتدأ في الجملة الاسمية" ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو ألبتة"⁽³⁾ و ذلك نحو قولنا:جاءني زيد و هو راكب،و رأيت زيدا و هو جالس.فلو تركت "الواو في شيء من ذلك لم يصلح".⁽⁴⁾

3-الخبر ظرف مقدم : إذا كان الخبر في الجملة الاسمية ظرفا مقدما على مبتدئه كقولنا:عليه سيف،و في يده سوط،كثير أن تجيء بغير واو.⁽⁵⁾ و من ذلك قول بشار:

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي علي سواد⁽⁶⁾

يعني:علي بقية من الليل.⁽⁷⁾

و منه قول أمية بن أبي الصلت:

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلا⁽⁸⁾

فقوله:عليك التاج،جملة اسمية وقعت في موضع حال،و قد حذف منها الواو،لأن خبرها ظرف.و من ذلك قول واثلة بن خليفة السدوسي:

(1)-لقمان:27.

(2)- ينظر:الزمخشري،الكشاف 3: 215.

(3) و (4) الجرجاني،دلائل الإعجاز 142 و ينظر:القزويني،الإيضاح 127.

(5)ينظر الجرجاني، المصدر السابق 142 و الزملكاني، التبيين في علم البيان 120 و القزويني،الإيضاح 127. جوز الزمخشري الأمرين جميعا؛ أي إن إيراد الواو أو الاستغناء عنها سواء ينظر الكشاف 2: 310، و تبعه السكاكي في ذلك ينظر:مفتاح العلوم 149 و ذكر قوله تعالى(و ما أهلكنا من قرية إلا و لها كتاب معلوم) الحجر: 4 إذا اعتبر أن جملة (ولها كتاب معلوم) و التي خبرها ظرف في موضوع حال، في حين يرى الزمخشري أن هذه الجملة صفة لقرية و أن الواو للعطف،و المعطوف عليه محذوف والقياس أن تحذف هذه الواو كما في قوله تعالى (و ما أهلكنا من قرية إلا لها كتاب معلوم) الشعراء : 208.

(6)- بشار بن برد،الديوان، 3 : 49 نشره و قدم له و شرحه و أكمله محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر. القاهرة 1376 و فيه: نهضت بدل خرجت.

(7)- ينظر:الجرجاني: المصدر السابق 142 و الزملكاني، المصدر السابق 120 و القزويني،التلخيص 207-208.

(8)- أمية بن أبي الصلت،الديوان، 458.جمعه و حققه و درسه:د.عبد الحفيظ السلطي المطبعة التعاونية دمشق 1974 مرتفقا:متكئا، و المحلل: التي يكثر فيها الحلول و الإقامة.

لقد صبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها في يديك قضيب⁽¹⁾

فقوله: في يديك قضيب في موضع حال، و حذف الواو؛ لأن الخبر ههنا ظرف.

4- مجيء الاسمى بدون واو: و قد تجيء الجملة الاسمى بدون واو، إلا أن ذلك لا يطرد⁽²⁾

و منه قولهم: كلمته فوه إلى في، ورجع عوده على بدئه. و منه قول الشاعر⁽³⁾:

نصف النهار الماء غامره و رفيقه بالغيب لا يدري

ومن ذلك أيضا ما أنشده الشيخ أبو علي في الأغفال⁽⁴⁾:

و لولا جنان الليل، ما آب عامر إلى جعفر، سربا له لم يمزق⁽⁵⁾

و من ذلك أيضا قول الشاعر :

ثم راحوا عيق المسك بهم⁽⁶⁾

و قول الشاعر :

ما بال عينيك دمعها لا يرقأ⁽⁷⁾

و قول الشاعر :

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود و الكرم⁽⁸⁾

و تقديم الخبر على جملة (حاضراه الجود و الكرم) هو الذي حسن الاستغناء عن الواو في هذه

الجملة الحالية⁽⁹⁾.

(1) ينظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار 2: 295 المؤسسة المصرية العامة للتأليف. و الجاحظ، البيان و التبين 2: 313.

(2) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 143 و الزملكاني، التبيين في علم البيان 120 و القزويني، الإيضاح 126.

(3) هو المسيب بن علس ينظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق 241 تحقيق: أحمد محمد شاکر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط1، مصر 1956. يقول ابن السكيت " أراد أن تصف النهار، و الماء غامره لم يخرج قال: ذكر عائصا أنه غاص فانتصف النهار، فلم يخرج من الماء."

(4) يقول ابن النديم إن لأبي علي الفارسي كتابا اسمه (المسائل المصلحة) و يعرف بالأغفال ينظر: الفهرست 64 مكتبة خياط ببيروت.

(5) هو سلامة بن جندل، الديوان : 178 تحقيق: د. فخر الدين قباوة. المكتبة العربية، ط1، حلب 1968 و في الديوان: لم يخرق بدل لم يمزق. و جنان الليل: ظلمته.

(6) و (7) شطران أوردهما القزويني و لم يذكر صاحبيهما. ينظر: الإيضاح 127 و ترقا: تجف.

(8) نسبه البلاغيون إلى الأخطل و لم نعثر عليه في ديوانه.

(9) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 144 و الزملكاني، التبيين في علم البيان 120.

و من ذلك أيضا قول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما بني حوالي الأسود الحوارد⁽¹⁾

فقوله: كأنما بني ... إلى آخره في موضع "الحال من غير شبيهه، و لو أنك تركت كأن فقلت عسى أن تبصرني بني حوالي كالأسود رأيت لا يحسن حسنه الآن، و رأيت الكلام يقتضي الواو، كقولك عسى أن تبصريني، و بني حوالي كالأسود الحوارد".⁽²⁾

و من ذلك أيضا قول ابن الرومي :

و الله بيقيك لنا سالما برداك تبجيل، و تعظيم⁽³⁾

فقوله: برداك تبجيل حال ثانية، و مما حسن مجيئها بلا و او الحال المفردة (سالما) قبلها؛ لأننا لو قلنا: " و الله بيقيك برداك تبجيل لم يكن شيئا".⁽⁴⁾

ذكر الشيخ عبد القاهر أن القياس و الأصل أن لا تجيء " جملة من مبتدأ و خبر حالا إلا مع الواو، و أما الذي جاء من ذلك فسيبيله سبيل الشيء يخرج عن أصله و قياسه. و الظاهر فيه بضرب من التأويل و نوع من التشبيه، فقولهم: كلمته فوه إلى في إنما يحسن بغير واو. من أجل أن المعنى، كلمته مشافها، و كذلك قولهم رجع عوده على بدئه، إنما جاء الرفع و الابتداء من غير الواو؛ لأن المعنى رجع ذاهبا في طريقه الذي جاء فيه. و أما قوله: وجدته حاضرا الجود و الكرم، فلأن تقديم الخبر الذي هو (حاضرا) يجعله كأنه قال: وجدته حاضرا عنده الجود و الكرم ... و يدل على أن ليس مجيء الجملة من المبتدأ و الخبر حالا بغير الواو أصلا قلته، و انه لا يجيء إلا في الشيء بعد الشيء، هذا و يجوز أن يكون ما جاء من ذلك، إنما جاء على إرادة الواو، كما جاء الماضي على إرادة قد.⁽⁵⁾، و قد عد عبد القاهر الأمر ههنا ضربا من الحمل على المعنى.

(1) ديوان الفرزدق: 1 : 172 و فيه: فإني عسى، بدل: فقلت عسى، و الواو بدل الحوارد و الحوارد: ج حارد و هو الغاضب.

(2) -الجرجاني، دلائل الإعجاز 150 و ينظر: الزملكاني، التبيان في علم البيان 123 و القزويني، التلخيص 208.

(3) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 150 و لم أجد البيت في ديوان ابن الرومي.

(4) -الجرجاني، المصدر السابق : 151.

(5) -الجرجاني: المصدر السابق 154.

الجملة الفعلية :

إن الجملة الفعلية الواقعة حالاً، لا تخلو من أن يكون فعلها مضارعاً أو ماضياً و لكل حالة مقابليتها، و قد حددها البلاغيون كمايلي:

1- ذات الفعل المضارع : إذا كان فعلها مضارعاً فإنه إما أن يكون مثبتاً أو منفيماً فإذا كان مثبتاً "لم يكذب يجيء بالواو، بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو كقولك: جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه." (1) و من ذلك قول علقمة:

وقد علوت قنود الرحل يسفني يوم قد يديمه الجوزاء مسموم (2)

فقوله: يسفني يوم، جملة فعلية في موضع حال، و قد خلت من الواو؛ لأن فعلها مضارع مثبت و من التنزيل قوله تعالى (الله يستهزئ بهم، و يمدهم في طغيانهم يعمهون.) (3) و أما قول: عبد الله بن همام السلولي:

فلما خشيت أظايرهم نجوت، و أرهنهم مالكا (4)

و ما شبهوه به من قولهم: قمت و أصك وجهه. فالواو فيهما ليست للحال" و ليس المعنى نجوت راهناً، و قمت صاكاً، و لكن أرهن و أصك حكاية حال مثل قوله: (5)

و لقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت، ثم قلت لا يعينني

فكما أن (أمر) ههنا في معنى: مررت كذلك يكون: أرهن و أصك ههنا في معنى: رهنت و صككت. (6) و قد علل الشيخ عبد القاهر ذلك بأن الفاء تجيء مكان الواو مثل هذا كما في

(1)-المصدر دلائل الإعجاز 144.

(2)-ديوان علقمة الفحل 73 تحقيق: لطفي الصقال و درية الخطيب،مراجعة: د.فخر الدين قباوة دار الكتاب العربي، ط1، حلب 1969 و الشطر الثاني في الديوان كمايلي: يوم تجيء به الجوزاء مسموم. قنود الرحل: أعواده، و الرحل: مركب البعير، و الجوزاء من بروج السماء.

(3)-البقرة: 15.

(4)-في لسان العرب: أرهنهم بدل أرهنهم ينظر: ابن منظور، اللسان 13: 188 و على هذه الرواية تكون الواو للعطف.

(5)-ذكر سيبويه أن البيت لرجل من بني سلول ينظر سيبويه، الكتاب 3: 24 و لم ينسبه المبرد إلى أحد ينظر الكامل 3: 80.

(6)-الجرجاني، دلالات الإعجاز 145-146. عد بعضهم الواو ههنا استئنافية و ما بعدها مبتدأ محذوف و التقدير: و أنا أرهنهم و أنا أصك. ينظر: القزويني، الإيضاح 123.

حديث عبد الله بن عتيك عند دخوله على أبي رافع اليهودي، و هو في حصنه، فقال: "فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع، فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه بالسيف و أنا دهش."⁽¹⁾، فكما أن (أضربه) مضارع قد عطف بالفاء على ماض، لأنه في المعنى ماض "كذلك يكون أرهنهم معطوفا على الماضي قبله، و كما لا يشك في أن المعنى في الخبر (فأهويت فضربت) كذلك يكون المعنى في البيت: نجوت و رهننت."⁽²⁾

و إذا كان الفعل المضارع منفيا جاز فيه الأمران.⁽³⁾ فمما جاء بالواو قولهم في المثل: كنت و لا أخشى بالذئب.⁽⁴⁾ و قول مسكين الدرامي:

أكسبته الورق البيض أبا و لقد كان و لا يدعى لأب⁽⁵⁾

و قوله مالك بن ربيع:

أتاني مصعب و بنو أبيه فأين أحيد عنهم لا أحيد

أقادوا من دمي، و توعدوني و كنت و ما ينهنهني الوعيد⁽⁶⁾

و (كان) في كل ما ذكرنا تامة" و الجملة الداخلة عليها الواو في موضع حال. ألا ترى أن المعنى: وجدت غير خاش للذئب، و لقد وجد غير مدعو لأب، و وجدت غير منهته بالوعيد و غير مبال به، و لا معنى لجعلها ناقصة و جعل الواو مزيدة."⁽⁷⁾

(1)- الجرجاني، دلائل الإعجاز 146، و الرواية عند الطبري: "فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت قلت: أبا رافع، قال من هذا؟ قال: فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربة بالسيف و أنا دهش." تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري 2: 494 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر طر.

(2)- الجرجاني، دلائل الإعجاز 146.

(3)- ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 141 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 121 و القزويني، التلخيص 201 يرجح السكاكي ههنا ترك الواو.

(4)- ينظر أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال 2: 180 رقمه 3257 و نص المثل: لقد كنت و ما أخشى بالذئب، فالיום قيل: الذئب الذئب. قال الأصمعي: أصله أن الرجل يطول عمره، فيخرف إلى أن يخوف بالذئب.

(5)- ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني 20: 221 دار الثقافة-بيروت 1956 و الورق الدراهم المضروبة، ج أوراق و ورق.

(6)- ينظر: أبو علي القالي، ذيل الامالي 128 المطبعة الكبرى الأميرية. بولاق، طر. مصر 1324. و الرواية فيه: بغاني مصعب و بن أبيه فأين أحيد منهم لا أحيد. و نهته: كف و زجر.

(7)- الجرجاني، المصدر السابق 147.

و مما جاء من المضارع المنفي بغير واو. (1) قوله:

مضوا لا يريدون الرواح و غالهم من الدهر أسباب جرين على قدر (2)

فقوله: لا يريدون الرواح في موقع حال، و المعنى: مضوا تلك حالهم.

و من ذلك قول أعشى همدان:

أتينا أصفهان، فهزلتنا و كنا قبل ذلك في نعيم

و كان سفاهة مني، و جهلا مسيري لا أسير إلى حميم (3)

فقوله: لا أسير إلى حميم، في موقع حال" فكأنه قال: و كان سفاهة مني و جهلا أن سرت غير

سائر إلى حميم، و أن ذهبت غير متوجه إلى قريب. (4) و جعل الزمخشري، و بعده

القزويني، جملة: لا نؤمن، في قوله عز و جل (و مالنا لا نؤمن) (5) في موضع حال: "بمعنى غير

مؤنين كقولك مالك قائما. (6)

2- ذات الفعل الماضي: أما إذا كان فعلها ماضيا، فإنها تجيء تارة بالواو و تارة أخرى

بدونها (7)، و الماضي لا يقع حالا إلا مع (قد) مظهرة أو مقدره. (8)

فما جاء بالواو قولنا: أتاني و قد جهده السير. و قول امرئ القيس:

أبقتني و قد شغفت فؤاها كما شغف المهنوءة الرجل الطالي (9)

(1) نبيه الشيخ ههنا على دقة هذا الأمر، و قال إنه لا يهتدي إلى موضعه إلا من كان صحيح الطبع ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 149 و ينظر: الزمكاني، التبيان في علم البيان 122.

(2) هو عكرشة الضبي ينظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي، شرح ديوان الحماسة 3: 1055.

(3) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، و يكنى أبا المصباح ينظر: الأصفهاني، الأغاني 2: 33 و 43-44.

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز 148.

(5) المائدة 84.

(6) ذكر الشيخ عبد القاهر أن مجيء الجملة بالواو هو الكثير الشائع. ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 149 في حين يرى السكاكي أن الأرجح وردوها بدون واو. ينظر: مفتاح العلوم 149 و لم يرجع القزويني واحدا من الأمرين. الإيضاح 125.

(7) و (8) ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 149 و الزمكاني، التبيان في علم البيان 122.

(9) امرئ القيس، الديوان 33 و المهنوءة: الناقة تطلى بالقطران، فإنها في هذه الحالة قد يغشى عليها.

و المعنى: أيقنتني في حال شغفي لقلبها.

و قوله أيضا :

فجئت و قد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسه المتفضل⁽¹⁾

و المعنى:جئت و هي تتضو ثيابها استعداد للنوم.

و مما جاء في التنزيل من ذلك قوله تعالى(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل و أعناب تجري من تحتها الأنهار،له فيها من كل الثمرات،و أصابه الكبر.)⁽²⁾، و المعنى " أن تكون له جنة و قد أصابه الكبر." ⁽³⁾ و قوله تعالى(مالكم لا ترجون الله و قارا،و قد خلقكم أطوارا.)⁽⁴⁾ يقول الزمخشري:إن جملة(و قد خلقكم أطوارا)في موضع حال"كأنه قال مالكم لا تؤمنون بالله،و الحال هذه،و هي حال موجبة للإيمان."⁽⁵⁾

و قد عد القزويني المضارع المجزوم بلم و لما من هذا القبيل،لأنه في معنى الماضي.⁽⁶⁾

و ذكر من ذلك قوله تعالى(أني يكون لي غلام،و لم يمسنني بشر.)⁽⁷⁾ و قوله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة،و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم.)⁽⁸⁾ و قول كعب :

لا تأخذني بأقوال الوشاة و لم أذنب،و إن كثرت عني الأقاويل⁽⁹⁾

(1) - أمريء القيس،الديوان 14.

(2) -البقرة : 266.

(3) -الزمخشري،الكشاف 1 : 162.

(4) نوح:13-14.

(5) -الزمخشري،المصدر السابق 4 : 142.

(6) -ينظر:القزويني،التلخيص 202-203 و الإيضاح 125.

(7) -مريم :20.

(8) -البقرة 214.

(9) -شرح ديوان كعب بن زهير للإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري 20.مطبعة دار الكتب المصرية،ط،القاهرة 1950.

و مما جاء من الماضي بغير واو قول العرب: أتاني ذهب عقله، أي أتاني قد ذهب عقله. (1) و منه قول حندج. (2) :

متى أرى الصبح قد لاحت مخابله و الليل قد مزقت عنه السراويل

فقوله (قد لاحت مخابله) و (قد مزقت عنه السراويل) جملتان في موقع حال، و المعنى أن الليل استطل على الشاعر، فأصبح يتمنى رؤية الصبح على تلك الحال التي وصفه بها و كذلك الليل. و قول الآخر: (3)

فأبوا بالرمح مكسرات و أبنا بالسيوف قد انحنينا.

فقوله (قد انحنينا) جملة في موقع حال من السيوف، و المعنى أن الأعداد قد عادوا بالرمح مكسرات، و عدنا بالسيوف منحنية من شدة الطعان. و من اللطيف في هذا، كما يرى الشيخ عبد القاهر، قول الشاعر:

يمشون قد كسروا الجفون إلى الوغى متبسمين و فيهم استبشار (4)

فقوله (قد كسروا الجفون) جملة في موقع حال، و المعنى أنهم يمشون إلى الوغى و تلك حالهم. و منه قول الشاعر:

و إني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر (5)

فقوله (بلله القطر) في موقع حال، و المعنى ظاهر. و من التنزيل قوله تعالى (و فجرنا الأرض عيوننا، فالتقى الماء على أمر قد قدر) (6) فقوله (قد قدر) في موقع حال، أي: فالتقى ماء السماء بماء الأرض على حال قد قدرها الله كيف شاء. (7)

(1) ينظر: الفراء معاني القرآن 1: 282.

(2) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي 1: 99 مطبعة دار الكتب، طر، القاهرة. 1926 و ياقوت الحموي، معجم البلدان 3: 435 دار صادر، بيروت 1957.

(3) هو عبد الله الشارق بن عبد العزى الجهني. ينظر: شرح المرزوقي، ديوان الحماسة 1: 442 و 449.

(4) ينظر: د. إحسان عباس، شعر الخوارج. 116 دار الثقافة-بيروت.

(5) بيت ذكره القزويني و لم ينسبه إلى أحد. ينظر: القزويني، الإيضاح 125.

(6) القمر: 12.

(7) ينظر: الزمخشري، الكشاف 4: 45.

و قد عد القزويني من هذا القبيل أيضا المضارع المجزوم بلم، لأنه في معنى الماضي⁽¹⁾،
و ذكر لذلك قوله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء.)⁽²⁾

و قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا.)⁽³⁾ و ذكر أيضا قول امرئ القيس:

فأدرك لم يجهد، ولم يثن شأوه يمر كخدروف الوليد المتقب⁽⁴⁾

و قول زهير: كأن فتات العهن في منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم⁽⁵⁾

إذا كانت الجملة الواقعة حالا مصدرية بليس فالأكثر أن تأتي بالواو، لكنها قد تأتي بدون
واو.⁽⁶⁾ فتكون حينئذ ألطف و أدخل في البلاغة و أحسن.⁽⁷⁾ تقول: أتاني و ليس عليه
ثوب، و رأيتة و ليس معه غيره، و تركته ليس معه أحد، و جاءني ليس يحمل شيئا.
و روى الشيخ عبد القاهر من هذا قول الشاعر :

لنا فتى واحبذا الأفتاء تعرفه الأرسان و الدلاء

إذا جرى في كفة الرشاء خلى القلب ليس فيه الماء⁽⁸⁾

و من التنزيل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم، و مما أخرجنا لكم من
الأرض، و لا تيمموا الخبيث منه تنفقون، و لستم بأخذيه.)⁽⁹⁾، فقوله (ولستم بأخذيه) في موقع
حال، و معناه "و حالكم أنكم لا تأخذوه في حقوقكم."⁽¹⁰⁾

(1) ينظر: القزويني، التلخيص 203-204 و الإيضاح 125-126.

(2) آل عمران : 144.

(3) -الأحزاب : 25.

(4) -ديوان امرئ القيس 51.

(5) شرح ديوان زهير لأبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني 12. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1944 و الفنا: ج الفناء
و هو عنب الثعلب.

(6) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 149 و السكاكي، مفتاح العلوم 150 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 123.

(7) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 149.

(8) ذكر الشيخ عبد القاهر أن البيتين لأعرابي و لم يذكر اسمه. ينظر: دلائل الإعجاز 149-150. و في مفتاح العلوم: ليس فيه ماء.
والرشاء: الحبل. و القلب: البئر و قيل البئر القديمة.

(9) -البقرة: 267.

(10) -الزمخشري، الكشاف 1 : 162.

أسباب المجيء بالواو أو الاستغناء عنها:

لقد حاول البلاغيون تفسير السر الذي من أجله تأتي الجملة الواقعة حالا بالواو أحياناً، وبدونه في أحيان أخرى. حالوا ذلك رغم إدراكهم صعوبة هذا الأمر، ودقته؛ ذلك "لأن الطريق إليه غير مسلوک، والجهة التي منها تعرف غير معروفة." (1) ولعل مفتاح السر ههنا والانطلاق من حيث يجب الانطلاق، معنى ذلك أنه ينبغي أن نعود إلى الحال المفردة لنتبين على هديها معالم هذا الطريق ووعورته.

إن الأصل في الحال المفردة، سواء أكانت منتقلة أم مؤكدة (2)، أن تكون بغير واو؛ ذلك لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر. فالخبر ينقسم إلى خبر يكون جزء من الجملة، ولا تتم الفائدة دونها، وخبر ليس كذلك، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له. فالأول خبر المبتدأ كمنطلق في قولنا: زيد منطلق، والفعل في قولنا: خرج زيد. فكل واحد من هذين الخبرين جزء "أساسي من الجملة. و أما النوع الثاني من الخبر فهو الحال كقولنا: جاءني زيد ركباً، وذلك "لأن الحال خبر في الحقيقة، من حيث إنك تثبت بها المعنى لدى الحال، كما تثبته بالخبر للمبتدأ، وبالفعل للفاعل. ألا تراك قد أثبتت الركوب في قولك: جاءني زيد ركباً، لزيد. إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه، ولم تجرد إثباتك للركوب، ولم تباشره به ابتداءً، بل ابتدأت فأثبتت المجيء، ثم وصلت به الركوب، فالتبس به الإثبات على سبيل التابع لغيره، و شرط أن يكون في صلته، وأما في الخبر المطلق نحو: زيد منطلق و خرج عمرو، فإنك أثبت المعنى إثباتاً جردته له، وجعلته يباشر من غير واسطة" (3)، ثم

(1) - الجرجاني، دلالات الإعجاز : 151.

(2) - إن معنى الانتقال في الحال ألا تكون ملازمة للمتصف نحو: جاء زيد ركباً، ف (راكباً) وصف منتقل، وذلك لجواز انفكاكه عن (زيد) بأن يجيء ماشياً. أما الحال المؤكدة فإنها ما أكدت عاملها مثل قوله تعالى (ثم وليتم مدبرين) - التوبة - 25. ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1 : 626 و 653.

(3) - الجرجاني، المصدر السابق 151.

إن الحال، فضلاً عما ذكره الشيخ، بمثابة وصف لأصحابها كالنعت.⁽¹⁾ و لما كان كل من الخبر و النعت لا يحتاج إلى واسطة تجمع بينه و بين المخبر عنه، و الموصوف به؛ لأن قوة التعلق المعنوي بينهما تغني عن تكلف تعلق آخر⁽²⁾، و كانت الحال شبيهة بهما استغنت هي الأخرى عن رابط يجمع بينهما و بين صاحبها.

و إذا تبين هذا أدركنا أن الأصل أيضا في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو.⁽³⁾ فإذا قلنا: جاءني زيد يسرع، و أتاني عمرو قد هذه السير كان ذلك بمنزلة قولنا: جاءني زيد مسرعا، و أتاني عمرو مهودا بالسير؛ و لذا استغنت الجملتان عن الرابط لقوة العلاقة بينها و بين ذي الحال. و من ههنا يمكن القول إن الجملة إذا امتنعت من الواو فذلك، لأننا ضمنا الفعل الواقع في صدرها إلى الفعل الأول، و قصدنا إفادة إثبات واحد.⁽⁴⁾ و هكذا قول علقمة.

و قد علوت قنود الرحل يسفني يوم قد يديمة الجوزاء مسموم⁽⁵⁾

فكأنه قال: و قد علوت قنود الرحل بارزا للشمس ضاحيا.⁽⁶⁾

و كذلك قول حندج: متى أرى الصبح قد لاحت مخايله و الليل مزقت عنه السراويل⁽⁷⁾

فهو في معنى: متى أرى الصبح باديا، لائحا، بيضا، متجليا.⁽⁸⁾ و كذلك قولهم: رجع عوده على بدئه بمنزلة: رجع ذاهبا في طريقه الذي جاء فيه و على هذا يكون القياس في كل ما استغنى عن الواو؛ لأننا كلما استطعنا أن ننزل الجملة منزلة المفرد كان الغالب فيها أن تجيء بدون

(1) - ينظر: القزويني، التلخيص 196-197 و الإيضاح 122.

(2) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 149.

(3) - ينظر: المصدر السابق 149.

(4) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 151 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 123.

(5) - ديوان علقمة 73.

(6) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 152.

(7) - ينظر: أبو علي القالي، الأمالي 1 : 99.

(8) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 152.

واو. (1) و يمكن تنزيل "الجملة المستغنية عن الواو منزلة الجزاء الذي يستغني عن الفاء؛ لأن من شأنه أن يرتبط بالشرط من غير رابط في قولنا: إن تعطني أشكرك." (2)

و إذا جاءت الجملة حالا ثم اقتضت الواو فذلك، لأننا أردنا أن نستأنف بها خبرا آخر، غير قاصدين إلى ضمها إلى الفعل الأول في الإثبات- وهذا بعكس ما كان مع الجملة المستعينة عن الواو-؛ لأنها حينئذ تكون جملة مفيدة مستقلة بالفائدة. (3) فإذا قلت جاعني زيد و علامة يسعى بين يديه، و رأيته، و سيفه على كتفه، كان المعنى على أنك "بدأت فأثبتت المجيء و الرؤية، ثم استأنفت خبرا، و ابتدأت إثباتا ثانيا لسعي الغلام بين يده، و لكون السيف على كتفه. و لما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى، فجاء بالواو كما جيء بها في قولك: زيد منطلق و عمرو ذاهب، و العلم حسن و الجهل قبيح. و تسميتنا لها: واو الحال لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة." (4) فالجملة ههنا يمكن أن تنزل منزلة الجزاء الذي يحتاج إلى الفاء لتربطه بالشرط قبله في مثل قولنا: إن تأتني فأنت مكرم. (5)

قد يتعرض أحد على هذا التعليل في سبب مجيء الواو مع الجملة الواقعة حالا أو عدم مجيئها، و هو الأمر الذي توقعه الشيخ عبد القاهر، و حاول أن يفسره. يقول "فإن قلت: قد علمنا أن علة دخول الواو على الجملة أن تستأنف الإثبات، و لا تصل المعنى الثاني بالأول في إثبات واحد، و لا تنزل الجملة منزله المفرد، و لكن بقي أن تعلم لم كان بعض الجمل بأن يكون تقديرها تقدير المفرد، في أن لا يستأنف بها الإثبات أولى من بعض؟ و ما الذي منع في قولك: جاعني زيد و هو يسرع، أو هو مسرع أن يدخل الإسراع في صلة المجيء، و يضامه في الإثبات كما كان

(1) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 153.

(2) ينظر: المصدر السابق 152.

(3) ينظر: المصدر السابق 152 و السكاكي، مفتاح العلوم 149 و القزويني، الإيضاح 122.

(4) الجرجاني، المصدر السابق 152.

(5) ينظر: المصدر السابق 152.

ذلك حين قلت:جاءني زيد يسرع."⁽¹⁾ و الجواب على هذا-كما يرى الشيخ عبد القاهر-أن المعنى في قولنا:جاءني زيد وهو يسرع يكون على استئناف إثبات للسرعة،و هو ما لم يكن في قولنا:جاءني زيد يسرع؛لأن قولنا:جاءني زيد و هو يسرع بمنزلة قولنا:جاءني زيد و زيد يسرع تماما. فهناك جيء بالضمير و هنا بالاسم ظاهرا. و إذا عرفنا أدركنا أنه لا سبيل إلى إدخال(يسرع) في قولنا:جاءني زيد و هو يسرع في صلة المجيء،و ضمه إليه في الإثبات؛لأن إعادة ذكر زيد أو ضميره لا تكون إلا إذا قصد السرعة. و إذا لم نفعل ذلك نكون قد تركنا المبتدأ الذي هو ضمير زيد أو اسمه بمضيعة،و جعلناه لغوا،فجرى مجرى قولنا:جاءني زيد و عمرو يسرع أمامه. فههنا لا يمكن أن نزع أننا لم نستأنف كلاما،و لم نبتدئ للسرعة إثباتا،و أن نزع أيضا أن حال(يسرع) هنا هو حالها في قولنا:جاءني زيد يسرع؛لأننا إذا فعلنا ذلك كنا كأننا جعلنا السرعة لزيد و هي لعمرو.⁽²⁾

(1)-الجرجاني،دلائل الاعجاز 152.

(2)- ينظر:المصدر السابق، 153 و الزمكاني،التبيان في علم البيان 125.

الفصل الثاني

الفصل والوصل عند النحاة

كنت عزمت أول الأمر أن أسير، في هذا الفصل، على نفس النهج الذي رسمته في الفصل الأول، فأبين أولاً مواضع الفصل ثم أحققها بمواضع الوصل. و لكنني عدلت عن ذلك لسببين، أولهما أن هذا الصنيع سيوقعني في التكرار، فأضطر إلى تناول الجملة الحالية في الموضوعين، لأنها تأتي تارة مفصولة، وتارة موصولة. وكذلك الحال بخصوص أسلوب الشرح والاشتقاق، وثانيها أن هذا العمل لا يعطي صورة واضحة للقارئ عن الموضوع الذي يقرأه. إذ إنه سيجد الحديث عن الجملة الحالية، مثلاً، متبورا، ما دام جانب منها متناولا في موضع، وجانب في موضع آخر. ومن ههنا رأيت أن أغرض مادة هذا الفصل بحسب أبواب النحو وأساليبه.

أسلوب العطف

إن أسلوب العطف في اللغة العربية يعد جزءا مهما من نظام الفصل والوصل ذلك أن الأدوات، التي تعتبر أساسه، تأتي للوصل بين مفردتين أو جملتين وأكثر.⁽¹⁾ ونحن ههنا سيكون تركيزنا منصبا على عطف الجمل أكثر من المفردات، منتبحين في ذلك منهج البلاغيين؛ لأن ظاهرة الفصل والوصل بلاغية في أساسها، وسنعرض أيضا إلى أدوات العطف، باعتبارها محورا نظام الوصل، فنبين معانيها الأصلية، وما تخرج إليه من معان ثانوية أخرى وذلك باختصار، وسندنا في ذلك كتب النحو، خصوصا ما اهتم منها بالأدوات.

(1) - ينظر: الزمخشري، المفصل 303، مطبعة التقدم طر، مصر 1323هـ، و موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل 8 : 9، عالم الكتب، بيروت. يقول ابن يعيش: "و المراد من عطف الجملة على الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى، والإيدان بحصول مضمونهما، لئلا يظن المخاطب أن المراد الجملة الثانية، وأن ذكر الأول كالغلط، كما تقول في بدل الغلط: جاءني زيد عمرو، و مررت برجل ثوب. فكانهم أرادوا إزالة هذا التوهم بربط إحدى الجملتين بالأخرى، بحرف العطف، ليصير الإخبار إخبارا واحدا." شرح المفصل 8 : 9.

و لعل من نافلة الحديث هنا أن نشير إلى معنى العطف لغة و اصطلاحا. فقد جاء في (لسان العرب) مايلي: "عطف الشيء يعطفه عطا و عطوفا" فانعطف، و عطفه فتعطف ه: حناه و أماله. و يقال: عطفت رأس الخشبة فانعطف، أي حنيته فانحنى. و عطفت أي ملت. و قوس معطوف ومعطفة: معطوفة إحدى السببتين على الأخرى، و عطا كل شيء جانباه. (1)

و قد أكتسبت المعنى الاصطلاحي دلالاته من هذه المعاني اللغوية. إذ إن العطف هو أن تعطف مفردا على مفرد، أو جملة على جملة (2) و سمي هذا الباب في النحو عطا؛ لأن "الثاني مثني إلى الأول، و محمول عليه في إعرابه" (3) أي أن الثاني يشارك الأول في حكمه و إعرابه. (4) و قد كان الكوفيون يستعملون مصطلح النسق عوض العطف. و النسق" في قولهم ثغر نسق، إذا كانت أسنانه مستوية، و كلام نسق، و إذا كان على نظام واحد. فلما شارك الثاني الأول و ساواه في إعرابه سمي نسقا. (5)

الأدوات (6) :

ظهر الاهتمام بحروف المعاني عند العرب مبكرا. فقد اعتنى النحاة و اللغويون و المفسرون بالأدوات لما لها من دور في المعنى. و من هنا كانت معظم كتب النحو و التفسير و اللغة و غيرها، تذكر في ثناياها حديثا عن قواعد اللغة العامة، دون أن تفصلها عنها. (7)

(1) -ابن منظور، لسان العرب 249-250.

(2) -ينظر: الزمخشري، المفصل 303.

(3) -ابن يعيش، شرح المفصل 8: 808.

(4) -ينظر: المبرد، المقتضب 1 : 12، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

(5) -ابن يعيش، المصدر السابق 8: 98.

(6) -يراد بالأدوات الحروف و ما شابهها من الأسماء و الأفعال. ينظر ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 5، تحقيق د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، طر: 1969.

(7) -ينظر: أحمد المالقي، تمهيد رصف المباني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت. دمشق، 1975. و الحسن المرادي، تمهيد الجني الداني تحقيق: د. فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الأفاق الجديدة، طر، 1983.

و لعل مرجع هذا الاهتمام كان من نتائج الاعتناء، بجانب آخر مهم من اللغة العربية و هو تفسير القرآن الكريم.⁽¹⁾ و مع مرور الزمن تزايد الاهتمام بهذا الجانب من اللغة العربية. و بدأت تظهر كتب مستقلة تختص بالحديث عن الأدوات و معانيها، و أشكال و رودها في كلام العرب، و اختلاف دلالتها باختلاف سياقاتها، مع ذكر المذاهب المختلفة فيها.⁽²⁾

و حروف العطف باعتبارها جزءا من هذا الجانب، فقد لاقت عناية كبيرة من علماء العربية، و تباينت آراؤهم في معانيها. و لما كانت هذه الحروف جزءا مهما من النظام الذي ندرسه، فسنعرض إليها، و نذكر آراء النحاة فيها.

1- أم : تأتي (أم) في الكلام على ضربين، فتكون متصلة و منقطعة.⁽³⁾

أ- أم المتصلة : سميت كذلك لأن ما بعدها متصل بما قبلها، و لا يستغني بأحدهما على الآخر.⁽⁴⁾ و لكي تكون متصلة ينبغي أن تتوفر لها ثلاثة شروط: أن تعادل همزة الاستفهام، و أن يكون السائل عنده علم أحدهما، و أن لا يكون بعدها جملة من مبتدأ و خبر. نحو: أزيد عندك أم عمرو عندك⁽⁵⁾. و لا تأتي ههنا إلا مع الاستفهام.⁽⁶⁾ و تقع الألف بمعنى أيهما و أيهم.⁽⁷⁾

و هي تأتي تارة عاطفة بعد ألف الاستفهام، و تكون معادلة لهذه الألف⁽⁸⁾، نحو أزيد عندك أم عمرو؟ و أريدا لقيت أم بشرًا؟ فأنت الآن - كما يقول سيبويه - مدع أن عنده أحدهما؛ لأنك إذا قلت

(1)- ينظر: المردي، الجني الداني 3.

(2)- ينظر: المالقي، رصف المباني 4.

(3)- ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 169 و الفارسي، الإيضاح العضدي 1 : 290.

(4)- ينظر: الفارسي، المصدر السابق 1 : 290 و ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 40.

(5)- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 98 و اذا وليها مبتدأ و خبر تكون منقطعة.

(6)- ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 169 و الفارسي، المصدر السابق 1 : 290.

(7)- ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 169 و الأخفش و معاني القرآن 1 : 182.

(8)- ينظر: المبرد، المقتضب 3 : 286 و ابن الشجري، الامالي الشجرية 2 : 333، دار المعارف العثمانية 1349.

وأيهما عندك و أيهما لقيت، فأنت مدع أن المسؤول قد لقي أحدهما أو عنده أحدهما، إلا أن عمك قد استوى فيهما لا تدري أيهما هو. (1)

و من أمثلة (أم) في هذا القسم قوله تعالى (أنتم تخلقونه، أم نحن الخالقون). (2) و قول زهير:

وما أدري و سوف باخال أدري أقوم آل حصن أم نساء. (3)

و تأتي تارة عاطفة بعد همزة التسوية. و معنى التسوية أنك تسوي بين أمرين أي تجعلهما سواء عندك (4)، نحو أسواء علي أقمت أم قعدت. فاللفظ ههنا على الاستفهام و المراد به الخبر، لأنك إنما تخبر أن الأمرين عندك واحد. (5)

و من أمثلة (أم) في هذا القسم قوله تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم). (6) و قول حسان.

ما أبالي أنب بالحنن تيس * أم لحناني بظهر غيب لئيم (7)

ب- أم المنقطعة (8)، تأتي أم المنقطعة بعد الخبر و الاستفهام جميعاً (9)، و لا تكون بمنزلة (أي). (10) و سميت بالمنقطعة، لأن ما بعدها قائم بنفسه غير متعلق بما قبله (11)، و لأن الإضراب لا يفارقها. (12)

(1) سيبويه، الكتاب 3 : 169.

(2) الواقعة : 59.

(3) شرح ديوان زهير 73.

(4) ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 199 والهروي، الأزهري 132 و ابن الشجري، الأمالي 2 : 334.

(5) ينظر: الأزهري 332 و ابن الشجري، المصدر السابق 2 : 333.

(6) البقرة 6.

(7) - عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان حسان، 378، المطبعة الرحمانية بمصر 1929. و نب : صاح. و نيبب التيس يكون عند وثوبه للفساد، و الحزن ما غلظ من الأرض و لحناني: شتمني.

(8) سماها المالقي (أم) المنفصلة. ينظر المالقي، رصف المباني 95.

(9) ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 173 و المقتضب 3 : 288.

(10) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 182 والهروي، الأزهري 136.

(11) ينظر: الهروي، المصدر السابق 135 و ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 98 و المالقي، المصدر السابق 95.

(12) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 44.

و قد ذهب البصريون إلى أن (أم) تقدر بـ(بل) و الهمزة مطلقاً⁽¹⁾، لأن فيها "دلالة على الإضراب كما في بل، و فيها دلالة على الاستفهام كما في الهمزة".⁽²⁾

و لا تقدر بـ (بل) مجردة من معنى الاستفهام، بدليل قوله تعالى (أم لتخذ مما يخلق بنات).⁽³⁾ فإنها لو كانت كذلك لتحقق ما بعد أم، تعالى سبحانه عن ذلك⁽⁴⁾

و ذهب الكوفيون إلى أن (أم) تكون بمعنى (بل) مجردة من الاستفهام⁽⁵⁾، و هو ما نقله ابن فارس عن بعضهم.⁽⁶⁾ و قال به الهروي أيضاً.⁽⁷⁾ و منه قوله تعالى (أم يقولون شاعر).⁽⁸⁾، فأما ههنا بمعنى (بل).

ج- أم العاطفة للجمل إن (أم) إذا كانت متصلة تقع بين المفردين و الجملتين جميعاً.⁽⁹⁾ فإذا سبقتها همزة التسوية، فإنها لا تقع إلا بين جملتين⁽¹⁰⁾، و تكون حينئذ عاطفة.⁽¹¹⁾ و تكون الجملتان فعليتين نحو (سواء عليهم أستغفرت لهم، أم لم تستغفر لهم).⁽¹²⁾ أو مختلفتين نحو (سواء عليكم أذعوتموهم. أم أنتم صامتون).⁽¹³⁾

(1) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 2 : 335 و المرادي، الجني الداني 205.

(2) - الفارسي أبو علي، الإيضاح العضدي 1 : 292.

(3) - الزخرف : 16.

(4) - ينظر : ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 98.

(5) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 2 : 335.

(6) - ينظر: ابن فارس، الصحابي 120.

(7) - ينظر : الهروي، الأزهرية 136.

(8) - الطور : 30.

(9) - ينظر : المالقي، رصف المباني 93.

(10) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 40.

(11) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 2 : 333.

(12) - المنافقون : 6

(13) - الأعراف : 193.

و إذا وقعت (أم) في الاستفهام دون التسوية، و كان يطلب بها و بأداة الاستفهام التعيين، فإنها تقع بين المفردين، و هو الغالب فيها، و بين الجملتين. (1) و تكون هنا عاطفة. (2) و تكون الجملتان فعليتين نحو قول الشاعر. (3)

فقلت للطيف مرتاعاً، فأرقتي * فقلت: أهي سرت، أم عادني حلم.

أو اسميتين نحو (أهم خير أم، قوم، تبع) (4)، أو مختلفتين نحو (أنتم تخلقونه، أم نحن الخالقون) (5)

أما إذا كانت (أم) منقطعة فإنها على رأي أغلب النحويين، لا تقع إلا بين جملتين. (6)

2- أو تعد (أو) من حروف العطف تكون لأحد الشيئين أو الأشياء، في الخبر و الإستفهام. (7) و هي لا تخلو من أن تصل مفرداً بمفرد، أو جملة بجملة. (8) و قد اختلفت النحاة في المعاني التي تفيدها (أو)، فمن قائل إنها ثلاثة عشر. (9) و من قائل إنها إثناعشر، (10) و من قائل إنها ثمانية. (11) و اكتفى بعضهم بالقول إنها تفيد ثلاثة معان فقط، هي الشك و التخيير و الإباحة. (12)

3- بل: إن لـ (بل) في الكلام حالين: يقع بعدها مفرد أو جملة. (13) و غرضنا ههنا الجملة. فقد ذكر المرادي أن الظاهر من كلام ابن مالك، أن (بل) إذا وليتها جملة. كانت حرف عطف. (14) و قال

(1) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 41.

(2) ينظر: المالقي، رصف المباني 93.

(3) هو المرار بن منفذ. ينظر البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب 1 : 202.

(4) -الدخان: 37.

(5) -الواقعة: 59.

(6) ينظر ابن الشجري، الأمالي الشجرية 2 : 334 و ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 98

(7) ينظر : سيبويه، الكتاب 3 : 169.

(8) - ينظر: الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 289 و المالقي، المصدر السابق 131.

(9) ينظر: الهروي، الأزهرية 115.

(10) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 64.

(11) - ينظر: المرادي، الجنى الداني 228.

(12) ينظر: الانباري محمد ابو البركات، أسرار العربية 304 تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى، دمشق 1957 و ابن

يعيش، شرح المفصل 8 : 99

(13) و (14) ينظر: المرادي، المصدر السابق 235 - 236.

المالقي، إن (بل) حينئذ تكون حرف ابتداء، فإذا لم يقع تشريك بين ما بعدها و ما قبلها، و تكون عاطفة جملة على جملة مضرب عن الأولى أحياناً أخرى.⁽¹⁾ نحو اضرب زيدا بل أنت قائم، أو زيد قائم بل عمرو منطلق، أو زيد خارج بل أخوك منطلق، أو ما فعلت هذا بل عبد الله منطلق. و ذكر من ذلك قوله تعالى (بل هم في شك من ذكرى، بل لما يذوقوا عذاب)⁽²⁾، غير أن المالقي لم يوضح لنا الفروق الدقيقة بين (بل) حين تكون حرف ابتداء، و حين تكون عاطفة. و قال ابن هشام إن الصحيح أن (بل) إذا وليتها جملة تكون حرف ابتداء لا عاطفة.⁽³⁾ إلا أن المؤكد أنها في الحالين تصل بين الجمل.

4- ثم: إن (ثم) من حروف العطف التي تشرك بين المعطوفين لفظاً و معنى⁽⁴⁾، و تفيد أن الثاني بعد الأول، و أن بينهما مهلة و تراخياً غير متصلين.⁽⁵⁾ و لذلك فهي "لا تقع موقع الفاء في الجواب، فلا تقول: إن تعطني ثم أنا أشكرك، كما تقول فأنا أشكرك؛ لأن الجزاء لا يتراخى عن الشرط. فعلى هذا تقول: ضربت زيدا يوم الجمعة، ثم عمرا بعد شهر، و بعث الله أدام ثم محمداً-ص-، و لا تقول مثل ذلك في الفاء؛ لأنها لما تراخى لفظها بكثرة حروفها تراخى معناها؛ لأن قوة اللفظ مؤنزة بقوة المعنى."⁽⁶⁾

أ- ثم العاطفة للجمل: إن (ثم) تعطف الجمل و تصل بينهما كما تعطف المفردات⁽⁷⁾، و هي في ذلك توحى أن الجملة الثانية تحصل بعد الأولى بمهلة أطول مما في الفاء.⁽⁸⁾ و يجوز عطف الجملة الاسمية على الفعلية أو العكس، كما يجوز اجتماع النفي و الإثبات فيهما.⁽⁹⁾ و من ذلك قوله

(1) ينظر: المرادي، رصف المباني 155.

(2) ص: 8.

(3) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1: 191.

(4) ينظر: المالقي، المصدر السابق 173-174.

(5) ينظر: سيبويه، الكتاب 1: 429 و ابن يعيش، شرح المفصل 8: 96 و ابن مالك، تسهيل الفوائد 175.

(6) ابن يعيش، شرح المفصل 8: 96.

(7) ينظر: المالقي، المصدر السابق 173.

(8) ينظر: المبرد، المقتضب 1: 10.

(9) ينظر: المبرد، المالقي، المصدر السابق 174.

تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين، ثم لم يتوبوا فلهم جهنم.)⁽¹⁾ فثم ههنا أفادت أن الجملتين مرتبتان، و أن بينهما مهلة متراخية.

و يكثر، في عطف الجمل بـ(ثم)، الترتيب على الإخبار، نحو (خلقكم من طين، ثم قضي أجلا)⁽²⁾، فالمعنى ههنا "أخبركم أني خلقتهم من طين، ثم أخبركم أني قضيت"⁽³⁾؛ لأن قضاء الأجل قبل الخلق. و نحو (و ما أدراك ما العقبة، فك رغبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا)⁽⁴⁾، يقول الزمخشري: "جاء بـ(ثم) لتراخي الإيمان و تباعده في الرتبة و الفضيلة و العتق و الصدقة لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره، و لا يثبت عمل صالح إلا به."⁽⁵⁾

5- حتى: إن (حتى) تكون حرف عطف، فتشرك بين المعطوفين لفظا و معنى⁽⁶⁾؛ لأن معناها في جميع الكلام الغاية. و إذا كانت غاية كان "ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها، ألا ترى أنك إذا قلت، جاءني القوم حتى زيد، كان زيدا داخلا في المجي."⁽⁷⁾

و ينسحب ذلك خصوصا، على المفردات؛ لأن (حتى)، على ما ذكر المرادي و ابن هشام لا تعطف الجمل؛ لأن من شروط معطوفها أن يكون بعض المعطوف عليه أو كبعضه. و هذا الأمر لا يتأتى إلا في المفردات.⁽⁸⁾ بيد أن المألقي ذكر أنها تشرك بين الجملتين في الكلام، نحو قام القوم حتى قام زيد.⁽⁹⁾

(1) - البروج : 10

(2) - الأنعام : 2.

(3) - ابن فارس، الصحابي 149.

(4) - البلد : 12-17.

(5) - الزمخشري، الكشاف : 4 : 214.

(6) ينظر المبرد، المقتضب 1 : 38 و المألقي، رصف المباني 181 و المرادي، الجني الداني 546.

(7) - الأنباري ابو البركات، أسرار العربية 266.

(8) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 175 و ابن هشام، مغني اللبيب : 1 : 136.

(9) - ينظر: المرادي، المصدر السابق 551 و ابن هشام، المصدر السابق 1 : 136.

و عموماً فإن العطف بحتى قليل و قدمها فيه غير راسخة.⁽¹⁾ و الكوفيون ينكرون العطف بها ألبته و يعربون ما بعدها بإضمار عامل.⁽²⁾

6- الفاء: ذكر النحاة أن الفاء في الكلام ثلاثة مواضع، تكون متبعة عاطفة و تكون متبعة مجردة من العطف، و تكون زائدة.⁽³⁾ إلا أن المعنى الذي تختص به و تنسب إليه هو معنى الاتباع، و ما عدا ذلك فعارض فيها.⁽⁴⁾ و هي في كل هذه الأحوال تضم الشيء إلى الشيء مثل الواو، و غير أن هذا الضم يأتي معها متسقا بعضه في إثر بعض.⁽⁵⁾ فالربط و الترتيب لا يفارقانها.⁽⁶⁾

7- لكن، إن (لكن) إذا عطفت جملة على جملة، فإنها تصل بينهما في الإيجاب و النفي.⁽⁷⁾ ويشترط أن تكون الجملتان مختلفتين في المعنى⁽⁸⁾، نحو جاءني زيد لكن عمرو لم يجيء، و ما جاءني زيد لكن عمرو قد جاء. ولا يجوز أن تصل بين جملة استفهامية وأخرى ليست كذلك⁽⁹⁾، نحو: هل زيد قائم لكن عمرو لم يقم.

إذا سبقت (لكن) بالواو نحو: ما جاء زيد و لكن عمرو، فإن ابن مالك يجعل العطف للواو. فهي عنده عاطفة لجملة على جملة، و التقدير: و لكن عمرو. و مثل ذلك قوله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم، و لكن رسول الله)⁽¹⁰⁾، و التقدير: و لكن كان رسول الله.

(1) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8: 97 و ابن هشام، مغني اللبيب 1: 137.

(2) ينظر: ابن فارس، الصحابي 151 و المرادي، الجن الداني 546.

(3) ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 8: 95 و الماقي، رصف المباني 376 و المرادي، المصدر السابق 61.

(4) ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 8: 95.

(5) ينظر: سيبويه، الكتاب 421 و 4: 117 و المبرد، المقضب 1: 10.

(6) ينظر: الماقي، المصدر السابق 377.

(7) ينظر: الزمخشري، المفصل 305 و المرادي، المصدر السابق 591.

(8) ينظر الماقي: المصدر السابق 276.

(9) ينظر المرادي، المصدر السابق 591.

(10) -الأحزاب: 40.

8- الواو : تعد الواو أصل حروف العطف لكثرة دورانها في النصوص العربية.⁽¹⁾ و لعل السر في ذلك أنها لا تدل على أكثر من الاشتراك بين المتعاطفين في الإعراب و الحكم، في حين أن بقية الحروف توجب زيادة في المعنى. و لما كانت هذه الحروف توجب زيادة معنى على حكم الواو " صارت بمنزلة الشيء المفرد، و الباقي بمنزلة المركب، و المفرد أصل المركب."⁽²⁾

أ- الواو العاطفة للجمل : تصل الواو، كغيرها من حروف العطف، بين المفردات و الجمل على حد سواء.⁽³⁾ فإن عطفت جملة على جملة لم يلزم تشريك في اللفظ، و لا في المعنى، و لكن في الكلام خاصة⁽⁴⁾؛ لأن المراد حينئذ الإيذان بحصول مضمونها.⁽⁵⁾ و من هنا يجوز أن نقول : جاء زيد و لم يجيء عمرو، و من ذلك قوله تعالى (تعلم ما في نفسي، و لا أعلم ما في نفسك).⁽⁶⁾ و هذا الأمر لا يجوز في المفردات، إذ لا يصح أن يخالف المعطوف المعطوف عليه.⁽⁷⁾ لأن الواو في المفرد تشترك في اللفظ و المعنى معا.

و قد ذكر المالقي أنه يجوز أن تعطف الواو جملة طلبية على نظيرتها، و على خبرية أيضاً، و جملة خبرية على نظيرتها، و على طلبية أيضاً.⁽⁸⁾

(1) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 90 و المالقي، رصف المباني 410 و المرادي، الجنى الداني 158.

(2) - لا نباري، أسرار العربية 302 و ينظر أيضا ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 90.

(3) - ينظر : ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 88 و المالقي ، رصف المباني 415.

(4) - ينظر : المالقي، المصدر السابق 276 و 415 و ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 324.

(5) - ينظر : الزمخشري، المفصل 304 و ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 90.

(6) - المائدة 116.

(7) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 324.

(8) - ينظر: المالقي، المصدر السابق 415.

فيقال : قام زيد و قعد عمرو، و قام واقعد، و قم ، و قعد زيد، و قم واقعد، و قم و لا تقعد، و من هنا يصح أن يقال: بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد. فالواو عطفت طلبا- وهو الدعاء- على الخبر. (1)

- و يصح أيضا، كما ذكر المالقي، عطف جملة اسمية على فعلية، و عكس ذلك، فيقال: قام زيد و عمرو قائم، و زيد قائم و قعد عمرو (2)

التناسب بين الجمل المتعاطفة:

نذكر ههنا جانبين مهمين من جوانب العطف بين الجمل، أولهما التناسب من جهة الاسمية و الفعلية، و ما يتبع ذلك. و ثانيها التناسب من جهة الخبر و الإنشاء.

1- عطف الجملة الاسمية على الفعلية أو العكس: في أثناء وقوفه على قوله تعالى (سواء عليكم أذعوتموهم، أم أنتم صامتون) (3) ، قال الفراء إن أكثر كلام العرب أن يقولوا : سواء علي أقمتم أم قعدت، و يجوز: سواء علي أقمتم أم أنت قاعد. (4)

و ذكر ابن مالك أنه يجوز عطف الفعل على الاسم ، و الاسم على الفعل، و الماضي على المضارع، و المضارع على الماضي، و ذلك إن اتحد جنس الأول و الثاني بالتأويل. (5) و شرح السيوطي معنى التأويل، و ذلك بأن يشبه الاسم الفعل، و أن يكون الماضي مستقبلا في المعنى، و المضارع ماضيا في المعنى، و الجملة في تأويل المفرد، كأن تكون صفة أو حالا، و غير ذلك (6) و مثل لذلك بقوله تعالى (يخرج الحي من الميت، و يخرج الميت من الحي) (7) ، و قوله

(1) - ينظر: المالقي، رصف المباني 415.

(2) - ينظر: المصدر السابق 415.

(3) - الأعراف : 193.

(4) - ينظر: الاخفش، معاني القرآن 1 : 401.

(5) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 187.

(6) - ينظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع 2 : 140 تصحيح، محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة و النشر-بيروت.

(7) - الأنعام : 95.

(إن المصدقين و المصدقات، و أقرضوا الله قرضا حسنا)⁽¹⁾، و (أنزل من السماء ماء. فتصبح الأرض محضرة)⁽²⁾، أي فأصبحت.⁽³⁾

و ذكر المالقي أن عطف الجملة الابتدائية على الفعلية جائز، و العكس أيضا، نحو : قام زيد و عمرو قائم، و زيد قائم و قعد عمرو، و يجوز : زيد قائم فضرب غلامه، و قام فأبوه منطلق.⁽⁴⁾ إلا أن المناسبة في الجمل-كما قال- هو الكثير.⁽⁵⁾ و قال إنه ربما كان ظاهر الكلام عطف المفردات و هو عطف الجمل، نحو (و تصريف الرياح آيات)، فالتقدير، و إن في تصريف الرياح آيات.⁽⁶⁾ و ذكر السيوطي أن عطف الجمل، مع اختلافها في الاسمية و الفعلية، جائز.⁽⁷⁾

2- عطف الجملة الخبرية على الإنشائية أو العكس: في أثناء حديثه عن الفاء العاطفة، قال المالقي إنه يجوز عطف الجمل الإنشائية على الخبرية، و العكس أيضا، نحو : قام زيد فاضرب غلامه، و اضرب زيدا فيقوم غلامه.⁽⁸⁾ و أكد هذا الأمر أيضا مع الواو العاطفة للجمل، فذكر أنه يجوز : أن نقول: بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد، فالواو ههنا عطفت الطلب -و هو الدعاء- على الخبر، و من ذلك ما حكى من كلام البديع: ظفرنا بصيد و حياك الله أبا زيد.⁽⁹⁾ و قال، و نقول : قم و قعد زيد، إلا إنه جعل المناسبة في الجمل هو الكثير.⁽¹⁰⁾

(1)-الحديد : 18.

(2)- الحج : 63.

(3) ينظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع 2 : 140.

(4) ينظر: المالقي، رصف المباني 378 و 415.

(5) ينظر: المصدر السابق 415.

(6) ينظر: المصدر السابق 415.

(7) ينظر: جلال الدين السيوطي، المصدر السابق 2 : 140.

(8) ينظر: المالقي، المصدر السابق 378.

(9) - محمد عبده، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني. 56. الدار المتحدة للنشر ببيروت، ط 1 : 1983، و فيها: "ظفرنا و الله بصيد، و حياك الله أبا زيد."

(10) - ينظر: المالقي، المصدر السابق 415.

و ذكر ابو حيان أن في المسألة اختلافا ، فبعض النحويين يشترطون اتفاق المعاني بين
الجملة المعطوفة. و الصحيح، كما يرى، أن ذلك ليس بشرط، إذ يجوز عطف الجملة الخبرية
على الجملة غير الخبرية، و هو مذهب سيوييه⁽¹⁾

و ذكر ابن هشام، و معه السيوطي، أن ابن مالك و ابن عصفور، منعا عطف الخبر على
الإنشاء، و العكس أيضا، بينما أجاز الصفار⁽²⁾ -تلميذ ابن عصفور- و جماعة ذلك، و استدلوا
بقوله تعالى (و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات)⁽³⁾ (و بشر المؤمنين).⁽⁴⁾

أما ابن هشام فإنه لا يجيز عطف الخبر على الإنشاء، أو العكس، و قد صرح بذلك في
أثناء حديثه عن الفاء الزائدة، إذ جعل الفاء في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك)⁽⁵⁾
للسببية المحضة كفاء الجواب، نحو انتني فإني أكرمك، و ليست للعطف⁽⁶⁾

و قد فند ابن هشام ما نسبته أبو حيان إلى سيوييه، من أنه أجاز: جاعني زيد و من أخوك
العاقلان. يقول" و أما ما نقله أبو حيان عن سيوييه فغلط عليه، و إنما قال: " و اعلم أنه لا
يجوز: من عبد الله، وهذا زيد، الرجلين الصالحين؛ رفعت أو نصبت؛ لأنك لا تنتني إلا على
من اثنيته و علمته، و لا يجوز أن تخلط من تعلم، و من لا تعلم فتجعلها بمنزلة واحدة، و قال
الصفار : لما منعها سيوييه من جهة النعت علم أن زوال النعت يصحها، فتصرف أبو حيان

(1) ينظر : أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 1 : 110، مكتبة، النصر الحديثة، الرياض

(2) - قاسم بن علي بن محمد. صحب الشلوبيين و ابن عصفور، مات بعد الثلاثين و ستمائة. ينظر السيوطي، بغية الوعاة 2 : 256.

(3) البقرة: 25.

(4) -و سياق الآية (يا أيها الذين آمنوا. هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله و رسوله، وجاهدون في سبيل الله
بأموالكم و أنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم، و يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، و مساكن طيبة في
جنات عدن، ذلك الفوز العظيم و أخرى تحبونها، نصر من الله و فتح قريب، و بشر المؤمنين.) الصف : 10-13.

(5) الكوثر : 1-2.

(6) ينظر : ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 180 و ابن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب 150-151 تحقيق : رشيد عبد الرحمن
العبيدي. دار الفكر، ط 1 ، 1971.

في كلام الصفار فوهم فيه، و لاحجة فيما ذكر الصفار، إذ قد يكون للشيء مانعان، و يقتصر على ذكر أحدهما؛ لأنه الذي اقتضاه المقام. و الله أعلم.⁽¹⁾

الجملة المفسرة :

تأتي الجملة المفسرة مفصولة عن الجملة التي تسبقها، ويكون الغرض منها كشف حقيقة ما تليه.⁽²⁾ و ذلك سواء صدرت بحرف التفسير، أم لم تصدر به.⁽³⁾ و هي نوعان:⁽⁴⁾

المقترنة بحرف التفسير :

إن للتفسير حرفان ، هما :

1- أن : و هي حرف بمنزلة (أي) التي تقع للعبارة و التفسير.⁽⁵⁾ إلا أن لها شروطا ينبغي توافرها لتكون خاصة للتفسير.⁽⁶⁾ و هي :

أ- أن تقع بين جملتين، تكون الأولى تامة و الثانية مفسرة لها⁽⁷⁾ و لذلك غلط من جعل (أن) في قوله تعالى (و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)⁽⁸⁾ للتفسير؛ لأنك لو وقفت على قوله (و آخر دعواهم) لم يكن كلاما؛ لأن الجملة لم تتم⁽⁹⁾ ، و إنما هي ههنا مخففة عن الثقيلة، و المعنى أنه الحمد لله⁽¹⁰⁾

(1) بن هشام ، مغنيبيب 2 : 537.

(2) ابن مالك، تسهيل الفوائد 113 و ابن هشام، المصدر السابق 2 : 446.

(3) ينظر : جلال الدين السيوطي، همع الهوامع 1 : 248 و يقال حرف العبارة. ينظر ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 140.

(4) ينظر : ابن هشام، المصدر السابق 2 : 447.

(5) ينظر سيبويه، الكتاب 3 : 162 و المبرد، المقترض 2 : 361.

(6) ينظر: الزجاج، إعراب القرآن 3 : 797 و ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 141.

(7) ذكر الرضي أنها تفسر معمولا لا جملة ينظر الاستربادي رضي الدين، شرح الكافية 4 : 438 تصحيح و تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جا معه قار يونس، ليبيا 1978.

(8) يونس : 10.

(9) ينظر : الزجاج، المصدر السابق 3 : 797 و ابن يعيش ، المصدر السابق 8 : 141.

(10) ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 123 و المبرد، المصدر السابق 2 : 361.

ب- أن يكون في الجملة الأولى معنى القول دون حروفه.⁽¹⁾
 ج- أن لا يتصل بها شيء. كالجار في نحو: أو عزت إليه بأن قم؛ لأنها حينئذ تكون مصدرية.⁽²⁾

2- أي : تقع (أي) في الكلام تفسيرا لما قبلها و عبارة عنه⁽³⁾؛ و هي أعم من (أن)؛ لأنها تدخل على المفرد و الجملة، و تقع بعد القول و غيره.⁽⁴⁾ و من شروطها في الجمل أن تجيء بعد كلام مستغن⁽⁵⁾، فيكون ما قبلها جملة تامة، و ما بعدها جملة أخرى تامة أيضا. و لا بد أن تكون الثانية هي الأولى في المعنى. مفسرة لها⁽⁶⁾. و ذلك نحو: ركب بسيفه أي و سيفه معه، و رميته من يدي أي ألقيته.

المجردة من حرف التفسير :

من الجملة المفسرة المجردة من الحروف، قولنا: هل لك في خير، تقوم بنا إلى المسجد فنصلي. فجملة: تقوم بنا إلى المسجد، جاءت تفسيرا و ترجمة لما قبلها.⁽⁷⁾ و من ذلك قوله تعالى (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله و رسوله، وجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم).⁽⁸⁾

(1) لم يجعل بعضهم ذلك شرطا، فيجوز و قوعها بعد صريح القول عند بعضهم ينظر المرادي، الجني الداني 221 و ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 30.
 (2) ينظر: هذه الشرائط في: الزجاج، إعراب القرآن : 3 : 796-797 و ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 142 و ابن هشام، المصدر السابق 1 : 29-30.
 (3) ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 140 و الماقي، رصف المباني 135.
 (4) ينظر: المرادي، الجني الداني 233 و السيوطي، همع الهوامع 2 : 71.
 (5) ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 163.
 (6) ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 140.
 (7) ينظر: الفراء، معاني القرآن 3 : 154.
 (8) لصف : 10-11.

فقوله : تؤمنون، تفسير و ترجمة للتجارة.⁽¹⁾ و مثل ذلك قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله، كمثل آدم، خلقه من تراب.)⁽²⁾ ، فجملة (خلقه من تراب) تفسير لما قبلها. وذكر ابن هشام أن التفسير وارد ههنا من حيث أن شأن آدم و عيسى عليهما السلام خرج عن مستمر العادة، و هو التولد بين أبوين.⁽³⁾

فالجملة التفسيرية تأتي مفصولة عما قبلها، فلا تحتاج إلى رابط كالواو، أو الفاء، أو غيرها. و المشهور أن الجملة المفسرة لا محل لها من إعراب⁽⁴⁾ ، و خالف الشلوبين⁽⁵⁾ ذلك، فزعم أنها بحسب ما تفسره، فإن كان للمفسر موضع، فكذلك هي ، و إلا فلا.⁽⁶⁾ و اختار السيوطي مذهب الشلوبين.

الجملة الاستئنافية:

إن الاستئناف في اللغة هو الابتداء.⁽⁷⁾ جاء في اللسان: " استأنف الشيء و أتنفه: أخذ أوله و ابتدأه، و قيل استقبله. و أنا اتنفه انتنفا، و هو افتعال من أنف الشيء، و في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: إنما الأمر أنف أي يستأنف استئنفا، من غير أن يسبق به سابق قضاء و تقدير، و إنما هو على اختيارك و دخولك فيه: استأنفت الشيء إذا ابتدأته.⁽⁸⁾

(1) - ينظر: الفراء ، معاني القرآن 3 : 154 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 248.

(2) - آل عمران : 59.

(3) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 446.

(4) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 113 و السيوطي، المصدر السابق 1 : 248.

(5) - عمر بن محمد أبو على إلا شيبلي. توفي سنة 645 هـ. ينظر السيوطي، بغية الوعاة 2 : 224.

(6) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 2 : 450 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 248.

(7) - ينظر: الجوهر، الصحاح 4 : 1333.

(8) - بن منظور، لسان العرب 9 : 14.

أما اصطلاحاً فمعناه أن الثاني من الكلام منقطع من الأول، و لا يدخل في معناه⁽¹⁾. كما أنه لا يشاركه في إعرابه⁽²⁾. فالعلاقة بين المعنيين، كما يبدو، واضحة إذ أن انقطاع أحد الكلام عن الآخر هو ابتداء، و استئناف للثاني.

ونشير هنا إلى أن بعض النحاة استعمل مصطلح الاستئناف، و استعمل بعضهم مصطلح الابتداء، في حين ردد بعضهم الآخر المصطلحين معاً، و كل ذلك بنفس المعنى⁽³⁾. و لعل هذا الأمر هو الذي دفع ابن هشام إلى القول : " فالأولى : الابتدائية و تسمى الاستئنافية، و هو أوضح؛ لأن الجملة الابتدائية تطلق أيضاً على الجملة المصدرية. بالمبتدأ⁽⁴⁾."

و الجملة المستأنفة تأتي أحياناً مسبوقة بأداة كالفاء و الواو و غيرها، و تأتي في أحيان أخرى مجردة منها أي مفصولة عما قبلها.

(1)- ينظر: الفراء، معاني القرآن 2 : 346 و المبرد، المقتضب 2 : 33. ارتبط مصطلح الاستئناف بمصطلح آخر هو القطع، و معنى القطع أن الأول من الكلام قد تم، و أن ما بعده كلام جديد مستأنف ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 89 و المبرد، المقتضب 2 : 33. وجاء في حاشية الأمير أن المراد بالانقطاع الصناعي، عدم التعلق باتباع، أو إخبار، أو وصفه... و لا يضر الارتباط معنى، لأن الارتباط المعنوي لا يستلزم الإعراب. ينظر: محمد الأمير، حاشية الأمير 2 : 46، دار احياء الكتب العربية.

(2)- ينظر المرادي، الجني الداني 163.

(3)- سيبويه مثلاً تردد عنده مصطلح الابتداء بكثرة ينظر: الكتاب 1 : 90 و 2 : 17 و 2 : 62-68 و 3 : 46-52 و 3 : 89 و غيرها أما الفراء فقد استعمل مصطلح الاستئناف أكثر من الإبتداء، و كان يسميه أحياناً الانتناف. ينظر: معاني القرآن 2 : 22 و 79 و 99 و 272 و 346 و 351 و 3 : 23 و 39 و غيرها. و قد ألفت الأنباري كتاباً أسماه : الوقف و الابتداء في كتاب الله عز وجل، بين المواطن التي يحسن الوقوف عندها، في القرآن الكريم، ثم يستأنف الكلام بعدها مقطوعاً عما قبله. ينظر حديثنا عن هذا الكتاب في المدخل و ألف ابن النحاس كتاباً بكتاب الأنباري أسماه القطع و الإنتناف. و أنت ترى أن كل واحد منهما استعمل مصطلحاً، غير الذي استعمله زميله، رغم أنهما عالجا نفس الظاهرة. أما المتأخرون فمنهم من استعمل مصطلح الابتداء، كالمالقي. ينظر رصف المياني 175 و 416 و استعمل آخرون مصطلح الاستئناف كالمراذي. ينظر الجني الداني 76 و 163 و ابن هشام ينظر: كتابه مغني اللبيب 1 : 181 و 397.

(4)- ابن هشام، المصدر السابق 2 : 427.

الاستئناف بالأدوات :

نتناول ههنا بعض أدوات العطف، التي يستأنف الكلام بها في بعض المواقع.

1- أو : في أثناء، حديثه عن مواقع انتصاب الفعل المضارع بعد (أو) و بعد ذكره لبيت امرئ القيس:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا⁽¹⁾

قال سيبويه إن الرفع ههنا جائز أيضا، على وجهين، على أن الثاني معطوف على الأول، و على أن يكون الثاني مبتدأ مقطوعا من الأول، أي أو نحن ممن يموت.⁽²⁾ و من ذلك قوله (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد، تقاتلونهم، أو يسلمون)⁽³⁾. قال : " إن شئت كان على الإشراك، و إن شئت كان على : أو هم يسلمون."⁽⁴⁾

و عليه قراءة أهل المدينة (أو يرسل رسولا)⁽⁵⁾ بالرفع، قال سيبويه: " فكأنه ، و الله أعلم، قال الله عز وجل: لا يكلم الله البشر إلا وحيا، أو يرسل رسولا، أي في هذه الحال، و هذا كلامه إياهم"⁽⁶⁾، و قال المبرد إنهم يريدون بذلك: أو هو يرسل رسولا.⁽⁷⁾ و مما لا يكون فيه إلا الابتداء أو النصب قول الشاعر:⁽⁸⁾

و كنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها، أو تستقيما.

فلا سبيل إلى الإشراك ههنا.⁽⁹⁾

(1) - امرئ القيس، الديوان 66.

(2) - ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 47.

(3) - الفتح: 16 و في مصحف أبي (تقاتلونهم أو يسلما) ينظر: المبرد، المقتضب 2 : 28 و 3 : 306.

(4) - سيبويه، المصدر السابق 3 : 47.

(5) - الشورى: 51 و سياق الآية (و ما كان لبشر أن يكلمه الله، إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا).

(6) - سيبويه، المصدر السابق 3 : 50.

(7) - ينظر: المبرد، المقتضب 2 : 34.

(8) - زياد الأعجم. ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 48 و المبرد، المصدر السابق 2 : 29.

(9) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 49.

2- بل : إن (بل) إذا وليتها جملة، تظل تحمل معنى الإضراب، فتكون تركا لكلام و أخذاً في غيره.⁽¹⁾ إلا أن الإضراب ههنا يكون إما إبطالا للكلام الأول.⁽²⁾ ، نحو (وقالوا اتخذ الرحمن و لدا، سبحانه، بل عباد مكرمون).⁽³⁾ فما بعد (بل) في الآية إبطال لما قبلها، و إما انتهاء من قصة و استئنافاً لأخرى⁽⁴⁾، أي إن ما قبل (بل) ههنا ليس باطلا، و إنما هو كلام انتهى و أخذ في كلام غيره.⁽⁵⁾ و من ذلك قوله عز و علا (أتأتون الذكران من العالمين و تدرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون)⁽⁶⁾، فكأنما القصة الأولى قد انتهت" فأخذ في قصة أخرى، و لم يرد أن الأول لم يكن"⁽⁷⁾ و من ذلك (ولدينا كتاب ينطق بالحق، و هم لا يظلمون، بل قلوبهم في غمرة)⁽⁸⁾. و هي بهذا المعنى في القرآن كثير.

و قد اختلف في (بل) هذه، فالمفهوم من كلام ابن مالك أنها عاطفة⁽⁹⁾. أما المالقي فذكر أنها تكون حرف ابتداء إذا لم يقع تشريك بين ما بعدها و ما قبلها، و تكون عاطفة جملة على جملة أخرى مضرب عن الأولى، و ذكر نماذج قليلة لا توضح رأيه⁽¹⁰⁾. و جعلها ابن هشام حرف ابتداء لا غير.⁽¹¹⁾

(1) - ينظر: سيبويه، الكتاب 4 : 233 و ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن 408 والهروي، الأزهريّة 229.

(2) - ينظر: المرادي، الجنى الداني 235.

(3) - الأنبياء : 26.

(4) - ينظر: المرادي، المصدر السابق 236.

(5) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 105.

(6) - الشعراء : 165-166.

(7) - ابن يعيش، المصدر السابق 8 : 105.

(8) - المؤمنون : 62- 63.

(9) - ينظر: المرادي، المصدر السابق 236.

(10) - ينظر: المالقي، رصف المباني 155.

(11) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 119.

3- ثم: ذكر سبويه أن الكلام إذا انقضى، ثم جيء بـ (ثم) حسن الابتداء؛ لأن الكلام حينئذ، يكون قد انقطع مما قبله⁽¹⁾. فـ (ثم) تكون إما حرف ابتداء على الاصطلاح، أي يكون بعدها المبتدأ والخبر، وإما ابتداء كلام⁽²⁾. فمن الأول قوله تعالى (قل الله ينجيكم منها، ومن كل كرب، ثم أنتم تشركون)⁽³⁾. وقراءة الرفع في قوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت وقع أجره على الله)⁽⁴⁾.
والتقدير: ثم هو يدركه الموت⁽⁵⁾. ولا يجوز، على رأي سبويه، الرفع في مثل هذا، لأن الكلام متصل بما قبله، ولم ينقطع⁽⁶⁾. ومن الثاني قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون)⁽⁷⁾.

وذكر المالقي في ختام حديثه أن الأمر قد يرجع إلى عطف الجمل. إذا كان الجملتان في كلام واحد، وأن ذلك يكون بحسب إرادة المتكلم⁽⁸⁾. وأنكر المرادي أن تكون (ثم) حرف ابتداء و ذكر في أنها في كل ذلك حرف عطف، تعطف جملة على جملة⁽⁹⁾.
4- حتى: إن (حتى) تقع في الكلام حرف ابتداء يستأنف بعدها⁽¹⁰⁾. وليس معنى الابتداء أن يليها المبتدأ والخبر، وإنما تليها الجملة الاسمية والفعلية على السواء⁽¹¹⁾. فمن الاسمية قول جرير:

(1) - ينظر: سبويه، الكتاب 3 : 89-90.
(2) - ينظر: المالقي، رصف المباني 175.
(3) - الأنعام : 64.
(4) - النساء : 100.
(5) - ينظر: الزمخشري، الكشاف 1 : 294.
(6) - ينظر: سبويه، المصدر السابق 3 : 89.
(7) - المؤمنون : 14-15.
(8) - ينظر: المالقي، المصدر السابق 175.
(9) - ينظر: المرادي، الجنى الداني 432.
(10) - ينظر: سبويه، المصدر السابق 3 : 18 والفارسي، الإيضاح العضدي 1 : 658. أجمع أغلب النحاة على أن الجملة بعدها مستأنفة لا محل لها. ينظر: الانباري ابو البركات، أسرار العربية 267 و السيوطي، همع الهوامع 248. و زعم الزجاج و ابن درستويه أن الجملة في موضع جر بـ (حتى)، ورد ذلك بأن حروف الجر لا تعلق عن العمل ينظر: السيوطي، المصدر السابق 248.
(11) - ينظر: المالقي، المصدر السابق 180 و المرادي، المصدر السابق 551.

فما زالت القتلى تمج دماؤها بدجلة، حتى ماء دجلة أشكل⁽¹⁾

فالجمله بعد حتى مستأنفة، غير متأثرة بـ (حتى)⁽²⁾. و مثله قول الفرزدق:

فيا عجا حتى كليب تسبني كأن أباهها نهشل، أو مجاشع⁽³⁾

فجملة : كليب تسبني ، مستأنفة غير متأثرة بعمل (حتى). و المعنى ههنا: يا عجا أتسبني اللئام

حتى يسبني كليبي⁽⁴⁾، أو حتى كليب هذه حالها.⁽⁵⁾

و إذا وليتها جملة فعلية فإما أن يكون فعلها مضارعا مرفوعا أو ماضيا. فإذا كان مضارعا فإنه يرتفع على وجهين⁽⁶⁾. و في كل وجه تفقد (حتى) عملها و يكون ما بعدها مستأنفا؛ لأنها تصبح حينئذ من حروف الابتداء، فلا تجيء على معنى : (إلى أن) و لا معنى (كي).⁽⁷⁾

أ- نقول: سرت حتى أدخلها، فتكون جملة (أدخلها) في موقع استئناف، غير متأثرة بـ(حتى)؛ لأن المعنى سرت، فإذا أنا في حال دخول. فالسير ههنا متصل بالدخول، و كأن المتكلم يخبر أنه في حال دخول اتصل به سيره.⁽⁸⁾ و معنى الاتصال أن السير و الدخول واقعان في الماضي⁽⁹⁾؛ لأن المعنى سرت حتى دخلت، و ورد الفعل الثاني بلفظ المضارع على حكاية

(1) - جرير، الديوان 457 و فيه : و مازالت، و : تمور بدل تمج.

(2) - ينظر: الزجاج، الجمل في النحو 66.

(3) - الفرزدق، الديوان 2: 518.

(4) - ينظر: الفراء، معاني القرآن 1 : 138.

(5) - ينظر: المبرد، المقتضب 2 : 41.

(6) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 17 و المبرد، المصدر السابق 2 : 39.

(7) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 18 و الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 316- 317.

(8) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 17-18 و المبرد، المصدر السابق 2 : 39.

(9) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 20.

الحال كقولنا : رأيت زيدا أمس و هو راكب.⁽¹⁾ و من ذلك (وزنلوا حتى يقول الرسول)⁽²⁾ في قول من رفع⁽³⁾، فالمعنى في الآية: حتى الرسول قائل أو إذا الرسول في حال قول⁽⁴⁾.
 ب- يكون ما قل (حتى) في هذا الوجه قد مضى و ما بعدها يكون الآن، لأن الثاني منقطع من الأول.⁽⁵⁾ مثال ذلك قولنا: لقد سرت حتى أدخلها ما أمتع، أي حتى أني الآن أدخلها كيفما شئت.⁽⁶⁾ و مثله: مرض حتى لا يرجونه، أي هو الآن كذلك.⁽⁷⁾ و شربت حتى يجيء البعير يجر بطنه. و مثل ذلك قول حسان:

يغشون حتى لا تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل⁽⁸⁾

فما بعد (حتى) في كل ما ذكرنا منقطع مما قبله. هكذا قال النحاة.⁽⁹⁾

إن ما قبل (حتى) في كلا الموضعين يكون سببا و ما بعدها مسببا، أي إن الأول يؤدي إلى الثاني، ولذا يمتنع أن يقال : سرت حتى تطلع الشمس؛ لأن السير لا يؤدي إلى طلوع الشمس، و لأن ما بعد (حتى) ليس غاية لما قبلها.⁽¹⁰⁾ و زعم الكسائي أنه سمع العرب تقول: سرنا حتى تطلع الشمس بزبالة.⁽¹¹⁾

و إذا ولي (حتى) فعل ماض، فإنها تكون ابتدائية، و ما بعدها مستأنفا⁽¹²⁾، نحو قوله

(1) - ينظر: الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 317 و ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 138.

(2) - البقرة : 214.

(3) - القراءة لمجاهد. ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 25 و الفراء، معاني القرآن 1 : 132 و ذكر الفراء أن الكسائي قرأ بالرفع دهرا ثم رجع. ينظر: الفراء، المصدر السابق 1 : 133. و ذكر ابن هشام أن القراءة : لنافع. ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 137.

(4) - ينظر: الأخفش، معاني القرآن 1 : 301 و المبرد، المقتضب 2 : 43.

(5) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 18-19 و الفارسي، المصدر السابق 1 : 317.

(6) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 19.

(7) - ينظر: المبرد، المقتضب 2 : 45.

(8) - البرقوق، شرح ديوان حسان 59 وفيه:.. حتى ما تهر. و السواد: الجمع الكثير.:

(9) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 19 و المبرد، المصدر السابق 2 : 40. و الفارسي، المصدر السابق 1 : 317.

(10) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3:25 و الأخفش، المصدر السابق 1:301 و الفراء، معاني القرآن و المبرد، المصدر السابق

24:2

(11) - ينظر: الفراء، المصدر السابق 1:134 و الزبالة : الشيء.،

(12) - المرادي، الجني الداني 552 و ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 138.

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة، حتى عفوا و قالوا⁽¹⁾. و زعم بعضهم أن (حتى) هنا جارة، و أن بعدها (أن) مضمرة، و في ذلك، كما يرى ابن هشام، تكلف إضمار من غير ضرورة.⁽²⁾ و من ذلك قوله تعالى (فما زالت تلك دعواهم، حتى جعلناهم حصيداً).⁽³⁾

إن (حتى)، في كل المواقع التي وردت فيها ابتدائية لا عمل لها، وصلت بين جملتين و جعلت مضمون الثانية غاية لما قبلها⁽⁴⁾؛ لأن معناها أن يتصل ما بعدها بما قبلها.⁽⁵⁾

5- الفاء: تأتي الفاء في الكلام للاستئناف أحياناً.⁽⁶⁾ و ذلك نحو: أريد أن تأتيني فتشتمني. يقول سيبيوه: " لم يرد الشتيمة، و لكنه قال: كلما أردت إتيانك شتمتني، هذا معنى كلامه، فمن ثم انقطع من أن"⁽⁷⁾ و عليه قوله تعالى (فلا تكفر فيتعلمون)⁽⁸⁾ فارتفعت، لأنه " لم يخبر عن الملكين أنهما قالاً: لا تكفر فيتعلمون، ليجعلا كفره سبباً لتعليم غيره، و لكنه على كفروا فيتعلمون"⁽⁹⁾، فهو إذا لم يجعل الثاني جواباً للأول، لأنه " لو كان كذلك لكان: فلا تكفر فيتعلموا؛ لأن جواب النهي بالفاء منصوب، و لكنه ابتداءً فقال: فيتعلمون، أي فهم يتعلمون."⁽¹⁰⁾

(1) - الأعراف : 95.

(2) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 138.

(3) - الأنبياء : 15.

(4) - ينظر: المرادي، الجني الداني 552-553.

(5) - ينظر: المبرد، المقتضب 1 : 43.

(6) - ينظر: الفراء، معاني القرآن 2 : 214 والهروي، الأزهرية 250.

(7) - سيبيوه، الكتاب 3 : 56.

(8) - البقرة : 102.

(9) - سيبيوه، المصدر السابق 3 : 38.

(10) - الهروي، المصدر السابق 250.

ومثله قوله تعالى (إنما يقول له كن، فيكون.)⁽¹⁾ فكأنه قال: إنما أمرنا ذلك فيكون.⁽²⁾ و نحوه قول جميل:

ألم تسأل الربع القواء، فينطق وهل تخبرنك اليوم ببداء سملق⁽³⁾

فهو لم يجعل الأول سببا للآخر، و لكنه جعله ينطق على كل حال.⁽⁴⁾ فالمعنى : فهو ينطق.⁽⁵⁾

ذكر المرادي أن هذه الفاء-أي الفاء التي يستأنف بعدها الكلام-ترجع عند التحقيق للفاء العاطفة للجمل لقصد الربط بينها.⁽⁶⁾ و أقر ابن هشام قول المرادي، و أضاف أن المعتمد بالعطف، في هذه الأمثلة، و ما شابهها، الجملة لا الفعل، و إنما يقدر النحويون كلمة: هو ، ليبينوا أن الفعل ليس المعتمد بالعطف.⁽⁷⁾

6- لكن: تأتي (لكن) حرف ابتداء يستأنف بعدها الكلام، فتدخل لترك قصة إلى قصة أخرى، مخالفة للأولى.⁽⁸⁾ يقول سيبويه: " و لو ابتدأت كلاما فقلت: ما مررت برجل، و لكن حمار، تريد: و لكن هو حمار، كان عربيا، أو بل حمار، أو لا بل حمار، كان كذلك، كأنه قال: و لكن الذي مررت به حمار." ⁽⁹⁾ و تقع هنا بعد الإيجاب و النفي؛ لأن التي تليها جملة.⁽¹⁰⁾ و تفيد ههنا أيضا معنى الاستدراك.⁽¹¹⁾ و ذكر المالقي أنها تفيد الإضراب.⁽¹²⁾ و يجوز أن تستعمل ههنا بالواو و بدونها.⁽¹³⁾ و من ذلك قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك)⁽¹⁴⁾ و (وما ضلماهم، و لكن كانوا هم الظالمين).⁽¹⁵⁾

(1)-البقرة : 117.

(2)- ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 39.

(3)- جميل بثينة الديوان، 144، تحقيق : د.حسن نصار، دار مصر للطباعة و النشر و القواء: الخرب، و السملق الأرض غير المنبثة.

(4)- ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 37.

(5) و (6)- ينظر الماردي، الجنى الداني 76.

(7)- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 182.

(8)- ينظر: الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي : 1 : 290 و ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 106.

(9)- سيبويه، المصدر السابق 1 : 440.

(10)- ينظر: المرادي، المصدر السابق 591.

(11) و (12) ينظر المالقي، رصف المباني 276.

(13)- ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 324.

(14)- و سياق الآية (و كلم الله موسى تكليما، رسلا مبشرين، و مندربين، لنلا يكون على الله حجة بعد الرسل، و كان الله عزيزا

حكيمًا، لكن الله يشهد بما أنزل إليك.) النساء : 164 - 166.

(15)- الزخرف : 76.

7- الواو: تقع الواو في الكلام أحيانا حرف استئناف يستأنف ما بعدها.⁽¹⁾ و يسميها بعضهم حرف ابتداء.⁽²⁾ و معنى الاستئناف، أو الابتداء أن يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب.⁽³⁾ و تأتي بعدها الجملة الاسمية نحو (ثم قضى أجلا، و أجل مسمى عنده)⁽⁴⁾ فأجل ههنا على الابتداء، و ليس على (قضى).⁽⁵⁾ و مثله قوله تعالى (ثم أنزل عليكم بعد الغم آمنة، نعاسا يغشى طائفة، و طائفة قد أهمتهم أنفسهم)⁽⁶⁾، فالواو ههنا للابتداء لا للعطف⁽⁷⁾، إذ انقطع النصب، ثم جاء موضع رفع.⁽⁸⁾

و تأتي بعدها الجملة الفعلية أيضا نحو (نبيين لكم، و نقر في الأرحام)⁽⁹⁾ رفع (ونقر) على الاستئناف، و المعنى: و نحن نقر في الأرحام؛ لأن الحديث مذكور ههنا للبيان لا للإقرار.⁽¹⁰⁾ و مثله قول الشاعر⁽¹¹⁾:

على الحكم المأتي يوما إذا قضى قضيته أن لا يجور، و يقصد

قال سيبويه: " كأنه قال: عليه غير الجور، و لكنه يقصد أو هو قاصد. فابتداء و لم يحمل الكلام على (أن)، كما تقول: عليه أن لا يجور و ينبغي له كذا و كذا. فالابتداء في هذا أسبق و أعرف."⁽¹²⁾، فالرفع في البيت متعين، لئلا يلزم التناقض.⁽¹³⁾

(1)- ينظر: الهروي، الأزهرية 240.

(2) و (3) ينظر المالقي، رصف المباني 416.

(4)- الأنعام: 2.

(5)- ينظر: الاخفش، معاني القرآن 2: 482.

(6)- آل عمران: 154.

(7)- ينظر: سيبويه، الكتاب 1: 90.

(8)- ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن 1: 105.

(9)- الحج: 5.

(10)- ينظر سيبويه، المصدر السابق 3: 53.

(11)- عبد الرحمن بن أم الحكم، سيبويه، المصدر السابق 3: 56 و القصد: العدل.

(12)- سيبويه، المصدر السابق 3: 56.

(13)- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1: 397.

و ذكر المرادي أن الظاهر في هذه الواو أنها " التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط، و إنما سميت واو الاستئناف، لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها." (1)

الاستئناف بدون أدوات :

قد تنقطع الجملة مما قبلها من كلام إذا كان المعنى قد تم، و تسمى حينئذ استئنافية. (2) نحو (و لا يحزنك قولهم، إن العزة لله) (3) قال الفراء : " المعنى الاستئناف، و لم يقولوا هم ذاك فيكون حكاية." (4) و نحوه (سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض) (5)، فجملة (إنا مكنا له في الأرض) مستأنفة مفصلة عما قبلها. (6) و قوله تعالى (و اذكر اسم ربك، و تبتل إليه تبتيلا. رب المشرق و المغرب) (7)، قال الفراء : " خفضها عاصم و الأعمش، و رفعها أهل الحجاز. و الرفع يحسن إذا انفصلت الآية من الآية، و مثله (و تذكرون أحسن الخالقين، الله ربكم) (8)، في هذين الموضعين يحسن الاستئناف و الإتيان." (9) و مثل ذلك في القرآن كثيرا. (10) و من الجمل المستأنفة، الجملة التي يكون عاملها ملغى لتأخره، نحو زيد قائم أظن. ف (أظن) جملة مستأنفة. (11)

(1) - المرادي، الجنى الداني 163.

(2) - ينظر: الفراء، معاني القرآن 3 : 280 و ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 427.

(3) - يونس : 65

(4) - الفراء، المصدر السابق 1 : 471.

(5) - الكهف : 84.

(6) - ينظر ابن هشام، المصدر السابق 2 : 427.

(7) - المزمّل : 8-9

(8) - الصافات : 125-126.

(9) - الفراء، المصدر السابق 3 : 198.

(10) - إن كتاب معاني للفراء، و مجاز القرآن لأبي عبيدة، و إيضاح الوقف و الابتداء للأنباري، و غيرها من الكتب التطبيقية مليئة بكثير من الشواهد التي وقعت فيها الجمل مستأنفة، و لا مجال ههنا لعدّها.

(11) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 2 : 428

و قد ذكر ابن هشام جملة من الشواهد خفي فيها أمر الاستئناف، و من ذلك (لا يسمعون) في قوله تعالى (و حفظا من كل شيطان مارد، لا يسمعون إلى الملا الأعلى)⁽¹⁾ قال : " فإن الذي يتبادر إلى الذهن أنه صفة لكل شيطان، أو حال منه، وكلاهما باطل؛ إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع، و إنما هي للاستئناف النحوي."⁽²⁾

و من ذلك أيضا قوله (فلا يحزنك قولهم، إنا نعلم ما يسرون، و ما يعلنون.)⁽³⁾، فما يتبادر إلى الذهن أن قوله : إنا نعلم ما يسرون، و ما يعلنون محكي بالقول، و هو ليس كذلك؛ لأن ذلك ليس مقولا لهم.⁽⁴⁾

و مثل ذلك (تثير الأرض).⁽⁵⁾ فقد زعم أبو حاتم أن الوقف على (ذلول) جيد ثم يبتدئ: تثير الأرض على الاستئناف.⁽⁶⁾ يقول ابن هشام: "... ورده أبو البقاء بأن (ولا) إنما تعطف على النفي، و بأنها لو أثارت الأرض كانت ذلولا. و يرد اعتراضه الأول صحة : مررت برجل يصلي، و لا يلتفت، و الثاني أن أبا حاتم زعم أن ذلك من عجائب هذه البقرة. و إنما وجه الرد أن الخبر لم يأت بأن ذلك من عجائبها، و بأنهم إنما كلفوا بأمر مردود، لا بأمر خارق للعادة، وبأنه كان يجب تكرار (لا) في (ذلول) إذ لا يقال: مررت برجل لا شاعر، حتى تقول (و لا كاتب). لا يقال قد تكررت بقوله تعالى: و لا تسقي الحرث؛ لأن ذلك واقع بعد الاستئناف على زعمه."⁽⁷⁾

(1)-الصفات : 7-8

(2)-ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 429.

(3)-يس : 76.

(4)- ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 2 : 429.

(5)-و سياق الآية(قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض و لا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها) البقرة : 71.

(6)- ينظر: الزجاج، إعراب القرآن 3 : 822 و ابن هشام، المصدر السابق 2 : 430.

(7)-ابن هشام، المصدر السابق 2 : 430

قد يحتمل اللفظ الاستئناف و غيره، و هو نوعان: (1)

أحدهما : ما إذا حمل على الاستئناف احتاج إلى كلام يكمله نحو : زيد في قولنا : نعم الرجل زيد. و الثاني: ما لا يحتاج فيه إلى ذلك لكونه جملة تامة، و ذكر ابن هشام أن هذا النوع كثير، و منه الجملة المنفية و ما بعدها في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم، لا يألونكم خبالا، ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم، و ما تخفي صدورهم أكبر.) (2) فهي جمل مستأنفة تفيد التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة من دون المسلمين، و هو الأبلغ و الأجود. و يحتمل أن تكون الجملتان (لا يألونكم) و (قد بدت ...) صفتين، كأنه قيل: بطانة غير ما نعتكم فسادا، بادية بغضاؤهم. (3) و ذكر ابن هشام أن الواحدي (4) منع أن تكون الجملتان صفتين لعدم وجود حرف العطف بينهما، و زعم أنه لا يقال: لا تتخذ صاحبا يؤذيك، أحب مفارقتك. و الذي يظهر - كما قال ابن هشام - أن الصفة تتعدد بغير عاطف، و إن كانت جملة كما في الخبر. (5) نحو قوله تعالى (الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان.) (6)

(1) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2: 430.

(2) - آل عمران : 118 الخيال : الفساد، ألا يألو : قصر و أبطأ.

(3) - ينظر: الزمخشري، الكشاف 1: 213 و ابن هشام، المصدر السابق 2: 430.

(4) - علي بن احمد (هـ) 468 عالم مفسر، له كتب في التفسير وأسباب النزول و"شرح ديوان المتنبي". ينظر السيوطي، بغية الوعاة

14 5: 2

(5) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 2: 430.

(6) - الرحمن : 4-1 .

الجملة الحالية

إن الجملة قد تقع في موضع الحال، فتكون في محل نصب.⁽¹⁾ و من شرائطها حينئذ أن تكون خبرية غير مفتحة بدليل استقبال⁽²⁾، و أن يكون فيها ما يربطها بما قبلها⁽³⁾، كالـواو و الضمير نحو (لا تقربوا الصلاة، و انتم سكارى).⁽⁴⁾ أو الواو فقط نحو (لئن أكله الذئب، و نحن عصبه)⁽⁵⁾ أو الضمير فقط نحو (ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة).⁽⁶⁾

و الظاهر من كلام ابن جني أن الجملة قد تخلو من الاثنين-الضمير و الواو-، وذلك نحو قول الشاعر:⁽⁷⁾

ثم أنصبنا جبال الصفر معرضة عن اليسار، و عن إيماننا جدد

قال: "ودل على ذلك أمران: أحدهما أن المعنى عليه، ودلالة الحال في البيان جارية مجرى دلالة اللفظ. و الآخر ما ظهر من الضمير فيما عطف عليه من قوله: و عن إيماننا. فكأنه قال: عن يسارنا أو عن اليسار منا."⁽⁸⁾

و قد أكد ابن مالك ذلك، فذكر أن الجملة الاسمية قد تخلو منهما عند ظهور الملابس.⁽⁹⁾ و ذلك نحو: مررت بالبر قفيز بدرهم⁽¹⁰⁾، و هو قليل.⁽¹¹⁾ و قدر ابن هشام الضمير ههنا.⁽¹²⁾ و الجملة الحالية لا تخلو من أن تكون اسمية، أو فعلية.⁽¹³⁾

(1) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 66 و ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 459.
(2) - ينظر: ابن السكيت، الأمل في الشجرية 2 : 279 و ابن مالك، تسهيل الفوائد 112 و المالقي، رصف المباني 418.
(3) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 558 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 246.
(4) - النساء : 43.
(5) - يوسف : 14.
(6) - الزمر : 60.
(7) - غاسل بن غزية الجربي. ينظر: ابن جني، التمام في تفسير أشعار هذيل 120، تحقيق: ثلاثة أساتذة منهم أحمد مطلوب، مطبعة العائلي، طر، بغداد 1962.
(8) - المصدر السابق 122.
(9) - ينظر: ابن مالك، المصدر السابق 113.
(10) - ينظر: السيوطي، المصدر السابق 1 : 247 و القفيز: مكيال ج قفزان و أفقرة.
(11) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 2 : 43.
(12) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 559.
(13) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 65 و أبو عمرو عثمان بن الحاجب، شرح الوافية نظم الكافية 221، تحقيق: د. موسى بناي علوان العالي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف . 1980 و المالقي، رصف المباني 418-419.

الجملة الاسمية :

إن الواضح من كلام ابن الشجري، أن ورود الواو مع الجملة الاسمية ليس واجبا، يقول: "... و إذا كانت الجملة المبتدئية وقعت حالا جاز أن تأتي فيها بواو"⁽¹⁾، و ذكر أنه إذا حذف الواو من الجملة اكتفاء بالضمير جاز ذلك، نحو : خرج أخوك يده على وجهه، و منه قول الشاعر:

نصف النهار الماء غامره و رفيقه بالغيب لا يدري⁽²⁾

و إن اكتفى بالواو، دون الضمير، جاز أيضا نحو: جاء زيد و عمرو حاضر.⁽³⁾ و قد أكد المالقي هذا الأمر، فذكر أن وجود الضمير في الجملة يغني عن الواو، و أن خلوها منه يستلزم وجود الواو، قال "لأن الواو هي الرابطة للجملتين، فلولاها لم يقع ارتباط بينهما."⁽⁴⁾

و ذكر الزمخشري أن الجملة الحالية إن كانت اسمية فالواو، إلا ما شد من قولهم: كلمته فوه إلى في، و ما عسى أن يعثر عليه في الندرة.⁽⁵⁾ ورد ابن يعيش ذلك، قال: "وليس الأمر كذلك، إنما يلزم أن تأتي بما يعلق الجملة الثانية بالأولى؛ لأن الجملة كلام مستقل بنفسه مفيد لمعناه، فإذا وقعت الجملة حالا فلا بد مما يعلقها بما قبلها، و يربطها به؛ لئلا يتوهم أنها مستأنفة، و ذلك يكون بأحد أمرين: إما الواو، و إما ضمير يعود منها إلى ما قبلها."⁽⁶⁾ إلا أنه اعتبر أن مجيء الواو. و الضمير هو الجيد؛ لأن في ذلك تأكيد ربط الجملة بما قبلها. و ذكر أيضا أن

(1)-ابن الشجري،الأمالى الشجرية 2 : 277.

(2)- ينظر:ابن السكيت،إصلاح المنطق 241.

(3)- ينظر:ابن الشجري، المصدر السابق 2 : 278.

(4)-المالقي،رصف المباني 419.

(5)-ابن يعيش،شرح المفصل 64.

(6)-ابن يعيش، المصدر السابق 2 : 66 يقول الرضي : "... إنما ربطوا الجملة الحالية بالواو،دون الجملة التي خبر المبتدأ، فإنه اكتفى فيها بالضمير؛ لأن الحال يجيء فضله بعد تمام الكلام،فاحتج في الأكثر إلى فضل ربط،فصدرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط. أعنى أصلها الجمع،لتؤذن من أول الأمر بأن الجملة لم تبق على الاستقلال." الاستربادي،شرح الكافية 2 : 41

استعمال الواو مع الجملة الاسمية هو الأكثر. (1) و هو نفس الأمر الذي أكــــده ابن مالك و السيوطي أيضا. (2)

ورد ابن هشام أيضا زعم الزمخشري، قال: "وليس كذلك لورودها في مواضع من التنزيل" (3) و مثل لذلك بقوله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) (4)، و (الله يحكم لا معقب لحكمه) (5)، و (يوم ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) (6) و (نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب، كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون). (7)

فالأكثر - كما يرى بعض النحاة- في الجملة الاسمية الواقعة حالا، أن توصل بما قبلها بالواو (8)، إلا أنها قد تستغني عنه، فتأتي مفصولة عما قبلها. (9)

الجملة الفعلية :

لا تخلو الجملة الفعلية، الواقعة حالا، من أن يكون فعلها ماضيا، أو مضارعا مثبتا، أو منفيا. (10)

1- الجملة ذات الفعل المضارع : إذا كان فعلها مثبتا فإنها تأتي مفصولة عما قبلها دون حاجة

إلى الواو. (11) ، يقول ابن مالك :

وذا ت بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا، و من الواو خلت (12)

(1) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 65-66.

(2) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 112 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 246.

(3) - ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 558.

(4) - البقرة : 36 و الأعراف : 24.

(5) - الرعد : 14.

(6) - الزمر : 60.

(7) - البقرة : 101.

(8) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 66 و ابن الحاجب، شرح الوافية 220 و ابن مالك، تسهيل الفوائد 112.

(9) - ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 2 : 66 و ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 558.

(10) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 2 : 278 و المالقي، رصف المباني 419 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1 : 658.

(11) - ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 2 : 66 و ابن مالك، تسهيل الفوائد 112 و المرادي، الجنى الداني 164.

(12) - ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 656.

و ذلك نحو (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء.)⁽¹⁾ . و قد علل النحاة استغناء الجملة، ههنا عن الواو، بالمناسبة الكائنة بين الفعل المضارع، و اسم الفاعل، فجاءني زيد يركب بمعنى: جاءني زيد راكبا.⁽²⁾ و أما نحو: قمت و أصك عينيه، و قول الشاعر:

فلما خشيت أظافيره نجوت، و أرهنهم مالكا⁽³⁾

فأولاً، على حذف المبتدأ، أي و أنا أصك، و أنا أرهنهم.⁽⁴⁾ و ذكر المالقي أن هذا التأويل متكلف، و لا ضرورة تدعو له. و واضح من كلامه، أن المضارع المثبت قد تصحبه الواو، إلا أن الاستغناء عنها هو الأكثر.⁽⁵⁾

أما المضارع المثبت المقرون بقد، فتلزم معه الواو. نحو (لم تؤذونني، و قد تعلمون).⁽⁶⁾

و إذا كان فعلها منفيًا، جاز أن توصل بما قبلها بالواو، و جاز أيضا أن تفصل عما قبلها، فتستغني عن الواو.⁽⁷⁾ تقول: جاء زيد لم يضحك، أو لم يضحك بالواو.⁽⁸⁾ و قد فسر ابن يعيش ورود الواو مع المضارع المنفي، بكون الجملة حينئذ تصير شبيهة بالجملة الاسمية. قال في قوله تعالى (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا، لا تخاف دركا و لا تخشى.)⁽⁹⁾، قال: " فقوله: لا تخاف دركا و لا تخشى، في موضع الحال، فأتى بالواو في موضع، و لم يأت بها في موضع. فإذا أتى بها فلشبه الجملة الفعلية بالجملة الاسمية، لمكان حرف النفي.

(1) - القصص : 25.

(2) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 66 و الاستربادي، شرح الكافية 2 : 43.

(3) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب 13 : 188.

(4) - ينظر: المرادي، الجنى الداني 164 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 246.

(5) - ينظر: المالقي، رصف المباني 420.

(6) - سياق الآية (و إذ قال موسى لقومه، يا قوم لم تؤذونني، و قد تعلمون أني رسول الله إليكم). الصف: 5.

(7) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 67 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1 : 659.

(8) - ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 1 : 659.

(9) - طه : 77

و من لم يأت بها فلأنه فعل مضارع." (1) و قد استثنى ابن مالك، و بعده السيوطي المضارع المنفي بلا، فلا يجوز عنده أن يصحب بالواو. و ما ورد من ذلك يجعله خبر مبتدأ مقدر. (2) و ذلك نحو (فاستقيما، و لا تتبعان) (3) بتخفيف النون، و (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا، و لا تسأل عن أصحاب الجحيم) (4)، فالتقدير ههنا: و أنتما لا تتبعان، و أنت لا تسأل. (5) و ذكر بعضهم أن المضارع المنفي بلم، لا بد فيه من الواو؛ لأن نحو: لم يضرب ماض معنى كضرب" فكما أن ضرب لمناقضته للحال ظاهرا، احتاج إلى (قد) المقربة له من الحال لفظا وتقديرا، كذلك، لم يضرب، يحتاج إلى الواو التي هي علامة الحالية" (6)

و إذا انتفى المضارع بـ(ما) لم تدخله الواو؛ لأن " المضارع المجرد يصلح للحال، فكيف لا إذا انضم معه ما يدل بظاهره على الحال و هو ما." (7)

2- الجملة ذات الفعل الماضي: يرى البصريون أن الفعل الماضي الواقع حالا لا بد معه من (قد) ظاهرة، نحو (و ما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله، و قد فصل لكم ما حرم عليكم). (8) أو مضمرة (9) نحو (أنؤمن لك، و اتبعك الأردنون) (10). أما الكوفيون فيذهبون إلى جواز وقوع الفعل الماضي حالا، سواء كان معه (قد) أو لم تكن. (11) و ذكر ابن مالك أن ثبوت (قد) قبل الماضي غير التالي لـ(إلا) ، و المتلو بـ (أو) أكثر من تركها إن وجد الضمير. (12)

(1) - ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 67-68.

(2) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 311-112

(3) - سياق الآية (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما، و لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يونس : 89.

(4) - البقرة : 119 .

(5) - ينظر: السيوطي، همع الهوامع 1 : 246.

(6) - الاستربادي، شرح الكافية 2 : 44.

(7) - المصدر السابق 2 : 45.

(8) - الأنعام : 119.

(9) ينظر: ينظر ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 707.

(10) - الشعراء : 111

(11) ينظر: ينظر ابن يعيش، المصدر السابق 2 : 67.

(12) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 113

ذكر ابن يعيش أن الفعل الماضي إذا اقترن بقدر كنت مخييرا في الإتيان بواو الحال،
و تركها. تقول: جاء زيد قد علاه الشيب، و إن شئت قلت: و قد علاه الشيب.⁽¹⁾

و ذكر ابن مالك أنه إن عدم الضمير، في الجملة الحالية ذات الفعل الماضي، لزم (قد)
و الواو.⁽²⁾

و أكد المالقي هذا الأمر، فذكر أنه إن كان في الجملة ضمير لم تلزم الواو، نحو: قام زيد
خرج أبوه. و إن لم يكن فيها ضمير لزم الواو نحو: قام زيد، خرج أبوه. و إن لم يكن فيها
ضمير لزم الواو نحو: قام زيد، و قد قعد عمرو.⁽³⁾

و ذكر كل من الرضي و ابن عقيل، أن الجملة ذات الفعل الماضي - المثبت و المنفي -
يجوز أن توصل بما قبلها بالواو، أو تظل مفصولة دون حاجة إلى واو.⁽⁴⁾ تقول: جاء زيد قد
قام أبوه، وجاء زيد و قد قام أبوه، و جاء زيد ما قام أبوه، أو وما قام أبوه.⁽⁵⁾

وإذا كان الفعل الماضي تاليا لـ (إلا) أو متلوا بـ (أو)، لم تلزم الواو، و يكفي
بالضمير.⁽⁶⁾ نحو قوله تعالى (يا حسرة على العباد، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن).⁽⁷⁾
ونحو قولنا: لأضربنه ذهب، أو مكث، و قول الشاعر:

كن للخليل نصيرا جار، أو عدلا و لا تشح عليه جادا، أو بخلا⁽⁸⁾

و ذكر الرضي أن الماضي إذا كان بعد (إلا) فاكتفاؤه بالضمير من دون الواو و (قد)
أكثر. وقد يجيء مع الواو و (قد)، و مع الواو وحدها.⁽⁹⁾

(1) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2 : 67.

(2) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 113 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 247.

(3) - ينظر: المالقي، رصف المباني 419.

(4) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 2 : 44 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1 : 659.

(5) - ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 1 : 659.

(6) - ينظر: ابن مالك، المصدر السابق 112 و السيوطي، المصدر السابق 1 : 247.

(7) - ييس : 30.

(8) - ذكر السيوطي الشطر الأول منه دون نسبة. ينظر: همع الهوامع 1 : 246 و ورد في هامش شرح ابن عقيل كاملا دون نسبة

أيضا. ينظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1 : 659.

(9) - ينظر : الاستربادي، المصدر السابق 2 : 46.

و إذا كان فعل الجملة الحالية (ليس)، فالأكثر أن توصل بما قبلها بالواو. (1) نحو قوله
(ولا تيمموا الخبيث منه، تنفقون و لستم بأخذيهِ) (2)، و مثله قول الشاعر:
دهم الشتاء، و لست أملك عدة (3)

الجملة الواقعة صفة

مثلما تقع الجمل أخبارا و أحوالا، فإنها تقع أيضا صفات (4). و لا يوصف بالجمل إلا
النكرات. (5) يقول ابن مالك:

و نعتوا بجملة منكرا فأعطيت، ما أعطيته خبرا (6)

و قد يوصف بالجملة معرف بلام، لا يشار به إلى واحد بعينه. (7) كقوله:

و لقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت، ثم قلت لا يعنيني (8)

و نحو قوله تعالى (و آية لهم الليل نسلخ منه النهار) (9)، ف (يسبني) صفة لـ (لئيم) و (نسلخ)
صفة لـ (الليل). و لا يتعين هذا عند ابن عقيل، لجواز كون الجملتين حالين. (10) و ذكر ابن
هشام أن الجملتين تحتلان الوصف و الحالية معا. و مثلهما أيضا قوله تعالى (كمثل الحمار يحمل
أسفارا) (11)، قال: لأن المعرف الجنسي يقرب في المعنى من النكرة. (12)

(1) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 2 : 43 و السيوطي، همع الهوامع 1 : 246.

(2) - البقرة : 267.

(3) - شطر بيت ذكره السيوطي دون نسبة. ينظر: همع الهوامع 1 : 246.

(4) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 3 : 52. و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 195.

(5) - ينظر: الزمخشري، المفصل 115 و الاستربادي، المصدر السابق 2 : 298 و ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 195.

(6) - ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 195.

(7) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 2 : 300.

(8) - مر في الفصل الأول. 71

(9) - يس: 37

(10) - ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 197.

(11) - الجمعة : 5.

(12) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2 : 480

و من شرائط الجملة الوصفية أيضا أن تكون خبرية، يدخلها الصدق و الكذب⁽¹⁾، فلا يقال: مررت برجل أضربه⁽²⁾. و علة ذلك أن الغرض من الصفة الإيضاح، و البيان بذكر " حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطب له، ليست لمشاركة في اسمه و الأمر و النهي و الاستفهام ليست بأحوال ثابتة للمذكور يختص بها، إنما هو طلب و استعلام، لا اختصاص له بشخص دون شخص.⁽³⁾ و أما قوله:

حتى إذا جن الظلام، و اختلط جاعوا بمذق، هل رأيت الذئب قط⁽⁴⁾

فقوله (هل رأيت الذئب قط) ليس صفة للمذق، كما قد يتوهم، و إنما هو بمعنى: مذق مقول فيه ذلك.⁽⁵⁾

و الجملة الوصفية تأتي في أغلب الأحيان مفصولة عما قبلها، فلا تحتاج إلى رابط كالواو و الفاء، أو غيرها. و ذلك لأن الصفة تابعة للموصوف، و هي من تمامه، و هذا بخلاف الحالية مثلا، التي تأتي فضله بعد تمام الكلام، فتحتاج في الأكثر إلى الواو.⁽⁶⁾ إلا أنه لا بد لها من ضمير يربطها بالموصوف. و قد يحذف إذا دل عليه دليل، نحو قول الشاعر:

و ما أدري أغيرهم تناء و طول العهد، أم مال أصابوا⁽⁷⁾

و التقدير: أم مال أصابوه. و مثله وله تعالى (و اتقوا يوما، لا تجزي نفس عن نفس شيئا).⁽⁸⁾ أي لا تجزي فيه.⁽⁹⁾

(1) - ينظر: الزمخشري، المفصل 115 و ابن الحاجب، شرح الوافية 256.

(2) - ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 198.

(3) - ابن يعيش، شرح المفصل 3 : 53 و ينظر: أيضا الاستربادي، شرح الكافية 2 : 299.

(4) - لم ينسبه أحد. و هو في المفصل 115 و شرح المفصل 3 : 53 و شرح الكافية 2 : 301 و شرح ابن عقيل 2 : 199 المذق. هو اللين الممزوج بالماء فيقل بياضه، فيشبه بلون الذئب. يصف قوما ضيفوه و أطالوا عليه حتى مل، ثم أتوه بلبن قد أكثروا عليه الماء، حتى قل بياضه. ينظر: هامش شرح المفصل 3 : 53.

(5) - ينظر: الزمخشري، المصدر السابق 115 و ابن يعيش، المصدر السابق 3 : 53 و ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 200.

(6) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 2 : 41 و قد تحتاج الجملة الوصفية أيضا إلى رابط إذا فصل بينهما و بين موصوفها فاصل مثل: إلا، نحو ما جاءني رجل إلا و هو فقير ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 2 : 41.

(7) - نسبه ابن الشجري إلى الحارث بن كلدة. ينظر: الأمالي الشجرية 2 : 334.

(8) - البقرة : 48 و 123.

(9) - ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 197-198.

و الجملة الوصفية، كما مثل لها ابن هشام⁽¹⁾، قد تأتي في محل نصب نحو (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم)⁽²⁾، أو في محل رفع نحو (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه)⁽³⁾، أو في محل جر نحو (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه).⁽⁴⁾

أسلوب الشرط و الجزاء

يرتكز هذا الأسلوب في العربية على دعامتين، يكون في الأولى خاضعا لأدوات معينة تساهم في ربط الجملتين، و تصيرهما كالجملة الواحدة.⁽⁵⁾ ويكون في الثانية مجردا من هذه الأدوات.⁽⁶⁾

و نحن ههنا لن نعرض لمعاني هذه الأدوات؛ لأن ما يهمنا هو علاقة هذه الجمل بعضها ببعض، و وردها مفصولة في موضع، و موصولة في موضع آخر.

أسلوب الشرط و الجزاء بالأدوات :

تعد (إن) أم حروف الشرط، للزومها هذا المعني، و عدم خروجها عنه إلى غيره.⁽⁷⁾

(1) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب : 2 : 474.

(2) - التوبة : 103.

(3) - البقرة : 254.

(4) - آل عمران : 9.

(5) - ينظر: سيبويه، الكتاب : 1 : 134 و ابن يعيش، شرح المفصل : 8 : 156.

(6) - ينظر: الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي : 1 : 322 و ابن يعيش، المصدر السابق : 7 : 41.

(7) - ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق : 7 : 41، حمل الكوفيون (أن) الناصبة للمضارع على (إن) الشرطية، و ذكروا من ذلك قوله تعالى (أن تضل إحداهما فتذكر) البقرة : 282، و منع البصريون ذلك، ينظر المالقي، الجنى الداني 223-224 و السيوطي، الإتيان في علوم القرآن : 1 : 156.

و قد تقع أسماء موقع (إن)، و تلك الأسماء منها ما هي ظرف، و منها ما هي غير ظرف.⁽¹⁾
 فالظروف هي: متى، و أين، و أنى، و حيثما، و أي، و إذما، و إذا ما، و أيان.⁽²⁾ و كل
 هذه الظروف يجوز أن يجازى بها من غير أن يضم إليها (ما)، باستثناء حيث، و إذ، و إذا ،
 فإن (ما) لازمة فيها.⁽³⁾ أما غير الظروف فهي: من، و ما ، و مهما، و أي.⁽⁴⁾

تدخل هذه الأدوات على الجملتين، فتجعل الأولى شرطاً، و الثانية جزاء⁽⁵⁾، و يسميها
 بعضهم جواباً⁽⁶⁾، و تحتاج كل جملة إلى الأخرى مثلما يحتاج المفرد إلى المفرد.⁽⁷⁾

و تأتي هاتان الجملتان موصولتين بالفاء أحياناً، و مفصولتين أحياناً أخرى.⁽⁸⁾ وقد حدد
 النحاة ذلك، فقالوا إن الجواب إن كان مما يصلح أن يكون شرطاً، فلا حاجة إلى ربط بينه و بين
 الشرط، و إن كان لا يصلح لذلك فلا بد من رابط بينهما.⁽⁹⁾ و بينوا ذلك كما يلي:

1- مواضع الوصل : تصل الفاء بين الشرط و الجزاء و جوبا في الحالات التالية⁽¹⁰⁾

أ- أن يكون الجواب جملة اسمية، سواء تصدرت بالحرف أو لا.⁽¹¹⁾ نحو (و إن يمسك بخير،
 فهو على كل شيء قدير).⁽¹²⁾، و (إن تعذبهم فإنهم عبادك)⁽¹³⁾ و (من يضل الله فلا هادي له)⁽¹⁴⁾.

(1) - ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 56.

(2) - ينظر: المصدر السابق 3 : 56 و الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 321 و ابن يعيش، شرح المفصل 7 : 42 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 2: 365-369 لم يذكر سيبويه من هذه الأدوات : مهما و إذما و أيان. ينظر الكتاب 3 : 56.

(3) - ينظر: الفارسي ابو علي، المصدر السابق 1 : 321 و ابن يعيش، المصدر السابق 7 : 46

(4) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 56 و الفارسي ابو علي، المصدر السابق 1 : 321 و ابن يعيش، المصدر السابق 7 : 42.

(5) - ينظر: الزمخشري، المفصل 320.

(6) - ينظر: المالقي، رصف المباني 105 و المرادي، الجنى الداني 66.

(7) - ينظر: ابن جني، الخصائص 3 : 178.

(8) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 4 : 110 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 375-376.

(9) - ينظر: المرادي، المصدر السابق 66-67 و الاستربادي، المصدر السابق 4 : 110 و ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 375.

(10) - تسمى هذه الفاء فاء المجازة. ينظر الأخفش، معاني القرآن 1 : 221-222 يقول ابن يعيش: " و إنما أتى بالفاء ههنا توصلاً إلى المجازة بالجملة المركبة من المبتدأ و الخبر، فإنه لولا الفاء لما صح أن تكون جواباً." شرح المفصل 8 : 95.

(11) - ينظر الزمخشري، المفصل 321 و ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 3 و الاستربادي، المصدر السابق 4 : 110 و ابن عقيل،

المصدر السابق 5 : 375

(12) - الأنعام : 17.

(13) - المائدة : 118

(14) - الأعراف : 78.

و قد تحذف الفاء لضرورة.⁽¹⁾ و ذلك نحو قول حسان:

و من يفعل الحسنات الله يشكرها و الشر بالشر عند الله مثلان⁽²⁾

و أنشد في رواية: من يفعل الخير فالرحمن يشكره.⁽³⁾

ب- أن يكون الجواب جملة فعلية، فعلها جامد غير متصرف.⁽⁴⁾ نحو (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء)⁽⁵⁾ و (إن ترن أنا أقل منك مالا و ولدا، فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك)⁽⁶⁾.

ج- أن يكون الجواب جملة فعلية مصدرية بحرف سوى: لا و لم في المضارع، و ذلك سواء كان الفعل المصدر بها ماضيا، أو مضارعا.⁽⁷⁾ و تفصيل ذلك كمايلي :

تجب في الماضي إذا كان صحيحا، و معنى صحته أن يكون ماضيا لفظا و معنى، مصدرا بـ(قد) ظاهرة أو مقدره.⁽⁸⁾ و ذلك حقيقة⁽⁹⁾ نحو (إن كنت قلتة فقد علمته)⁽¹⁰⁾، و (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت)⁽¹¹⁾ أو مجازا⁽¹²⁾، نحو (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم)⁽¹³⁾ فقد نزل هذا الفعل منزلة ما وقع لتحقيق وقوعه.⁽¹⁴⁾

(1) - ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 64 و 114.

(2) -نسب البيت إلى حسان و لم أجده في ديوانه.

(3) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 3 و الاستربادي، شرح الكافية 4 : 111 و المرادي، الجنى الداني 70.

(4) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4 : 111 و المرادي، المصدر السابق 68 و ابن هشام مغني اللبيب 1 : 176.

(5) - آل عمران : 28.

(6) - الكهف : 39-40.

(7) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4 : 111

(8) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 3 و الاستربادي، المصدر السابق 4 : 111 و المرادي، المصدر السابق 67.

(9) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 177.

(10) - المائدة : 116.

(11) - يوسف : 26.

(12) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 177

(13) - النمل : 91.

(14) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 177.

و تجب في المضارع المصدر بلن، و ماء، و سوف، و السين.⁽¹⁾ نحو (و من يضل الله فلن يجد له سبيلا)⁽²⁾ و (فإن استقر مكانه فسوف تراني)⁽³⁾ و (إن تعاسرتم فسترضع له أخرى).⁽⁴⁾

د- أن يكون الجزاء جملة طلبية كالأمر النهي و الاستفهام وغيرها.⁽⁵⁾ نحو (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني)⁽⁶⁾ و (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم)⁽⁷⁾ و (فإن شهدوا فلا تشهد معهم)⁽⁸⁾ و (قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)⁽⁹⁾، و في هذه الآية أمران : الاسمية و الإنشائية.⁽¹⁰⁾

و قد اختيرت الفاء، دون سائر حروف العطف الأخرى، لتصل بين الشرط و جزائه؛ لأنها تفيد " الإلتباع و تؤذن بأن ما بعدها مسبب عما قبلها، إذ ليس من حروف العطف حرف يوجد فيه هذا المعنى سوى الفاء"⁽¹¹⁾، زيادة على خفتها لفظا.⁽¹²⁾

و قد تتوب (إذا) عن الفاء أحيانا، و يكون ذلك في الجملة الاسمية خاصة.⁽¹³⁾ إلا أن استعمالها قليل لثقل لفظها.⁽¹⁴⁾ و من ذلك قوله تعالى (و إن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون).⁽¹⁵⁾

(1) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 4 : 111 و المرادي، الجنى الداني 68 وابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 375 و ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 177.
(2) - النساء : 88 و 103.
(3) - الأعراف : 143.
(4) - الطلاق : 6.
(5) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4 : 111 و المرادي، المصدر السابق 68 و ابن هشام، المصدر السابق 1 : 177.
(6) - آل عمران : 31.
(7) - النساء : 102.
(8) - الأنعام : 150.
(9) - الملك : 30.
(10) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 177.
(11) - ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 2.
(12) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4 : 110.
(13) - ينظر: الزمخشري، المفصل 323 و ابن يعيش، المصدر السابق 9 : 3 و الاستربادي، المصدر السابق 4 : 116 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 116.
(14) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4 : 110.
(15) - الروم : 36.

* * *

و تصل الفاء التي سماها النحاة فاء الجواب بين جملتين، و ذلك في جواب الأمر، والنهي و الاستفهام، و النفي، و العرض.⁽¹⁾ و الغالب في الفاء ههنا، أن ينتصب الفعل الذي يعقبها بإضمار (أن) بعدها⁽²⁾. و إنما يكون ذلك إذا خالف الثاني الأول في المعنى؛ لأنه وافقه في المعنى، وافقه في الإعراب و الحكم أيضا.⁽³⁾ ولذا فقد علل الزمخشري سبب مجيء (فتصبح) بالرفع في قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة)⁽⁴⁾ على هذا الأساس: " فإن قلت فما له رفع و لم ينصب جوابا للاستفهام، قلت: لو نصب لأعطى عكس الغرض؛ لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار. مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أنني أنعمت عليك فتشكر، إن نصبت فأنت ناف لشكره، شكك تقريظه فيه، و إن رفعته فأنت مثبت للشكر."⁽⁵⁾ وذهب المبرد إلى أن هذا ليس بجواب؛ لأن المعنى " في قوله (ألم تر إنما هو انتبه و انظر. أنزل الله من السماء ماء فكان كذا و كذا. و ليس كقولك: ألم تأت زيدا فيكرمك؛ لأن الإكرام يقع للآتيان، و ليس اخضرار الأرض واقعا من أجل رؤيتك."⁽⁶⁾

و من ههنا فإن ما بعد الفاء، في هذه المواضع، يحتمل الاستئناف و العطف، إذ ليس شرطا أن ينتصب ما بعدها في كل الأحوال.⁽⁷⁾ و قد ذهب البصريون إلى أن هذه الفاء عاطفة دائما، فإذا قيل: أكرمني فأحسن إليك، فالتقدير: ليكن منك إكرام، فأحسن مني.⁽⁸⁾

(1) - ينظر: الأخفش، معاني القرآن 1 : 221- 222 و لم يذكر المبرد سوى الأمر و النهي و الاستفهام ينظر المقتضب 2 : 14. و ينظر: الفارسي، الإيضاح العضدي 1: 312 والمالقي، رصف المباني 379 و ذكر المرادي الترجي أيضا ينظر المرادي، الجني الداني 74.

(2) - ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 46 و المبرد، المقتضب 2 : 6-7.

(3) - ينظر: الفراء، المصدر السابق 1 : 27 و الفارسي أبو علي، المصدر السابق 1 : 313-314.

(4) - الحج : 63.

(5) - الزمخشري، الكشاف 3 : 39.

(6) - المبرد، المصدر السابق 2 : 20.

(7) - ينظر: المالقي، رصف المباني 379.

(8) - ينظر: المرادي، الجني الداني 74-75.

و قد ينتصب الفعل بعد الفاء في غير هذه المواضع، أي في الواجب كما يقول النحاة،
لضرورة⁽¹⁾، كقول الشاعر:

سأترك منزلي لبني تميم و ألق بالحجاز فاستريحا⁽²⁾

و تؤول هذا البيت بأن المعنى: إن ألق استرح.⁽³⁾ و ذكر سيبويه أن مثل هذا ضعيف في
الكلام.⁽⁴⁾

فما جاء بعد الأمر، قول الشاعر⁽⁵⁾:

يا ناق سيرني عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا

فالفاء هنا ربطت بين الأمر و جوابه، و وصلت بينهما، و أفادت أن الاستراحة تكون بعد حث
السير إلى الممدوح. و نحو قراءة ابن عامر (كن فيكون)⁽⁶⁾، و أما على قراءة غيره (كن فيكون)
فالرفع على الاستئناف.⁽⁷⁾

و مما جاء بعد النهي قولنا: لا تدن من الأسد، فيأكلك. وهنا يجوز جزم (يأكل) على
العطف، و رفعه على الاستئناف، و نصبه على الجواب، فالمعنى: لا يكن منك دنو من الأسد،
فأكل لك.⁽⁸⁾ و من نصب على الجواب قوله تعالى (لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم)⁽⁹⁾ و (لا
تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم، فتزل قدم بعد ثبوتها).⁽¹⁰⁾

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 39 و المبرد، المقتضب 2 : 23 و الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 313.

(2) -هو المغيرة بن حبناء التميمي. ينظر: البغدادي، شرح أبيات مغني اللبيب 4 : 116.

(3) ينظر الفارسي ابو علي، المصدر السابق 1:313 و الماقي، رصف المباني 381.

(4) ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 40.

(5) -هو أبو النجم العجلي. ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 35.

(6) -الأنعام : 73

(7) و (8) ينظر: الماقي، المصدر السابق 381.

(9) طه : 61.

(10) -النحل : 94.

- و مما جاء بعد الاستفهام قوله تعالى (فهل لنا من شفاعاء فيشفعوا لنا)⁽¹⁾، و قول البحرى:
أفاق صب من هوى فأفبقا أم خان عهدا، أم أطاع شفقبا⁽²⁾
- و مما جاء بعد النفى، قوله تعالى (ما عليك من حسابهم من شىء فتطردهم)⁽³⁾ و (لا يقضى عليهم فموتوا)⁽⁴⁾، و قول امرئ القيس:
و لىس بذى رمح فىطعننى به و لىس بذى سىف، و لىس بنبال⁽⁵⁾
- و يحتمل ما بعدها العطف نحو (لا يؤذن لهم فىعتذرون)⁽⁶⁾، فالمعنى : لا يؤذن و لا يعتذرون.⁽⁷⁾
- و من العرض⁽⁸⁾ ذكر النحاة قولهم: ألا تنزل عندنا فتصىب خيرا.⁽⁹⁾ و يحتمل ما بعد الفاء ههنا العطف و الاستئناف.⁽¹⁰⁾
- و مما جاء بعد التحضىض⁽¹¹⁾، قوله تعالى (لولا أنزل علىه ملك فىكون معه نذىرا)⁽¹²⁾ و (لولا أخرتنى إلى أجل قرىب فأصدق و أكن من الصالحىن)⁽¹³⁾، و ذكر الهروى أن (لولا) فى الآىتنى للاستفهام.⁽¹⁴⁾ و ههنا أيضا يحتمل ما بعد الفاء العطف و الاستئناف.⁽¹⁵⁾

(1) -الأعراف : 53.
(2) - البحرى، الديوان 3 : 1450، تحقيق : حسن كامل الصىر فى ،دار المعارف بمصر 1964.
(3) - الأنعام : 52.
(4) - فاطر : 36.
(5) -نسب هذا البىب إلى امرئ القىس و لم أجده فى ديوانه.
(6) -المرسلات : 36 .
(7) -ىنظر: الأخفش، معانى القرآن 1 : 222.
(8) -العرض أن تعرض على أحد الشىء لىنظر فىه. ىنظر: الجنى الدانى 382.
(9) -ىنظر: الفارسى ابو على، الإىضاح العضىدى 1 : 313.
(10) -ىنظر: المالقى، رصف المبانى 382.
(11) -و معنى التحضىض أن تقول : الأولى لك أن تفعل، فلا فىوتنك ىنظر الجنى الدانى 382-383 و حروف التحضىض: هلا، و ألا ، و لوما، و لولا. ىنظر الهروى، الأزهرىة 178.
(12) -الفرقان : 7.
(13) -المنافقون : 10.
(14) -ىنظر: الهروى، المصدر السابق 175.
(15) -ىنظر: المالقى، رصف المبانى 382.

و مما جاء بعد التمني قوله تعالى (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)⁽¹⁾ و (فلو أن لنا كرة
فكنون من المؤمنين)⁽²⁾ و عليه قول الشاعر:

ألا عمر، ولي، مستطاع رجوعه فيرأب ما أتأت يد الغفلات⁽³⁾

و ههنا يحتمل ما بعد الفاء النصب على الجواب، كما رأينا في الآيتين و البيت، و العطف
و الاستئناف.⁽⁴⁾

و مما جاء في الترجي قوله تعالى (لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع)⁽⁵⁾ و (ما أدراك
لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى)⁽⁶⁾، و ليس للترجي عند البصريين جواب منصوب، و تأولوا ما
جاء فيه بالنصب على أن " لعل أشربت معنى لبت".⁽⁷⁾

2- مواضع الفصل: قال النحاة إن الجزاء إن كان يصلح أن يقع شرطا، فلا حاجة إلى رابط
بينه، و بين الشرط.⁽⁸⁾ و معنى ذلك أن يكون كمايلي:

أ- ماضيا متصرفا غير مقرون بـ(قد) و غيرها⁽⁹⁾، نحو (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا).⁽¹⁰⁾

ب- ماضيا مجردا.⁽¹¹⁾ نحو (و ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله).⁽¹²⁾

(1)-النساء: 74.

(2)-الشعراء: 102.

(3)-لم ينسبه المرادي إلى أحد. ينظر: المرادي، الجنى الداني 384 و هو في شرح ابن عقيل 1 : 411 يرأب: يصلح و يجبر. و أتأت
أفسدت

4 ينظر: المالقي، رصف المباني 383

(5)-غافر: 36-37

(6)-عيس: 3-4

(7)-المرادي، المصدر السابق 74.

(8)-ينظر: الأستريادي، شرح الكافية 4 : 110 و المرادي، المصدر السابق 66 وابن عقيل، المصدر السابق 2 : 375-376.

(9)-ينظر: المرادي، المصدر السابق 66 و ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 376.

(10)-الإنسان: 29.

(11)-ينظر: المالقي، رصف المباني 105 و المرادي، المصدر السابق 66 وابن عقيل، المصدر السابق 2 : 375.

(12)-المزمل: 20.

ج- مضارعا منفيا بـ(لم) أو (لا).⁽¹⁾ نحو: إن ضربتني لم أضربك ونحو(و إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم).⁽²⁾

و مع كون الجزاء ههنا غير محتاج إلى الفاء ، إلا انه لا يمتنع اقترانه بها⁽³⁾ . و ذكر الرضي إن الماضي غير المصدر، و المضارع المصدر بـ(لم) لا تدخلهما الفاء أصلا، وذلك نحو: إن ضربتني، أو لم أضربك: ذلك أن لهما مع مناسبتهما لفظا للشرط" تعلقا بكلمة الشرط معنويا، و ذلك بانقلابهما إلى المستقبل بكلمة الشرط، فلم يحتاجا إذا إلى العلامة."⁽⁴⁾ وقال إن المضارع إذا كان مجردا أو مصدرا بـ(لا) جاز فيه الفاء و تركها.⁽⁵⁾ نحو (و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين)⁽⁶⁾ و (من عاد فينتقم الله منه)⁽⁷⁾ و (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم)⁽⁸⁾ و (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا).⁽⁹⁾

و ذكر الرضي أيضا أن جواب الشرط إذا كان مصدرا بهمزة الاستفهام لا تدخل الفاء سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية، و ذلك نحو: إن أكرمتك أكرمني، كأنما قيل: أئن أكرمتك تكرمني.⁽¹⁰⁾ و من ذلك قوله تعالى (رأيت إن كذب و تولى ألم يعلم بأن الله يرى)⁽¹¹⁾.

(1) ينظر: المرادي، الجنى الداني 66 وابن هشام، شرح ابن عقيل 2 : 375 .

(2) - فاطر: 14

(3) ينظر: المالقي، رصف المباني 105 و المرادي، المصدر السابق 66 .

(4) - الاستربادي، شرح الكافية 4 : 111-112 .

(5) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4: 112 .

(6) - الانفال: 66:

(7) - المائدة: 95 .

(8) - فاطر : 14 .

(9) - الجن: 13 .

(10) - ينظر: الاستربادي، المصدر السابق 4: 113 .

(11) - العلق: 13-14.

و يجوز، كما قال، حمل (هل) و غيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة، لأنها أصلها. (1)
 وذلك نحو (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون) (2) و (قل أرأيتم إن
 أخذ الله بسمعكم و أبصاركم و ختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به) (3)، إلا أنه استدرك فقال إنه
 يجوز دخول الفاء مع (من) لعدم عراققتها في الاستفهام. (4)
3- ما يلحق بأدوات الشرط: هناك أدوات أخرى يستفاد منها معنى الشرط، و تقتضي جملتين،
 و نحن نذكرها كمايلي:

أ- إذا : إن لـ (إذا) وجوها في الكلام، و من ذلك أنها تأتي لما يستقبل من الدهر، و لا بد لها من
 جواب. (5) فهي متضمنة معنى الشرط، و لذلك تجاب بما تجاب به أدوات الشرط. (6) وجوابها "
 إما فعل نحو (فإذا جاء أمر الله قضي بالحق) (7) أو جملة اسمية مقرونة بالفاء نحو (فإذا نقر في
 الناפור فذلك يومئذ يوم عسير) (8). أو فعلية طلبية كذلك نحو (فسبح بحمد ربك) (9) أو اسمية مقرونة
 بإذا الفجائية نحو (إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون). (10) (11)

(1) - ينظر: الاسترباذي، شرح الكافية 4: 113

(2) - الأنعام: 47

(3) - الانعام: 46

(4) - ينظر: الاسترباذي، المصدر السابق 4: 113

(5) - ينظر : سيبويه، الكتاب 3: 61 و 4: 232

(6) - ينظر: المرادي، الجنى الداني 367 وابن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب 95

(7) - غافر: 78

(8) - المدثر: 8-9

(9) - النصر : 1-3

(10) - الروم : 25.

(11) - السيوطي، الإثقان في علوم القرآن 1 : 148.

ب- أما: إنها حرف تفصيل متضمن معنى الشرط⁽¹⁾. و لذا فسرها سيبويه بمهما يكن من شيء⁽²⁾.
و الفاء لازمة معها، للوصل بين جملة الشرط، و جملة الجواب⁽³⁾. و ذلك نحو (فأما الذين كفروا
فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا و الآخرة)⁽⁴⁾.

و قد تحذف الفاء فيأتي الجواب مفصولا عن شرطه⁽⁵⁾. و لا تحذف غالبا إلا لضرورة
شعرية، أو في قول أغنى عنه المحكي به⁽⁶⁾، فمن حذفها في الشعر قوله:

أما القتال، لا قتال لديكم و لكن سيرا في عراض المواكب⁽⁷⁾

أراد: فلا قتال، فحذف الفاء ضرورة⁽⁸⁾، و من الثاني قوله تعالى (فأما الذين اسودت وجوههم،
أكفرتم بعد إيمانكم)⁽⁹⁾. أي فيقال لهم أكفرتم⁽¹⁰⁾.

و ذكر ابن مالك أن الذي ضيق القاعدة بهذا الشكل مقصر في فتواه، و عاجز عن نصره
دعواه؛ لأن حذف الفاء من جواب أما مطرد في الكلام. و دلل على ذلك بعدة أحادث للرسول -
ص- و بعض الصحابة⁽¹¹⁾. و قال ابن عقيل إن الفاء حذفت في النثر بقلة و بكثرة⁽¹²⁾.

(1) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 11 وابن مالك، شرح شواهد التوضيح و التصحيح 137. فسر ابن الحاجب معنى
تضمن (أما) للشرط، بأنه إذا قيل: أما زيد فمنطلق، فالمعنى: إن أردت بيان حكم زيد فهو منطلق. ينظر: شرح الوافية: 418.

(2) ينظر: سيبويه، الكتاب 4 : 235 و الزمخشري، الخصائص 1 : 312.

(3) ينظر: سيبويه، المصدر السابق 4 : 235 و ابن يعيش، المصدر السابق 9 : 11 وابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 390.

(4) آل عمران : 56.

(5) ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 9 : 12 و المرادي، الجنى الداني 523

(6) ينظر: ابن مالك، المصدر السابق 137 والمرادي، المصدر السابق 523 - 524

(7) ورد في شرح المفصل بلا نسبة 9 : 12 و كذا ابن مالك، المصدر السابق 137 و العراض: ج عرض و هو الناحية.

(8) ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 9 : 12 وابن مالك، المصدر السابق 137.

(9) آل عمران : 106.

(10) ينظر: المرادي، المصدر السابق 523 وابن عقيل، المصدر السابق 2 : 392.

(11) ينظر: ابن مالك، المصدر السابق 138.

(12) ينظر: ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 392.

ج- لما : إن لما تكون للشيء الذي قد وقع لوقوع غيره.⁽¹⁾ و يقال فيها حرف وجوب لوجوب⁽²⁾.
وحرف وجود لوجود.⁽³⁾ و لا يليها إلا ماض لفظا و معنى أو معنى.⁽⁴⁾ و هي تتضمن معنى
الشرط⁽⁵⁾، و تقتضي جملتين.⁽⁶⁾

و لا يكون جوابها إلا ماضيا مثبتا، أو منفيا بما، أو مضارعا منفيا بلم.⁽⁷⁾ و هذا باتفاق.⁽⁸⁾
و يأتي مفصولا عما قبله، فلا تدخله الفاء.⁽⁹⁾ و ذلك نحو (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه)⁽¹⁰⁾
و (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم).⁽¹¹⁾ أما قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد)⁽¹²⁾ فالجواب
فيه محذوف، و التقدير: فلما نجاهم إلى البر انقسموا قسمين.⁽¹³⁾ و أما قوله تعالى
(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به)⁽¹⁴⁾ فقيل: إن (كفروا) جواب لما الأولى و الثانية معا؛ لأن الثانية تكرير
للأولى، و قيل إن جواب الأولى محذوف أي أنكروه.⁽¹⁵⁾

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب 4 : 234 و أبو الحسن الرماني، معاني الحروف 132.

(2) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 241 و المالقي، رصف المباني 283.

(3) المرادي، الحنى الداني 594 وابن هشام، الإعراب عن قواعد الإعراب 97.

(4) ينظر: ابن مالك، المصدر السابق 241 و المالقي، المصدر السابق 284 و المرادي، المصدر السابق 596-596، ذكر أن ابن
عصفور جوزكون الفعل بعدها مضارعا نحو (فلما ذهب عن إبراهيم الروح، و جاءته البشرى بجادلنا في قوم لوط) هو 11 : 74
و أوله غيره بجادلنا. ينظر : السيوطي، الاتفاق في علوم القرآن 1 : 173.

(5) ينظر: ابن مالك، المصدر السابق 241 و المالقي، رصف المباني 284.

(6) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 370 و السيوطي، المصدر السابق 1 : 173.

(7) ينظر: المالقي، المصدر السابق 283-284 و المرادي، الحنى الداني 596.

(8) ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 370.

(9) ينظر : المصدر السابق 1 : 180.

(10) يوسف : 96.

(11) -الإسراء : 67.

(12) -لقمان : 32.

(13) ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 180.

(14) -البقرة 89.

(15) ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 1 : 180.

د- لو: إن (لو) تأتي في الاستعمال لما كان سيقع لوقوع غيره.⁽¹⁾ فمعناها إذا أن الشيء ممتنع لامتناع غيره.⁽²⁾ و هي تتضمن معنى الشرط، و لذا تحتاج إلى جواب⁽³⁾ و يكون جوابها إما فعلا ماضيا مثبتا، أو منفيا بـ (ما) أو مضارعا مجزوما بـ (لم).⁽⁴⁾

و الغالب في الجواب إذا كان مثبتا أن يوصل بما قبله باللام.⁽⁵⁾ نحو (لو كان فيها ألهة إلا الله نفسدا).⁽⁶⁾ و تدخل هذه اللام لتأكيد ارتباط جملة الشرط بجملة الجواب⁽⁷⁾. و اللام عند ابن مالك غير لازمة، إذ يجوز إثباتها و حذفها.⁽⁸⁾

و يجوز أن يأتي الجواب مفصولا عن الشرط دون حاجة إلى اللام⁽⁹⁾، نحو (لو نشاء جعلناه أجاجا)⁽¹⁰⁾ و (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل و إياي)⁽¹¹⁾، أما إذا صرح بالقسم مع (لو) فلا بد من اللام⁽¹²⁾، نحو قوله:

و الله لو كنت لهذا خالصا لكنت عبدا آكل الأبارصا⁽¹³⁾

أما إذا كان الجواب منفيا بـ (لم) فيتجرد من اللام⁽¹⁴⁾، نحو: لو قام زيد لم يقم عمرو.

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب 4 : 224.

(2) ينظر: أبو القاسم الزجاجي، اللامات 132 تحقيق: د. مازن المبارك، المطبعة الهاشمية بدمشق.

(3) ينظر: المالقي، رصف المباني 291 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 389. ذكرها ابن الحاجب ضمن حروف الشرط. ينظر: الشرح الوافية: 410.

(4) و⁽⁵⁾ ينظر: المرادي، الجنى الداني 283 و ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 389.

(6) -الأنبياء : 21.

(7) ينظر: الزمخشري، المفصل 327 و ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 22.

(8) ينظر: ابن مالك، شرح التوضيح و التصحيح 179.

(9) ينظر: الزجاجي، اللامات 132 و الزمخشري، المفصل 327.

(10) -الواقعة : 70.

(11) -الأعراف : 155.

(12) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 9 : 23 و المالقي، رصف المباني 241.

(13) -ورد في، شرح المفصل 9 : 23 و المالقي، رصف المباني 241 بلا نسبة.

(14) ينظر: ابن عقيل، الشرح، 2 : 389

هـ- لولا و لوما : تقع (لولا) و (لوما) في الكلام، كما ذكر سيبويه، لابتداء وجواب⁽¹⁾ أي أنهما تدخلان على المبتدأ و تحتاجان إلى جواب.⁽²⁾ تكون الجملة التي تليها ابتدائية و الجملة الثانية فعلية.⁽³⁾ و معناهما الدلالة على امتناع الشيء لامتناع غيره.⁽⁴⁾ فإذا قيل: لولا زيد لأكرمك فالمعنى : إن الإكرام إنما امتنع لحضور زيد.⁽⁵⁾ و من ههنا تتضمنان معنى الشرط، فتحتاجان إلى جواب.⁽⁶⁾

تصل اللام بين الشرط و الجزاء لتأكيد ارتباطهما.⁽⁷⁾ و يغلب ذلك في الجواب إذا كان مثبتاً.⁽⁸⁾ نحو (لولا أنتم لكنا مؤمنين)⁽⁹⁾ و : لوما زيد لأكرمك. و قد يخلو المثبت من اللام نحو قول الشاعر:

لولا الحياء و باقي الدين عبتكما بيبعض ما فيكما إذ عبتما عوري⁽¹⁰⁾.

وجعل ابن عصفور حذف اللام من جواب لولا ضرورة، و قال إنه يجوز في قليل من الكلام.⁽¹¹⁾

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب 4 : 235.

(2) ينظر: الزجاجي، اللامات 139 وابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 393.

(3) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 145.

(4) ينظر: الزجاجي، المصدر السابق 139 و ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن ملك 209، مطبعة السعادة-مصر، ط: 1964.

(5) ينظر: الزجاجي، المصدر السابق 139.

(6) ينظر: الهروي، الأزهرية 175 و ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 146.

(7) ينظر: الهروي، المصدر السابق 176.

(8) ينظر: المرادي، الجني الداني 598 و شرح ابن عقيل 2 : 393.

(9) سبأ: 31.

(10) ينظر: المرادي، المصدر السابق 598.

(11) ينظر: المصدر السابق 598-599.

و إذا كان الجواب منفيًا بـ (ما) تجرد عن اللام غالبًا، و ورد مفصولًا عما قبله.⁽¹⁾ نحو (ولولا فضل الله عليكم و رحمته، مازكى منكم من أحد أبدا)⁽²⁾، و إذا كان منفيًا بـ (لم) لم يقترن بها، نحو زيد لم يجيء عمرو.⁽³⁾

أسلوب الشرط و الجزاء بدون أدوات :

ذكر النحاة أنه قد يجازى بدون أدوات، فيكون فعل الجواب مجزوما، و ذلك في جواب الأمر، و النهي، و الاستفهام، و التمني، و العرض.⁽⁴⁾

فمن الأمر قولنا : أنتني آتاك، و نحو (اقتلوا يوسف، أو أطرحوه أرضا، يخل لكم وجه أبيكم).⁽⁵⁾ و من النهي قولنا: لا تفعل يكن خيرا.⁽⁶⁾ و من الاستفهام قولنا : أين تكون أزرک. و ذكر سيبويه من الاستفهام قوله تعالى(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)⁽⁷⁾ فلما انقضت الآية قال : يغفر لكم.⁽⁸⁾ و زعم الزجاج أن قوله (يغفر لكم) جواب قوله(تؤمنون بالله ورسوله)، فهو أمر بلفظ الخبر، و ليس جواب هل؛ لأن المغفرة لا تحصل بالدلالة على الإيمان، إنما تحصل بنفس الإيمان.⁽⁹⁾ ورد ابن يعيـش ذلك بحجة أن (تؤمنون) إنما هو تفسير للتجارة" على معناها لا على لفظها، و لو فسرها على لفظها لقال: أن تؤمنوا؛ لأن أن تؤمنوا اسم ، و تجارة اسم، و الاسم يبدل من الاسم، و يقع موقعه، و قوله: تؤمنون كلام تام قائم بنفس، و فيه دلالة على المعنى المراد، فمن حيث كان تفسيراً للتجارة فهو من جملة ما وقع عليه الاستفهام

(1) ينظر: المرادي، الجنى الدانى 598 وابن عقيل، شرح ابن عقيل 2 : 393.

(2) -النور : 21.

(3) ينظر ابن عقيل، المصدر السابق 2 : 393.

(4) ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 93 والفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 322 وابن الحاجب، شرح الوافية 354.

(5) يوسف: 9.

(6) قال ابن هشام : " و شرط الحذف بعد النهي كون الجواب أمرا محبوبا كدخول الجنة و السلامة في قولك: لا تكفر تدخل الجنة، و لا تدن من الأسد تسلّم. فلو كان أمرا مكروها كدخول النار و أكل السبع في قولك: لا تكفر تدخل النار، و لا تدن من الأسد يأكلك، تعين الرفع، خلافا للكسائي، و لا دليل له في قراءة بعضهم(و لا تمنن تستكثر)-المدثر: 6، لجواز أن يكون ذلك موصلا بنية الوقف، و سهل ذلك أن فيه تحصيلا لتناسب الأفعال المذكورة معه" شرح شذور الذهب 347.

(7) -الصف : 10-11.

(8) ينظر: سيبويه، الكتاب 3 : 94.

(9) ينظر: الزجاج، إعراب القرآن 3 : 82 و ابن يعيـش، شرح المفصل 7 : 48

بـ (هل) هو الاعتماد في الجواب على (هل)، و (هل) في معنى الأمر؛ لأنه لم يقصد إلى الاستفهام عن الدلالة على التجارة المنجية هل يدلون، أو لا يدلون عليها، وإنما المراد الأمر والدعاء و الحث على ما ينجيهم.⁽¹⁾

و من التمني قولنا : ليته عندنا يحدثنا. و من العرض قولنا: ألا تنزل عندنا تصب خيرا. قال سيبويه: " و إنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب: إن تأتني بـ (إن تأتني)، لأنهم جعلوه معلقا بالأول غير مستغن عنه، إذا أرادوا الجزاء، كما أن (إن تأتني) غير مستغنية عن آتئك".⁽²⁾

و زعم الخليل أن هذه الأوائل كلها فيها معنى (إن)، فلذلك انجزم الجواب، فإذا قيل : أنتي آتئك مثلا، فالمعنى : إن يكن منك إتيان آتئك.⁽³⁾ و إليه ذهب أبو علي.⁽⁴⁾ يقول سيبويه : " و تقول : آتتني آتئك فتجزم على ما وصفنا، و إن شئت رفعت على أن لا تجعله معلقا بالأول، و لكنك تبدئه، و تجعل الأول مستغنيا عنه، كأنه يقول: آتتني أنا آتئك"⁽⁵⁾ ومن ذلك، كما مثل سيبويه، قول الشاعر:

و قال رائدهم أرسوا نزاولها فكل حتف امرئ يمضي لمقداره⁽⁶⁾

إن الجواب ههنا، كما يظهر من شواهد النحاة، يأتي دائما مفصولا عما قبله. فلا يحتاج إلى رابط كالواو أو الفاء أو غيرهما.⁽⁷⁾

(1)-ابن يعيش، شرح المفصل 7 : 48.

(2)-سيبويه ، الكتاب 3 : 93-94

(3)-ينظر: سيبويه ، المصدر السابق 3 : 94 و ابن يعيش، المصدر السابق 7 : 49.

(4)-ينظر: الفارسي ابو علي، الإيضاح العضدي 1 : 322.

(5)-سيبويه، المصدر السابق 3 : 95-96.

(6)-مر في الفصل الأول. 38.

(7)-ينظر: سيبويه، المصدر السابق 3 : 93 و ما بعدها والفارسي ابو علي، المصدر السابق 1 : 322 و ابن يعيش، شرح المفصل 48-49 : 7.

الفصل الثالث

الموازنة و التطبيق

رأيت أن أجمع في هذا الفصل بين الموازنة و التطبيق، لأنني أعتقد أنهما جانبان يكمل أحدهما الآخر. أما الموازنة فساتناول فيها طريقة كل فريق، من بلاغيين و نحاة، و منهجه في دراسة المسائل اللغوية. كما سأحدث عن تأثر البلاغيين بالدراسات النحوية، و مدى استفادتهم من ذلك في دراسة موضوع الفصل و الوصل بين الجمل، و ثم أعرض أوجه التمايز بين الفريقين في معالجة هذه الظاهرة، و أخلص بعد ذلك إلى الحديث عن إضافات البلاغيين في أمر الفصل و الوصل بين الجمل.

أما بخصوص التطبيق فقد رأيت أن أجعل القرآن الكريم مجالاً للتطبيق، لأنه، في رأيي كتاب العربية الأول، و معجزتها البيانية الخالدة " و مثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب نوقها، و يدرك حسها و مزاجها، و يستشف أسرارها في البيان و خصائصها في التعبير و الأداء"⁽¹⁾، فضلاً عما في نفسي من المعزة و التعظيم و الإكبار له، منذ كنت صغيراً اسمع آياته، و أرددها بخشوع، رغم أنني لم أكن أعني، حينئذ، معانيه العميقة و أسرارها البعيدة.

وقد وقع إختياري بعد مشاورة أستاذي الكريم، على سورة من سوره النورانية سورة النور التي تشمل أربعاً و ستين آية.

الموازنة

إنّ غرضي من الموازنة هنا إبراز جهد كل من النحاة و البلاغيين في معالجة ظاهرة الفصل و الوصل بين الجمل، و إظهار حدودها و أبعادها عند كلّ منهما، و محاولة حصر الفروق التي بدت لي من خلال معاينة عمل كلّ فريق.

و لعلّ تبيان طريقة كل فريق و أسلوبه في معالجة الظواهر اللغوية يكون الباب الذي نلج من خلاله إلى ذلك.

(1) - د. عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم (بنت الشاطيء)، 13:1، دار المعارف، ط 5، مصر 1977.

طريقة البلاغيين في الدراسة

إننا إذا حاولنا أن نتبين طريقة البلاغيين و أسلوبهم في تناول هذه الظاهرة، أو غيرها من الظواهر البلاغية لوجدنا أنفسنا أمام فريقين من الدارسين، و بالتالي أمام مذهبين أو طريقتين في دراسة البلاغة، و شرح مسائلها. و قد لمسنا ذلك من خلال إستقرائنا الطويل لمادة بحثنا، و نظرنا المتأني في نصوص رجال البلاغة و مؤلفاتهم.

و نحن هنا لا ندعي أننا سباقين إلى استنباط ذلك و الوقوف عليه. فقد أشار السيوطي المتوفي سنة (911 هـ) إلى ذلك، و ميّز بين طريقتين في تناول مسائل البلاغة عند القدماء: طريقة العرب البلغاء، و طريقة العجم و أهل الفلسفة.⁽¹⁾

و قد تبعه في ذلك معظم الدارسين المحدثين، الذين تناولوا في مؤلفاتهم البيان العربي و مسأله. فذهب بعضهم إلى القول إن هناك مدرستين بلاغيتين: المدرسة الأدبية و المدرسة الكلامية.⁽²⁾ و اكتفى بعضهم الآخر بالإشارة إلى الفروق التي تميّز بها بعض رجالات البلاغة المرموقين، في معالجتهم لمسائل البلاغة، كعبد القاهر و الزمخشري و السكاكي و غيرهم.⁽³⁾ و من الطبيعي، تبعاً لذلك، أن يكون لكل مدرسة، إن صحّت لنا هذه التسمية، رجالها و أعلامها، و أن تكون لها خصائصها و سماتها التي تميّزها عن نظيرتها. فالمدرسة الأدبية لوائها الزمخشري و ابن الأثير، تحت يترعّمها الشيخ عبد القاهر الجرجاني، و ينضوي كان

(1) - ينظر: جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة 1: 41 سنة 1327.
(2) - ينظر: أمين الخولي، فنّ القول، 93 و ما بعدها، دار الفكر العربي، القاهرة 1947 و د. أحمد مطلوب، القزويني و شروح التلخيص 35. منشورات مكتبة النهضة، طر ، بغداد 1967 و د. عمر الملا حويش، تطوّر دراسات إعجاز القرآن و أثرها في البلاغة العربية 365 و ما بعدها مطبعة الأمة، بغداد 1972.
(3) - ينظر: د. شوقي ضيف، البلاغة تطوّر و تاريخ 271 و 273 و 277 و د. بدوي طبانة، البيان العربي د. 178، دار العودة، طر ، بيروت 1972 و د. أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني و جهوده في البلاغة العربية 383، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و الطباعة و النشر، طر و د. جعفر دكّ الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز 113، دار الجليل، طر ، دمشق 1980.

و من تأثر بهم من المتأخرين كالزملكاني و ابن قيم الجوزية و حمزة العلوي. أمّا المدرسة الكلامية فكان يترجمها السكاكي و تضمّ في صفوفها ابن الناظم و القزويني و التفتازاني، و من لفّ لفهم ممّن شرحوا تلخيص القزويني.

و سنعرض هنا خصائص كلّ مدرسة و مذهبها في البحث، مشفعين ذلك بما وقفنا عليه من ألوان تلك السمات و ظلالها في مجال الظاهرة التي ندرسها و حدودها.

خصائص مدرسة عبد القاهر الجرجاني: سنذكر هنا أهمّ الخصائص و السمات التي طبعت أبحاث هذه المدرسة، محاولين أن نلتمس ذلك من خلال الظاهرة التي ندرسها.

1- عدم الإهتمام بالتقعيد: إنّ أوّل ما تمتاز به هذه المدرسة عن نظيرتها هو عدم اهتمامها بوضع الحدود و التعريفات، و التقسيم اهتماما كبيرا.⁽¹⁾ فقد كانت تعرض مسائلها عرضا دون مبالاة بتلك الحدود، لأنّ الذي يعنيه هو تحليل النصوص، و إجلاء جمالها و روعتها.

و القارئ لكتاب دلائل الإعجاز يظهر له ذلك واضحا. فقد كان الشّيخ عبد القاهر يحاول أن يثبت دعائم نظرية جديدة، هي المعاني الإضافية التي يخرج إليها التقديم و التأخير، و الفصل و الوصل، و القصر، و غيرها من أساليب العربية في التعبير. و سمّى كل ذلك (النظم) و كانت وسيلته، لإظهار هذا الأمر، هي النصوص العربية من قرآن و شعر.

و إذا أخذنا ظاهرة الفصل و الوصل نموذجا عنده، لم نجده يبالي بمحاولة تأطيرها و تنظيرها، بقدر إهتمامه ببسط الحديث عنها، و عرض أفكاره عرضا متواليا، لا نلمس منه أنّه يحاول أن يبوّب، أو يضع الحدود. و إذا جاء ذلك فإنما يأتي عرضا لا قصدا، و هذا دأبه في أغلب الفصول التي كتبها في دلائل الإعجاز.

أمّا الزمخشري فقد نثر معظم آرائه البلاغية، و أفكاره البيانية في كتابه (الكشاف) و ذلك من خلال ما كان يعترضه من نصوص، يرى فيها نكتة لطيفة، أو خصيصة فنية بليغة.

(1) - ينظر: د. محمد مطلوب، ، القزويني و شروح التلخيص 36، و د. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز 113، و. عمر الملاحوش، تطوّر دراسات إعجاز القرآن 366- 367.

و من هنا فإنّ هذه الآراء لم تأت على شكل تعريف، أو نظرية مضبوطة، بل جاءت منثورة هنا و هناك، لا تحدّها قاعدة، و لا يسيجها تقسيم.

و بالرغم من أنّ الكشّاف ليس كتابا في البلاغة و حدها، إلا أنّ الزمخشريّ المح، في مقدّمته، إلى أنّ تفسير القرآن الكريم، و إدراك لطائفة و نكته، و كشف أسراره و إعجازه لا يتأتى إلا لرجل " قد برع في علمين مختصّين بالقرآن، و هما علم المعاني و علم البيان، و تمهّل في ارتيادهما أونة، و تعب في التنقيح عنهما أزمنة، و بعثته على تتبّع مظائهما همّة في معرفة لطائف حجة الله، و حرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ".⁽¹⁾ و لذا قال ابن خلدون إنّ هذا التفسير مبنيّ كلّه على هذين العلمين.⁽²⁾

وقد امتد تأثير هذين الرّجلين إلى بعض البلاغيّين الذين ظهوروا في القرون اللاحقة، كالزّمكانيّ و حمزة العلويّ و ابن قيمّ الجوزيّة، فجاءت كتبهم و مؤلفاتهم معتمدة على نفس المنهج في التحليل و الدرس، حتّى إنّها اعتمدت على نفس التّماذج و الشواهد التي وردت عند الرّجلين.⁽³⁾

2- الإبتعاد عن الفلسفة و الجدل: لم يهتم أقطاب هذه المدرسة باقتباس المنطقيات، و لم تكن مناقشتهم خاضعة للفلسفة و الجدل، أي إنّ دراستهم كانت خالصة للبيان، تبحث عن الجمال في التّصوص، و الرّوعة في تشكيل العبارة، و الدقة في تركيب الجمل.⁽⁴⁾

(1) - ينظر: الزمخشري، الكشاف 1 : 3.

(2) - ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون 459، دار العودة، بيروت.

(3) - ينظر: الزمكانيّ، التبيان في علم البيان و البرهان الكاشف و حمزة العلويّ، الطراز و ابن قيمّ الجوزيّة، الفوائد.

(4) - ينظر: أمين الخولي، فنّ القول 93 و د. محمد مطلوب، القروينيّ و شروح التلخيص 36 و د. عمر الملاحويش، تطوّر دراسات إعجاز القرآن 366-367.

ومن هنا وجدنا ابن الأثير ينفي على الكلاميين منهجهم في دراسة البلاغة، و يندد برجال الفلسفة و علوم الكلام، الذين أضلهم ارسطو، أمثال ابن سينا و الفارابي.⁽¹⁾

فالدّارس لكتب هؤلاء لا يكاد يظفر بتلك المجادلات الطويلة، أو التّحليلات العقليّة الصّرفة، و إنما يجد أمامه مقالات أدبيّة تتمّ عن ذوق فني رفيع، و حسّ أدبيّ مرهف.

3- الإعتدال على الذّوق: يعتمد رجال هذه المدرسة على أذواقهم في إدراك أسرار الجمال، و تمييز الفروق الدّقيقة بين صور الكلام و أشكاله.⁽²⁾

فقد أثبت عبد القاهر الجرجانيّ، من خلال تحليلاته لنصوص كثيرة من التنزيل و من الشعر و النثر، أنه يملك حسّاً فنياً رفيعاً يتذوّق به جمال العبارات، و حسن تركيبها⁽³⁾، و يميّز به رائع الكلام من قبيحه. يضاف إلى ذلك كله مقدرة فائقة على حسن التعليل و الإقناع، و براعة في التّحليل و الشّرح، حتّى عدّ واضع أساس المنهج التّحليلي في البلاغة.⁽⁴⁾

و لم يكن الزّمخشري بأقلّ ذوقاً و إحساساً من عبد القادر، إذ أثبت هو الآخر من خلال تحليلاته للنّصوص القرآنيّة، أنّه بلاغيّ موهوب، له دقة كبيرة في الملاحظة و الشّعور بمواطن السّحر، و ميزة فريدة في شرح النّصوص و تحليلها.⁽⁵⁾

و قد لمسنا ذلك أيضاً عند ابن الأثير، بعد ووقوفنا على كتابيه (المثل السائر) و (الجامع الكبير). و نحن نورد ههنا ثلاثة نصوص لهؤلاء، لنبرهن على صحّة ما زعمناه. يقول عبد القاهر الجرجانيّ " و هل تشك إذا فكرت في قوله تعالى (و قيل يا أرض ابغي ماءك، و يا سماء اقلعي، و غيض الماء، و قضي الأمر، و استوت على الجوديّ، و قيل بعدا للقوم الظالمين).⁽⁶⁾ فتجلّى لك منها الإعجاز، و برك الدّي ترى و تسمع، أنّك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة، و الفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن

(1)-ابن الأثير، المثل السائر 1: 156.

(2) - ينظر: د. شوقي ضيف، البلاغة تطوّر و تاريخ 218-219 و د. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز 113 و د. عمر الملا حويش، تطوّر دراسات إعجاز القرآن 365.

(3) - ينظر د. صبحي الصّالح، مباحث في علوم القرآن 314، دار العلم للملايين، طه، بيروت، 1982.

(4) - ينظر: د. بدوي طبانة، البيان العربي 178.

(5) - ينظر: د. عقت الشّرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم 37، دار النهضة العربيّة للطباعة و النشر، بيروت، 1981.

(6) - هود: 44.

و الشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، و الثالثة بالرابعة ؟ هكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، و أنّ الفضل ناتج ما بينها، و حصل من مجموعها.

إن شككت فتأمل، هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، و أفردت لأدت من الفصاحة ما تؤدّيه، وهي في مكانها ؟ قل (ابلي) ، و اعتبرها و حدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها و إلى ما بعدها ، و كذلك فاعتبر سائر ما يليها. و كيف بالشك في ذلك، و معلوم أنّ مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثمّ أمرت، ثمّ في أن كان النداء بـ(يا) دون (أي)، نحو يا أيتها الأرض، ثمّ إضافة الماء إلى الكاف، دون أن يقول: ابلي الماء، ثم أن اتبع نداء الأرض ، و أمرها بما هو من شأنها ، نداء السماء و أمرها كذلك بما يخصها ، ثمّ أن قيل: و غيض الماء، فجاء الفعل على صيغته (فعل) الدالة على أنّه لم يغض إلا بأمر أمر، و قدرة قادر، ثمّ تأكيد ذلك و تقريره بقوله و قضي الأمر ، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور ، وهو استوت على الجودي ، ثمّ إضمار السقينة قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة، و الدلالة على عظم الشأن، ثمّ مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة⁽¹⁾.

و في قوله تعالى (لم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)⁽²⁾ يقول الزمخشري، بعد أن بيّن محالّ كلماتها من الإعراب، على طريقة النحاة، " و الذي هو أرسخ عرقا في البلاغة، أن يضرب عن هذه المحالّ صفحا، و أن يقال إنّ قوله (لم) جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و (ذلك الكتاب) جملة ثانية، (لا ريب فيه) ثالثة، و (هدى للمتقين) رابعة. و قد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة، و موجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق. و ذلك لمجيئها متأخية آخذا بعضها بعنق بعض.

فالثانية متحدة بالأولى معتقة لها، و هلمّ جرّا إلى الثانية و الرابعة. بيان ذلك أنّه نيه أوّلا على أنّه الكلام المتحدّي به. ثمّ أشير إليه بأنّه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريرها لجهة التحدي ، و شدا من أعضاده، ثمّ نفى أن ينتبّت به طرف من الرّيب، فكان شهادة و تسجيلا

(1) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 39-40.

(2) - البقرة: 1-2.

بكماله، لأته كمال أكمل مما للحقّ و اليقين، و لا نقص أنقص للباطل و الشبهة. و قيل لبعض العلماء فيم لدتك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحا، و في شبهة تتضاعل افتضاحا. ثم أخبر عنه بأنه (هدى للمتقين)، فقررّ بذلك كونه يقينا لا يحوم الشكّ حوله، و حقا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. ثمّ لم تخل كلّ واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، و نظمت هذا النظم السريّ، من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى الحذف و الرمز إلى الغرض بألطف وجه و أشرقه و في الثانية ما في التعريف من الفخامة و في الثالثة ما في تقديم الرّيب على الظرف... و في الرّابعة الحذف و وضع المصدر الذي هو (هدى) موضع الوصف الذي هو (هاد)، و وإيراده منكر و الإيجاز في ذكر المتقين".⁽¹⁾

و يقول ابن الأثير عن قوله تعالى (و الذي هو يطعمني و يسقيني، و إذا مرضت فهو يشفين،⁽²⁾ ، يقول: فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع، و تقديم الإطعام على و الذي يميتني ثمّ يحييني) الإسقاء، و الإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم. ثمّ عطف الثاني بالفاء، لأنّ الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثمّ عطف بثمّ، لأنّ الإحياء بعد الموت بزمان، و لهذا جيء في عطفه بثمّ التي هي للتراخي، و لو قال قائل في موضع هذه الآية: الذي يطعمني، و يسقيني، و يمرضني و يشفين، و يميتني و يحييني لكان للكلام معنى تامّ، إلا أنه لا يكون⁽³⁾. كمعنى الآية، إذ كلّ شيء منها قد عطف بما يناسبه، و يقع موقع السداد منه

4- استعمال الأساليب البسيطة في التعبير: استعمل أقطاب هذه المدرسة في مؤلفاتهم أسلوبا بسيطا سهلا، لا يكلف القارئ كبير عناء في فهم أغراضهم، و أفكارهم. و كان في معظمه يخلو من التفعير و الغموض، و الجري وراء السجع و الإزدواج.⁽⁴⁾ و لعلّ مردّ سهولته أنّ دراستهم كانت خالصة للأدب و الفنّ. و لذا قال شوقي ضيف عن مؤلفي عبد القاهر أنّهما " روضان مؤنقان يرقان بالنضرة و العطر و الضياء".⁽⁵⁾

و ليس يعني وصفنا لأسلوبهم بالسهولة أنّه كان ركيكا، كلا بل إنّ كان جميلا يشدّ القارئ

(1) - الزمخشري، الكشاف 1 : 21.

(2) - الشعراء: 79-81.

(3) - ابن الأثير، المثل السائر 2: 50 و ينظر الجامع الكبير 200-201.

(4) - ينظر: د. بدوي طبانة، البيان العربي 373 و د. محمد مطلوب، القزويني و شروح التلخيص 37 و د. عمر الملا حويش، تطوّر دراسات إعجاز القرآن الكريم 367.

(5) - د. شوقي ضيف، البلاغة تطوّر و تاريخ 218 و الحديث عن (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة).

إليه شذاً رفقيًا و يرغمه، من دون أن يشعر، على الإسترسال في متابعته و بالخصوص أسلوب الشيخ عبد القاهر .

و سنذكر هنا نماذج من كتاباتهم نبين من خلالها صحّة دعوانا. يقول عبد القاهر في تقديمه لظاهرة الفصل و الوصل: " اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنّع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها. و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، و مما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص و الاقوام طبعوا على البلاغة، و أوتوا فنًا من المعرفة في ذوق الكلام. و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة. فقد جاء عن بعضهم انه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الفصل ذلك لغموضه، و دقة مسلكه، و أنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة.⁽¹⁾

و يقول الزّمخشريّ عن قوله تعالى (و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنّما نحن ⁽²⁾ . يقول : " فإن قلت: أنّي تعلق (إنّما نحن مستهزءون) بقوله (إنا معكم) قلت: هو مستهزءون) توكيد له، لأنّ قوله (إنا معكم) معناه الثبات على اليهوديّة. و قوله (إنّما نحن مستهزءون) ردّ للإسلام و دفع له منهم؛ لأنّ المستهزئ بالشيء المستخفّ به منكر له و دافع، لكونه معدداً به. أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم: إنا معكم، فقالوا: فما بالكم إن صحّ أنّكم معنا توافقون أهل الإسلام، فقالوا: إنّما نحن مستهزءون.⁽³⁾

و يقول ابن الأثير في غزارة معاني القرآن و عمقها ، و بعدها عن الإدراك " و كنت إذا مررت بسورة من السور يسنح لي في حلّ معان منها مآرب و أوطار، و أظنّ أنّي قد استوفيت ما أريده منها، ثمّ اتلوها بعد ذلك فيسنح لي معان آخر غير تلك المعاني الأوّل . و كذلك كلما تجددت التلاوة ، تجددت معان بعد معان"⁽⁴⁾

(1) -الجرجاني، دلائل الإعجاز 156.

(2) - البقرة : 14.

(3) - الزّمخشري، الكشاف 1 : 35.

(4) - ابن الأثير، الوشيّ المرقوم في حلّ المنظوم 85 مطبعة ثمرات الفنون 1298.

ويقول حمزة العلويّ عن قوله تعالى (قتل الإنسان ما أكفره، من أيّ شيء خلقه من نطفة) يقول: " فانظر إلى نظام هذه إخلقه، فقدّره، ثمّ السبيل يسره، ثمّ أماته فأقبره، ثمّ إذا شاء أنشره).⁽¹⁾ الآية ما أدخله في الإعجاب، فجاء قوله (من نطفة خلقه) من غير واو، لأنها واردة على جهة التفسير لقوله (من أيّ شيء خلقه)... فعطف قوله (فقدّره) بالفاء تنبيها على أن التقدير مرتّب على الخلق، و على عدم التراخي بينهما، و عطف السبيل بثمّ لما بين الخلق و الهداية من التراخي و المهلة الكثيرة، ثمّ عطف الإماتة بـ ثمّ إشارة إلى التراخي بينهما بأزمنة طويلة، ثمّ عطف الإقبار بالفاء، إذ لا مهلة هناك. ثمّ عطف الإنشار بثمّ لما يكون هناك من التراخي باللبث⁽²⁾ في الأرض أزمنة متطاوله.

نخلص من كلّ ما قلناه إلى أنّ أقطاب المدرسة، و خصوصا عبد القاهر و الزمخشريّ و ابن الأثير، كانت بلاغتهم بلاغة تطبيقية تحيا في النماذج، وتلتصق بالنصوص الأدبية فتبين مواطن السحر فيها، و تجلي أسباب هذا السحر. يساعدهم في ذلك ذوق رفيع، و حسّ مرهف يدرك أسرار الجمال، و يتأثر بمفعول الفنّ في النفوس. و لذلك كله وجدناهم يعتمدون على المنهج التحليليّ في شرح نماذجهم، لأنّه المنهج الذي يناسب ما كانوا يرمون إليه من إظهار إعجاز القرآن، و جمال العربيّة، و تنوّع أساليبها في التعبير.⁽³⁾

خصائص مدرسة السكاكيّ : سنقف هنا أيضا مع أهم الخصائص و الملامح التي ميّزت رجال هذه المدرسة و طبعت أبحاثهم و كتاباتهم.

1- الإعتناء بوضع القواعد: إنّ أوّل ما كان يعنى به رجال هذه المدرسة، هو وضع الحدود و⁽⁴⁾التعريفات ، و التقسيم المنطقيّ لأبواب البلاغة و الإهتمام بالقاعدة أولا و أخيرا.⁽⁵⁾ و لعل فكرة التقسيم نفسها، أي تقسيم البلاغة إلى أقسامها الثلاثة: المعاني و البيان و على أذهان أصحاب هذه التعريفات التّحديد، و وضع فكرة البديع ، أثر من آثار سيطرة

(1) - عيس : 17-21.

(2) - حمزة العلوي، الطراز 2 : 43-44 لقد تأثر حمزة العلوي في تحليله لهذه الآية بما كتبه ابن الأثير عنها في كتابيه المثل السائر - 2: 50-51 و الجامع الكبير 200-201.

(3) - ينظر: د. عمر الملا حويش، تطوّر دراسات إعجاز القرآن 365.

(4) - ينظر: د. شوقي ضيف، البلاغة تطوّر و تاريخ 271-272 و بدوي طبانة، البيان العربي 25 و د. محمد مطلوب، القزويني⁽⁴⁾ و شروح التلخيص 35.

المدرسة، و في مقدّمتهم أبو يعقوب السّكاكيّ الذي يعدّ أوّل من مخض زبدة البلاغة العربيّة، وهذب مسائلها، و رتب أبوابها.⁽¹⁾

فقد عرّف علمي المعاني و البيان، مثلما مرّ بنا في مدخل هذا البحث، وحدّد مجالتهما وحدودهما. و عالج مسائل البلاغة على طريقة العلماء، لأنّه كان يعني بالصّحة أكثر في عنايته بالجمال والرّونق.⁽²⁾ و من هنا وجدنا كتابه (مفتاح العلوم) يخلو من تلك المتعة التي كنّا نشعر بها عند قراءتنا لدلائل الإعجاز، أو المثل السائر أو غيرها.

و قد طغت طريقة السّكاكيّ على كل من تصدّوا لكتابه بالشرح و التلخيص، من أمثال ابن النّاطم و القزوينيّ. و امتدّ تأثيرها إلى من حاولوا شرح تلخيص القزوينيّ كالتفتازاني وغيره. و من هنا وجدنا التفتازانيّ يشبّه كتابي عبد القاهر، الدلائل و الأسرار، بالعقد الذي تتأثرت لآلئه، لأنّهما يخلوان من التقسيم و التّبويب و الترتيب.⁽³⁾

و إذا حاولنا أن نستجلي ما قلناه، في حدود الظّاهرة التي درسناها، لوجدنا أنّ الإمام عبد القاهر لم يكن يعني بترتيبها و تبويبها، بقدر عنايته بتوضيح أهمّيّتها، و إبراز مكانتها في اللّغة العربيّة. فكان لذلك يكثر من النّصوص، و يمعن في تحليلها و أما السّكاكيّ فوجدناه يضع لها أقساما و عناوين فهنا الفصل لكمال الإّصال و كمال الإنقطاع، و هناك الفصل لشبه كمال الإّصال، و هنالك الوصل لدفع الإيهام و هلم و جرّاً.⁽⁴⁾

وقد أثرت طريقته هذه على كلّ من جاء بعده من الذين شرحوا كتابه، كابن النّاطم و القزوينيّ، أو شرحوا تلخيص كتابه كالتفتازانيّ و السّبكي و غيرهم.⁽⁵⁾

(1) - ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون 458.

(2) - ينظر: د. أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي 69، منشورات مكتبة النهضة، طر (بغداد 1964).

(3) - ينظر التفتازاني، مطوّل على التلخيص 9.

(4) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 136-137.

(5) - ينظر: ابن الناطم، المصباح 27-28 و القزويني، التلخيص 179-180 و الإيضاح 111-116 و التفتازاني، المصدر السابق

2 - الإعتقاد على الفلسفة و الجدل: تأثر رجال هذه المدرسة، و خصوصا أبا يعقوب السكاكي، بالفلسفة و المنطق و الكلام في تحليل بعض الجوانب من الظاهرة. فقد بالغ السكاكي مثلا في أمر الجامع بين الجملتين المتعاطفتين، فقسّمه إلى ثلاثة أقسام: عقلي و وهمي و خيالي فالعقلي ما يدرك بالعقل من الكليات، و الوهمي ما يدرك بالوهم، لا عن طريق الحواس، و الخيالي ما يدرك بالحس من الصور.⁽¹⁾

و واضح من خلال هذا التقسيم تأثره الشديد بالفلسفة، و المنطق و الجدل، حتى إننا نلمس الرّوح الجاقّة التي تغطي على تحليلاته في هذا القسم، لما يكتنفها من غموض و إبهام يحجب عنا قصده، و يضع أمامنا ستارا كثيفا، لا نكاد نتبيّن ما وراءه و خصوصا الجامع العقلي⁽²⁾.

و إذا حاولنا أن نلتمس شيئا من التّوضيح عند خلفه: فلن نظفر بشيء فالقر ويني في (التلخيص) أحل بما كتبه السكاكي في أمر الجامع، لأنّه حاول أن يلخّص ما قاله فبدا الموضوع عنده أكثر غموضا. ولم يتدارك الأمر في كتابه (الإيضاح) أمّا ابن الناظم فلم يعمل أكثر من النقل الحرفي المشوّه أحيانا.

و إذا مضينا عند التفتازاني وجدناه يغرقنا في تعاريف فلسفيّة، عن القوي المدركة، وعن التّصورات و الأخيّة، و الفروق بينها. و لكنّ هذه الفروق غائمة، لا تكاد تتضح، لما يلبسها من غموض و إبهام.⁽³⁾

(1) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 137.

(2) - ذكر أحمد مطلوب في رسالته (البلاغة عند السكاكي) إن أبا يعقوب السكاكي ولد في عصر " راجت فيه الفلسفة و المنطق و علم الكلام، و كثرت فيه الإختلافات في المسائل الكلامية و البحث و المناظرة. و أنشغل الناس، و لا سيما العلماء، بدراسة الأصول و الكلام و إدخالها في مناهج البحث و الإستعانة بها في علوم اللّغة العربية". البلاغة عند السكاكي 159. و الحق أن السكاكي كان موسوعة علمية. فقد ذكرت كلّ المصادر التي ترجمت له أنه تفنّن في علوم شتى كالنحو و البيان، و المعاني، و العروض، و الإستدلال، و الشعر و علم الكلام، و الفقه و غيرها. و لعلّ كتابه (مفتاح العلوم) خير شاهد على ذلك إذ درس فيه إثني عشر علما. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء 20: 59، مطبعة دار المؤمن و جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة 2: 364.

(3) - ينظر: التفتازاني، مطول على التلخيص 204.

- **عدم العناية بأسلوب الكتابة:** لم يكن رجال هذه المدرسة يعنون بأساليبهم، إذ كثيرا ما **3** يخالطها شيء من التعقيد و الركاكة، و خصوصا عند المتأخرين منهم كالتقازاني. و نحن هنا نسوق نماذج لنبيين من خلالها صحّة ما نزعم.

يقول السكاكيّ عن الحالة المقتضية للإبدال في الفصل بين الجمل، إنها الحالة التي يكون فيها " الكلام السابق غير واف بتمام المراد و إيراده، أو كغير الوافي. و المقام مقام اعتناء بشأنه، إمّا لكونه مطلوباً في نفسه، أو لكونه غريباً، أو فظيماً، أو عجبياً، أو لطيفاً أو غير ذلك، ممّا له جهة استدعاء للإعتناء بشأنه، فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه، على نيّة استئناف القصد إلى المراد، ليظهر بمجموع القصدين إليه في الأوّل و الثاني. أعني المبدل منه، و البديل مزيد الإعتناء بالشأن.⁽¹⁾

فأسلوب السكاكيّ هنا ركيك، و بعيد عن الأساليب الأدبيّة الجميلة التي كُنّا نستمتع بها عند أقطاب المدرسة الأدبيّة. و قد نقل بعض البلاغيين كلامه هذا بتصريف و نقله آخرون حرفياً، و لم يكلفوا أنفسهم عناء شرح بعض المصطلحات التي شابها الغموض، فجاءت غائمة تنقصها الدقّة، مثل قوله (أو لكونه غريباً، أو فظيماً. أو عجبياً، أو لطيفاً) فنقلوها كما هي دون توضيح.⁽²⁾

و يقول السكاكيّ في موضع آخر: " و الجامع العقليّ هو أن يكون بينهما اتحاد في تصوّر مثل الإتحاد في المخبر عنه، أو في الخبر، أو في قيد قيودهما، أو تماثل هناك فإنّ العقل بتجريده المثلين عن التّشخص في الخارج يرفع التّعديّد عن البين، أو تضاييف كالذي بين العلة و المعمول، و السبب و المسبب، أو السّئل و العلوّ و الأقلّ و الأكثر فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الدّهن، و أن العقل سلطان مطاع.⁽³⁾ فالناظر لهذا الأسلوب لا يشعر أنّه أمام نصّ بلاغيّ، لما فيه من تعقيد و ركاكة و تفكّك.

(1) - السكاكي، مفتاح العلوم 137.

(2) - ينظر: ابن الناظم، المصباح 29 والقزويني، التلخيص 183 و الإيضاح 113.

(3) - ينظر: السكاكي، المصدر السابق 137 و يقول السكاكيّ في موضع آخر، في أثناء حديثه عن مكانة فنّ الفصل و الوصل، أنّه مركز في ذهنك لا تجد لرده مقالا و لا لارتكاب حجه مجالا أن ليس يمتنع بين مفهومي جملتين إتحاد بحكم التأخي، و لا يباين أحدهما الآخر مباينة الأجنب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب، و لا أن يكونا بين بين، لا صرة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما

و يقول التفنّازانيّ: "... و لما فرغ من كمال الإنقطاع و الإتصال، أراد أن يشير إلى شبههما فقال (و أمّا لكونها) أي كون الجملة الثانية (كالمقطعة عنها)، أي عن الأولى (فلكون عطفها عليها)، أي عطف الثانية على الأولى (موهما لعطفها على غيرها)، ممّا يؤدي إلى فساد المعنى. و شبّه هذا بكمال الإنقطاع باعتبار أنّه يشتمل على مانع من العطف، و هو إيهاًم خلاف المراد.⁽¹⁾ فأنت ترى هذا الأخذ و الرّد، و التكرار و الملل في التعبير.

و لعلّ عنايتهم بوضع الحدود و الأقسام، و ضبط القواعد، هي التي صرفتهم عن العناية بأساليبهم، لأنّهم كانوا يهتمّون بالتّعريف أكثر من اهتمامهم بالتعبير، أو الصّورة التي يصاغ فيها ذلك التّعريف.

4- الإقلال من الشواهد: تميّز هؤلاء أيضاً بخصيصة أخرى، هي قلة احتفالهم بالشواهد، إذ كثيراً ما يذكرون شاهداً، أو شاهدين في أكثر الحالات، و ذلك لكلّ حالة يريدون أن يمثلوا لها.⁽²⁾ و يكون شاغلهم حينئذ صحّة هذا الشاهد أو ذاك، و مدى مطابقته للقاعدة التي يقرّرونها. و من هنا وجدناهم يبتعدون شيئاً فشيئاً عن النصوص، و عن مواطن الجمال و المتعة فيها، و ما تبعث في النفس من إحساس بالشّعور و الفتنة.

يقول السكاكيّ: " و من أمثلة القطع للاحتياط قوله:

بدلاً، أراها في الضلال تهيم. **تظنّ سلمى أنني أبغى بها**

لم يعطف (أراها) كي لا يحسب السامح العطف على (أبغى) دون (تظنّ)، و يعدّ (أراها في الضلال) من مظنونات سلمى في حقّ الشاعر، و ليس هو بمراد. إنّما المراد أنّه حكم الشاعر عليها بذاك.⁽³⁾

بين الأولى و الثانية لذلك . و مدار الفصل و الوصل ، و هو ترك العاطف و ذكره على هذه الجهات ، و كذا طيّّ الجمل عن البيّن ، و لا طيّها " المفتاح" 134.

(1) - التفنّازاني، مطوّل على التلخيص 198.

(2) - ينظر: د. محمد مطلوب، القزويني و شروح التلخيص 36 و د. عمر الملا حويش، تطور دراسات إعجاز القرآن 373 - 374.

(3) - السكاكي، مفتاح العلوم 141-142.

و يقول ابن الناظم : " و أما المقتضي لكمال الانقطاع ما بين الجملتين فنوعان :
الأول أن يختلفا خبرا أو طلبا ، و المقام عار عما يزيل الاختلاف كقوله :

فكل حتف امرئ يجري بمقدار \bar{n} فقال قائلهم ارسوا نزاولها

و كقولهم: مات فلان رحمه الله، و لا تدن من الأسد يأكلك. الثاني أن يتفقا خبرا أو طلبا،
و ليس بينهما جامع مثل أن تقول: كان معي فلان فقراً، ثم خطر ببالك أنّ المخاطب جوهرى
ولك جوهرة لا تعرف قيمتها، فتعقب كلامك بأن تقول: لي جوهرة لا أعرف قيمتها، فهل
أريكها فتفضل، أو بينهما جامع غير ملتفت إليه لبعده".⁽¹⁾

و يقول القزويني: " أمّا كمال الإنقطاع فلاختلافهما خبرا و إنشاء لفظا و معنى نحو:

فكلّ حتف امرئ يجري بمقدار \bar{n} و قال راندهم أرسوا نزاولها

أو معنى فقط نحو: مات فلان رحمه الله".⁽²⁾

و يقول في موضع آخر: " و أمّا الوصل لدفع الإيهام فكقولهم: لا و أيدك الله".⁽³⁾ فشدة
الاقتضاب في هذين النصين، مثلما هو واضح، بيّنة.

و يقول التفتازاني إنّ القسم الثالث من كمال الاّصال أن " تكون الجملة الثانية بيانا
للأولى، فتنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه، في إفادة الإيضاح، فلا تعطف عليها
(لخفائها)، أي المقتضي لتبيين الجملة الأولى بالثانية خفاء الأولى مع اقتضاء المقام إزالتة، نحو
(فوسوس إليه الشياطين ، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى)⁽⁴⁾ فإنّ (وزانه)، أي
وزان قوله (قال يا آدم) (وزان عمر في قوله: أقسم بالله أبو حفص عمر) حيث جعل (قال يا آدم)
بيانا و توضيحا لقوله (فوسوس إليه الشيطان) كما جعل (عمر) بيانا و توضيحا لأبي حفص".⁽⁵⁾

نخلص، من كلّ ما ذكرناه، إلى أنّ بلاغة هؤلاء كانت بلاغة مقننة معيارية إن صحّ لنا
هذا المصطلح ، تعنى أكثر ما تعنى بالتحديد و التقسيم، و وضع القواعد و التعريفات. فقد ابتعد

(1) - ابن الناظم، المصباح 30-31.

(2) - القزويني، التلخيص 179-180.

(3) - المصدر السابق، 190.

(4) - طه: 120.

(5) - التفتازاني، مطوّل على التلخيص 197.

أصحابها عن التّصوّص، و لم يلتفتوا إلى ما فيها من جمال و إلى ما يمكن أن تبعثه في النّفس من متعة و انشراح.

و نوّد أن نقول أخيرا إنّ هذه الفروق التي أوردناها و الخصائص التي سجلناها لكل مدرسة، في تناولها الأبحاث البلاغيّة و مسائلها، ليست حدا فاصلا، أو سياجا مكينا بين المدرستين، لا يمكن لإحدهما أن تتجاوزه. كلا بل هي فروق رأينا، من خلال قراءتنا، أنّها السمات الغالبة التي تميّز بها كل فريق. فنحن لا نشك مثلا أنّ فكرة الجامع بين الجملتين المتعاطفتين، و التي ذكرها عبد القاهر الجرجانيّ، فكرة عقليّة استقاها من الفلسفة، إلا أنّ استفادته منها كانت ضمن حدود معيّنة، و لم تطغ على الجانب الفنّي الذي طبع معظم دراساته، و ذلك بخلاف السّكاكيّ و أتباعه.

طريقة النّحاة في الدراسة

يبدو من العسير على الباحث، و خصوصا المبتدئ، أن يتوصّل إلى تحديد الطّريقة، أو المذهب الذي كان النّحاة العرب يتبعونه في عرضهم لمسائل النّحو، و أبوابه، و دراستها. و لعل مردّ ذلك، كما نعتقد، يعود بالدرجة الأولى إلى وجود مدارس نحويّة متباينة في الآراء و الأحكام، و ذلك في كثير من مسائل النّحو⁽¹⁾ و فضلا عن ذلك هناك هذا التراث الضّخم و من المؤلفات التي امتدت على فترة زمنية طويلة، تقارب الثمانية قرون، هذا إذا توقّفنا عند ابن هشام و حسب. فقد " صنّقت الكتب، و وضعت المطوّلات و المختصرات و المتون، و تعدّدت الشّروح و التّعليقات، و تألّفت لما كانوا يسمّونه بالنّحو مكتبة ضخمة، قلّ أن يتاح لغير النّحو مثلها".⁽²⁾ يضاف إلى ذلك كله عشرات الرّجال من النّحاة، الذين قيّضهم الزمن لحمل أعباء لغتنا، و حفظها من العوادي، و إرساء قواعدها و تمتين أسسها، و ما يتبع ذلك من تباين في الآراء، و تميّز في التّفكير و التّصوّر عند كل نحويّ.⁽³⁾

(1) - أثبت شوقي ضيف وجود خمس مدارس نحوية، هي البصريّة و الكوفيّة و البغداديّة و الأندلسيّة و المصريّة، و ذكر أن لكل مدرسة أعلام يتميّزون بأرائهم و أحكامهم، ينظر: المدارس النّحوية 5-8، دار المعارف، ط 2، مصر، 1972.

(2) - د. مهدي المخرومي، في النّحو العربيّ 29: نقد و توجيه، منشورات المكتبة العصرية، ط 1، بيروت 1964.

(3) - ينظر: د. علي أبو المكارم، أصول التّفكير النّحوي 302، منشورات الجامعة الليبية، مطابع دار القلم، بيروت 1973.

و مع ذلك سنحاول أن ننتيّن ههنا - وعلى ضوء ما درسناه عندهم، في بحثنا هذا، كأسلوبي العطف و الشرط و الجملة المفسرة و الجملة الحاليّة و غير ذلك - أهمّ السمّات و الخصائص التي يشترك فيها كل النّحاة تقريبا، بغضّ النظر عن كونهم من البصرة أو الكوفة أو من المتقدّمين أو المتأخّرين.

1- عرض القاعدة أوّلا: إن النّحاة، عموما، يعرضون، في أثناء تناولهم لأيّ باب من أبواب النّحو، القاعدة أوّلا ثمّ يلتمسون لها الشّواهد المناسبة.⁽¹⁾ و المتصحّح لأيّ مصدر من مصادر النّحو يلمس هذا الأسلوب من جانب النّحاة. و سننبسط هنا مجموعة من النّماذج لندلّل على ما نقول.

يقول سيبويه: " أمّا (أم) فلا يكون الكلام بها إلا استفهاما، و يقع الكلام بها في الإستفهام على وجهين: على معنى أيّهما و أيّهم، و على أن يكون الإستفهام الأخير منقطعا من الأوّل، و ذلك قولك: أزيد عندك أم عمرو، و أزيد لقيت أم بشر؟".⁽²⁾

يقول المبرّد " فأما (أم) فلا تكون إلا إستفهاما، و تقع من الإستفهام في موضعين. أحدهما أن تقع عديلة للألف على معنى (أيّ)، و ذلك قولك: أزيد في الدار أم عمرو؟، و كذلك أعطيت زيدا أم حرمة...".⁽³⁾

و يقول الزّجاجي: "أعلم أنّ (لولا) نقيضة (لو)، و ذلك أنّ الشيء ممتع بها لوجود غيره، و تلزمها اللام في الخبر، و تقع بعدها الأسماء، و لا تقع بعدها الأفعال ضداّ لما كان في باب (لو). فالمرتفع بعدها يرتفع بالابتداء، و الخبر مضمّر، و اللام داخلة على الجواب، و ذلك قوله: لولا زيد لأكرمك، و المعنى: أنّ الإكرام إنّما امتنع لحضور زيد".⁽⁴⁾ و يقول أبو عليّ

(1) - تمّ هذا في بدايات الدرس النحوي، على أساس من الإستقرار الشمولي للنصوص العربية و مستوياتها. و نعتقد أن إستمرار هذا الإعتناء بالقاعدة من جانب النّحاة إلى قرون متأخرة، يعود إلى النزعة التعليمية التي كانت أحد الأسباب في نشوء النّحو العربي.

(2) - سيبويه، الكتاب 3: 169.

(3) - المبرّد، المقتضب 3: 286.

(4) - الزّجاج، اللامات 139.

الفارسي: " فأما (أم) فإنها لا تكون إلا في الاستفهام، و هي تكون على ضربين: أحدهما أن تكون متصلة، و الآخر أن تكون منقطعة".⁽¹⁾

و يقول أحمد بن فارس: " (أم) حرف عطف نائب عن تكرير الإسم أو الفعل، نحو أزيد عندك أم عمرو؟ و يقولون ربما جاءت لقطع الكلام الأول، و استئناف غيره، و لا تكون حينئذ من باب الاستفهام، يقولون: إنها لابل أم شاء".⁽²⁾

و يقول ابن السجري في معرض حديثه عن الجملة الحالية " و قد تقع الجمل أحوالا، كما تقع أخبارا و أوصافا. و لا بدّ في الجملة من ضمير إذا وقعت خبرا أو صفة يعود إلى المخبر عنه و إلى الموصوف. و لما وجب هذا في الخبر و الصفة وجب في الحال، لأنها صفة ذي الحال و أنها زيادة في الخبر، فقد أخذت شيئا منها، و كلتا الجملتين المبتدئة و الفعلية تقع حالا".⁽³⁾

و يقول السيوطي: " (أي) بالفتح و السكون حرف للتفسير بمفرد، نحو: عندي عسجد أي ذهب غضنفر أي أسد... و لتفسير جملة أيضا كقوله: و ترميني بالطرف أي أنت مذنب".⁽⁴⁾ و غير هذه النماذج كثير.

و من نتائج تأثير فكرة التقعيد على أذهان النحاة، أننا وجدنا ابن مالك في كتابه (تسهيل الفوائد) يعرض القواعد عرضا دون أن يذكر أي شاهد كما أنه وضع منظومات مختلفة في النحو و الصرف، منها ألفيته التي طبقت الخافقين كما يقال، فتعقبها النحاة بعده شرحا و تفصيلا، و الشافية الكافية، و هي في ثلاثة آلاف بيت.⁽⁵⁾ و نفس الشيء فعله ابن الحاجب قبله، إذ وضع هو الآخر منظومة شعرية ضمّنها قواعد النحو عامة.⁽⁶⁾

(1) - الفارسي أبو علي، الإيضاح العضدي 1: 290.

(2) - ابن فارس، الصحابي 125.

(3) - ابن السجري، الأمالي الشجرية 2: 277.

(4) - جلال الدين السيوطي، همع الهوامع 2: 71.

(5) - ينظر: محمد بن شاعر الكتبي، فوات الوفيات 2: 453.

(6) - ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة 2: 135.

2- الخ،ـلاف: تميّز النّحاة بخاصيّة أخرى في دراساتهم و أبحاثهم، و هي كثرة اختلافهم في الحكم على المسائل النّحوية. نتج هذا، بطبيعة الحال، عن تميّز كلّ نحويّ و أسلوبه في التفكير و التّصوّر.

و من هنا تعدّدت الآراء حول المسألة الواحدة، و تباينت الأحكام بشأنها. و قد شمل هذا الأمر معظم أبواب النحو.⁽¹⁾

و لعلّ هذا الأمر هو الذي دفع ابن الأنباري إلى تأليف كتاب أسماء: الإتناف في مسائل الخلاف، عرض فيه أكثر من مئة مسألة وقع فيها الخلاف بين نحّاة البصرة و الكوفة.

و من صور الخلاف التي وقفنا عليها، في حدود ما مرّ بنا في ثنايا هذا البحث أن النّحاة اختلفوا في عدد حروف العطف. فمن قائل إنّها احد عشر حرفاً،⁽²⁾ و من قائل إنّها عشرة⁽³⁾ ، و من قائل إنّها تسعة⁽⁴⁾. و ذكر بعضهم أنّها ثمانية⁽⁵⁾، و ذهب ابن ملك إلى أنّها سبعة حروف⁽⁶⁾، وجعلها ابن دستويه ثلاثة حروف⁽⁷⁾ و جعل الكوفيّون منها (ليس) و ردّ البصريّون ذلك⁽⁸⁾.

و قد اختلف النّحاة في المعاني التي تفيدها (أو)، فذكر بعضهم أنّها ثلاثة عشر معنى⁽⁹⁾. و ذكر آخرون أنّها اثنا عشر⁽¹⁰⁾. و قال آخرون إنّها ثمانية⁽¹¹⁾ و اكتفى بعضهم بالقول إنّها تفيد ثلاثة معان فقط، هي الشكّ و التّخير و الإباحة⁽¹²⁾.

(1) – ينظر: د. أبو المكارم، أصول التفكير النّحوي 302.

(2) – ينظر: الزجاج، الجمل في النّحو 17.

(3) – ينظر المبرد، المقتضب 1: 10-12 وابن يعيش، شرح المفصل 8: 89.

(4) – ينظر: الفارسي أبو علي، الإيضاح العضديّ 1: 285.

(5) – ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 9: 89.

(6) – ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 174.

(7) – ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 8: 89.

(8) – ينظر: المرادي، الجنيّ الذّاني 498.

(9) – ينظر الهروي، الأزهرية 115.

(10) – ينظر: ابن هشام، مغنى اللبيب 1: 64.

(11) – ينظر: المرادي، المصدر السابق 228.

(12) – ينظر: الأنباري أبو البركات، أسرار العربية 304 وابن يعيش، المصدر السابق 8: 99.

و ذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل " المضارع في نحو: لا تأكل السمك و تشرب اللبن منصوب على الصّرف. و ذهب البصريون إلى أنّه منصوب بتقدير أن، و ذهب أبو عمرو الجرمي من البصريين إلى أنّ الواو هي النّاهية بنفسها، لأنّها خرجت عن باب العطف...⁽¹⁾

و اختلف النّحاة أيضا في (لكن) المسبوقة بالواو نحو: ما جاء زيد و لكن عمرو. فاعتبرها بعضهم عاطفة و لا تستعمل إلا بالواو، و الواو مع ذلك زائدة⁽²⁾ و جعلها بعضهم لمجرد الاستدراك و أنّ الواو هي العاطفة⁽³⁾ و من هؤلاء يونس، فالواو عنده عطفت مفردا على مفرد⁽⁴⁾ أمّا ابن ملك فالواو عنده عاطف لجملة على جملة و التقدير و لكن قام عمرو، و حجّته في ذلك أنّ الواو لا تعطف مفردا على مفرد مخالف له في الإيجاب و السلب، بخلاف الجمل فإنّه يجوز فيها ذلك⁽⁵⁾ و جعل المالقيّ العطف للفتلين معا⁽⁶⁾.

و من صور الخلاف فإنّه عند النّحاة أيضا، أنّ بعضهم يشترط في (أن) المفسّرة بأن يسبقها معنى القول دون حروفه⁽⁷⁾. و لم يشترط بعضهم ذلك، فجوز و قوعها بعد صريح القول⁽⁸⁾ يقول السيوطي: " قلت: و هذا من الغرائب كونهم يشترطون أن يكون فيها معنى القول فإذا جاء لفظه أوّلوه بما فيه معناه مع صريحه⁽⁹⁾."

(1) - أبو بكر الانباري، الإنصاف في مسائل الخلاف 2 : 555.

(2) - ينظر: المرادي، الجني الدني 587.

(3) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8 : 106 والمرادي، المصدر السابق 588.

(4) و (5) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1 : 324.

(6) -- ينظر: المالقي، رصف المباني 276

(7) - ينظر: الزجاج، إعراب القرآن 3 : 796-797 وابن يعيش، المصدر السابق 8 : 142.

(8) - ينظر: المرادي، الجني الداني 221 وابن هشام، المصدر السابق 1 : 30.

(9) - ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 1 : 156.

و قد شمل الخلاف بين النّحاة في أحيان كثيرة، الشّاهد الواحد. و من ذلك تباين الآراء حول (أو) في قوله تعالى (و أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) ⁽¹⁾ قال بعض الكوفيّين، ومعهم ابن قتيبة، إنّها هنا بمعنى الواو ⁽²⁾. و قال آخرون منهم الفراء، إنّها بمعنى (بل) ⁽³⁾ ويفهم من كلام الأخفش أنّها تفيد الإبهام، يقول " كانوا كذلك عندكم" ⁽⁴⁾ و للبصريّين، كما نقل ابن السّجريّ، في (أو) هذه ثلاثة أقوال ⁽⁵⁾ أحدها قول سيبويه و هو أنّ (أو) في الآية للتّخيير، و المعنى أنّه إذا رآهم أحد يخيّر في أن يقول هم مائة ألف، و أن يقول أو يزيدون. و أنكر ابن هشام ذلك، لا يصحّ التّخيير بين شيئين الواقع أحدهما ⁽⁶⁾، و الثاني أنّ (أو) لأحد الأمرين على الإبهام، و هو ما ذهب إليه المالقيّ أيضا ⁽⁷⁾، و الثالث ذكره ابن جنّي، فأو - في رأيه - للشكّ و المعنى أنّ من يراهم يشكّ في عدّتهم لكثرتهم ⁽⁸⁾، و هو ما ذهب إليه الزّمخشريّ أيضا ⁽⁹⁾، و قال قوم: هي بمعنى الإباحة، فإذا قال قائل هم مائة ألف فقد صدق، و إن قال غيره بل يزيدون على مائة ألف فقد صدق ⁽¹⁰⁾.

و أنكر المبرد أن تكون (أو) في الآية بمنزلة (بل)، و حجّته في ذلك أمران. أحدهما أنّ (أو) لو وقعت في هذا الموضع موقع (بل)، لجاز أن تقع في غير هذا الموضع، و كنا نقول ضربت زيدا أو عمرا على غير الشكّ لكن بمعنى بل و هذا مردود عند جميع النحاة و الثاني أنّ بل لا تأتي في الواجب في كلام واحد للإضراب بعد غلط أو نسيان، و هذا منفيّ عن الله

(1) -الصفات:147

(2)-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن 415

(3) - ينظر: الاخفش، معاني القرآن 2: 393.

(4) - المصدر السابق 2: 669.

(5) - ينظر: ابن السّجري، الأمالي الشجرية 2: 318.

(6) -ابن هشام، معنى اللبيب 1: 67.

(7) - ينظر: المالقي، رصف المباني 132.

(8)- ينظر: ابن جنّي، الخصائص 2: 461.

(9)- ينظر: الزّمخشري، الكشاف 3: 311.

(10)- ينظر: ابن فارس، الصّاحبي 127.

عزّ و جلّ، لأنّ القائل إذا قال: مررت بزيد غالطا فاستدرك، أو ناسيا فذكر، قال بل عمرو، ليضرب عن ذلك و يثبت ذا. ⁽¹⁾ يقول: " و لكن مجاز هذه الآية عندنا ما ذكرنا قبل في قولك : ايت زيدا أو عمرا أو خالدا ، تريد : ايت هذا الضرب من الناس ، فكأنه قال -والله اعلم- إلى مائة ألف أو زيادة. و هذا قول كلّ من نثق بعلمه". ⁽²⁾

و قد امتدّت تأثير الخلاف فطبع آراء التّحويّ الواحد. من ذلك أن ابن يعيش ذكر، في أثناء حديثه عن الجملة الحاليّة، أنّ جملي: لا تخاف دركا و لا تخشى، في قوله تعالى (فاضرب لهم في موضع الحال ⁽⁴⁾، بينما ذكر في موضع طريقا في البحر ببسا، لا تخاف دركا و لا تخشى ⁽³⁾. آخر من شرحه أنّه يجوز أن يكون رفع (لا تخاف) على القطع و الإستئناف، أي أنت لا تخاف، و يجوز أن يكون صفة بطريق التّقدير: لا تخاف فيه دركا. ⁽⁵⁾

و من ذلك أيضا أن ابن مالك ذكر في تسهيل الفوائد أن حروف العطف سبعة فقط. ⁽⁶⁾ في حين ذكر في الألفية أنّها تسعة، يقول:

حتى، أم، ك، فيك صدقّ و وفا \bar{n} فالعطف مطلقا بواو، ثم، فا

لكن، ك: لم يبد أمروء لكن طلا ⁽⁷⁾ \bar{n} و أتبع لفظا فحسب: بل، و لا

و لعلّ هذا الأمر دفع إبراهيم مصطفى إلى القول إنّ التّحاة كانوا يجيزون وجهين أو أكثر من أوجه الإعراب، و أنّ جدلهم كان يشتدّ و احتجاجهم يطول، ثم لا ينتهون إلى كلمة فاصلة. ⁽⁸⁾

(1)-ينظر: المبرد،المقتضب3: 304-305

(2)-المصدر السابق 3:305

(3) - طه : 77.

(4) - ينظر: ابن يعيش،شرح المفصل 2: 67.

(5) - ينظر: المصدر السابق 7: 52-53.

(6) - ينظر:ابن مالك، تسهيل الفوائد.174

(7)- ابن عقيل ،شرح ابن عقيل 2 : 224-225.

(8)- ينظر:إبراهيم مصطفى، إحياء النحو 8 مطبعة لجنة التّأليف و التّرجمة و النشر 1937.

3- التّأويل: يلجأ النّحاة، في أحيان كثيرة، إلى أساليب معيّنة لتأويل بعض النّصوص التي تخرج عن القواعد التي وضعوها، و ذلك للتوفيق بين هذه القواعد و الواقع اللّغوي.⁽¹⁾ و سنذكر هنا أشكال مختلفة من هذه الأساليب عثرنا عليها ضمن أبواب الفصل الذي خصصناه للنّحو.

و من ذلك أسلوب الزيادة و الحذف، فقد ذهب الكوفيّون و معهم الأخفش و تبعهم ابن مالك إلى أنّ الواو العاطفة يجوز أن تكون زائدة أو مقحمة، كما يقول بعضهم⁽²⁾ و يشترطون ذلك مع (حتّى إذا) و (فلما أن) لا يجاوزوهما.⁽³⁾ و ذكروا لذلك قوله تعالى (حتّى إذا جاءوها و فتحت أبوابها، و قال لهم خزنتها)⁽⁴⁾ و التقدير عندهم : حتّى إذا جاءوها فتحت أبوابها ونحو (فلما أسلما وثّله للجبين و ناديناها أن يا إبراهيم قد صدقت الرّوعيا)⁽⁵⁾ قالوا: إنّ الواو زائدة والمعنى: ناديناها أن يا إبراهيم. و مثله قول امرئ القيس:

بنا بطن حقف ذي قفاف عقتل⁽⁶⁾ فلما أجزنا ساحة الحيّ و انتحي

و ردّ البصريّون هذا الإعتقاد، و قالوا إنّ الواو حرف وضع لمعنى، و أنّه لا يجوز أن يحكم بزيادته⁽⁷⁾ و تأولوا كل الشّواهد - و ما كان مثلها - التي أوردها نحاة الكوفة، و من سار على نهجهم، فقالوا إنّ أجوبتها محذوفة لإمكان العلم بها.⁽⁸⁾

فأمّا قوله (و فتحت أبوابها)⁽⁹⁾ فالواو فيه عاطفة، و جواب إذا محذوف، و التقدير: حتّى إذا جاءوها و فتحت أبوابها فازوا ونعموا⁽¹⁰⁾، أو يكون: صدقوا الثواب الذي وعدوه⁽¹¹⁾. أو يكون:

(1) - ينظر: د. أبو المكارم، أصول التفكير النّحوي 307 ود. عفت الشراوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم 63.

(2) - ينظر: ابن جني، الخصائص 2: 462 والهروي، الأزهريّة 245 وابن يعيش، شرح المفصل 8: 93 و المالقي، رصف المباني 425.

(3) - ينظر: الفراء، معاني القرآن 1: 231 و 2: 390 و 3: 249.

(4) - الزّمر: 73.

(5) - الصّافات: 103.

(6) - امرئ القيس، الديوان و القفاف: ما ارتفع من الأرض و غلظ و القناقل: الرّمّل المتعقد الدّاخل بعضه في بعض.

(7) - ينظر: أبو بكر لا نباري، الإنصاف 2: 459.

(8) - ينظر: الزجاج، إعراب القرآن 2: 674 و الأمالي الشّجرية 1: 357.

(9) - الزّمر: 73.

(10) - ينظر: أبو بكر الأنباري، المصدر السابق 2: 452.

(11) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8: 94.

سعدوا أو دخلوها أو فازوا (1)، أو يكون : صدقوا و عدهم و طابت نفوسهم (2) و قدر بعضهم الواو للحال (3) و أمّا (فلما اسلما و تله للجبين و ناديناها) (4) ، فالتقدير فيه: أدرك ثوابنا و نال المنزلة الرفيعة لدينا (5)، أو منّا عليه أو صرفناه عن ذلك (6) و أمّا قول امرئ القيس فالتقدير فيه: " فلما أجزنا ساحة الحيّ و انتحى بنا بطن حقف ذي قفاف عقنقل خلونا و نعمنا " (7) أو نلت مقصودي أو بلغت مرادي (8).

و اعتمد التّحاة أيضا شكلا آخر من أشكال التأويل، هو تقدير بعض التراكيب و الصيغ في النّص. و من ذلك أنهم يشترطون في الجملة الواقعة صفة أن تكون خبرية فلا يقال: مررت برجل اضربه (9) و لما جاء ما ظهره عكس ما قالوا، و هو قول الشاعر:

جاءوا بمذق هل رأيت الذنب قط (10) \bar{n} حتى إذا جنّ الظلام و اختلط

تأولوا ذلك بأن قالوا إنّ الصّفة محذوفة تقديرها: بمذق مقول فيه هل رأيت الذنب قط (11).

و اشترطوا في الجملة الصفة أيضا أن تكون فيها ضمير يربطها بالموصوف، و لمّا جاء ما ليس فيه ضمير تأولوه، نحو قول الشاعر:

و طول العهد أم مالّ أصابوا (12) \bar{n} و ما أدري أغيرهم تناء

و التقدير: أم مال أصابوه. و مثله قوله تعالى (و اتّقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) (13)

و التقدير : لا تجزي فيه (14).

(1) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 1: 357.

(2) - ابن جني، الخصائص 2: 462.

(3) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 1: 402.

(4) - الصّافات: 103.

(5) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8: 94.

(6) - ينظر: المالقي، رصف المباني 426.

(7) - ينظر: أبو بكر الانباري، الإنصاف 2: 460.

(8) - ينظر: المالقي، المصدر السابق 426.

(9) - ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل 2: 198.

(10) - مرّ في الفصل الثاني. 119.

(11) - ينظر: الزمخشري، المفصل 115 و ابن يعيش، المصدر السابق 3: 53.

(12) - مرّ في الفصل الثاني. 87.

(13) - البقرة: 48 و 123.

(14) - ينظر ابن عقيل، المصدر السابق 2: 197-198.

4- الإكتفاء بشاهد أو شاهدين في وضع القاعدة: يبني بعض النحاة، أحيانا قواعدهم مستنديين إلى شاهد أو شاهدين. و يكون هذا الشاهد أو ذلك، في الغالب، مصنوعا. من ذلك، مثلا، ما ذكره الهروي من أن (أو) تأتي بمعنى (إن) في الجزاء، يقول : " و الموضع التاسع: تكون (أو) بمعنى (إن) التي للجزاء كقولك: لأضربنك عشت أو متّ. معناه: لأضربنك إن عشت من الضرب و إن متّ. و مثله: لآتيك أعطيتي أو منعتي، كأنه قال: إن أعطيتي أو إن منعتي".⁽¹⁾

و من ذلك ما زعمه بعض النحاة من أن الفاء قد تأتي لمطلق الجمع كالواو و يكون ذلك في الأماكن و المطر خصوصا⁽²⁾، كقولهم: عفا مكان كذا فمكان كذا، و إن كان عفوهما في وقت واحد. و نزل المطر بمكان كذا فمكان كذا، و إن كان نزوله في وقت واحد.⁽³⁾ و جعلوا من ذلك قول إمرئ القيس:

بسقط اللوى بين الدّخل فحومل⁽⁴⁾ ñ فقا بنك من ذكرى حبيب و منزل

و ذكر ابن هشام للواو خصائص تنفرد بها عن سائر حروف العطف، منها أنّها تعطف " المفرد السببيّ على الأجنبيّ عند الإحتياج إلى الرّبط، ك: مررت برجل قائم زيد و أخوه، و نحو: زيد قائم عمرو و غلامه، و قولك في باب الأشتغال، زيدا ضربت عمرا و أخاه."⁽⁵⁾

و ذكر من خصائصها أيضا أنها تعطف المتقدّم " على متبوعة للضرورة كقوله:

عليك و رحمة الله السّلام⁽⁶⁾ ñ أيا نخلة من ذات عرق

فقد أحرّ الشّاعر المعطوف عليه و هو (السّلام) و قدّم المعطوف و هو (رحمة الله).

(1) -الهروي، الأزهرية 127.

(2) - ينظر: ابن فارس، الصحابي 110 والمرادي، الجنّي الداني 63 وابن هشام، مغني اللبيب: 174.

(3) - ينظر: المرادي، الجنّي الداني 63.

(4) - إمرئ القيس، الديوان 8، وفيه: و حومل.

(5) - ابن هشام، مغني اللبيب 1: 393.

(6) - ابن هشام، المصدر السابق 1: 395.

تأثر البلاغيين بالدراسات النحوية

نشأت البلاغة، كغيرها من علوم العربية لخدمة القرآن الكريم و إتقان اللغة و تعليمها، و الوقوف على أساليبها و أشكالها المختلفة في التعبير. إلا أن اكتمالها كعلم له مجالاته و حدوده و قواعده، جاء متأخرا، من حيث الزمن، عن الدراسات النحوية لأسباب تاريخية و موضوعية.

و من الطبيعي، كما نعتقد، أن النظر في الأساليب و المعاني التي تفيدها الأشكال التعبيرية المختلفة، و التراكيب المحتملة لا يتأتى قبل أن تكتسب اللغة، أية لغة، قوانينها و أنماطها التشكيلية.

و من هنا فإن الإهتمام بالنواحي الجمالية و الأسلوبية، و الألوان التعبيرية جاء تابعا لتلك الدراسات التي اهتمت بإرساء قواعد اللغة، و ضبط قوانينها. و عليه فإن البلاغيين قد أفادوا في دراساتهم و بحوثهم من عمل النحاة و صنيعهم. و لا عجب في ذلك، فإن أغلب رجال البلاغة كانوا نحاة قبل أن يتوجهوا وجهة فنية في أعمالهم.

فعبد القاهر الجرجاني كان إماما في النحو، و له مصنّقات كثيرة فيه⁽¹⁾ و قد بنى نظريته في النظم على معطيات النحو و أحكامه، يقول: " أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه و أصوله، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، و تحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخلّ بشيء منها، و ذلك أنا لا نعم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب و فروقه. فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، و زيد ينطلق، و ينطلق زيد، و منطلق زيد، و زيد المنطلق، و المنطلق زيد، و زيد هو المنطلق، و زيد هو منطلق.

و في الشرط و الجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، و إن خرجت خرجت، و إن تخرج فأنا خارج، و أنا خارج إن خرجت، و أنا إن خرجت خارج.

(1) – ألف عبد القاهر الجرجاني (المعني في شرح الإيضاح) في نحو ثلاثين مجلدا، و (المقتصد في شرح الإيضاح) في ثلاثة مجلدات، و (العوامل المئة) و (العمدة في التصريف) و (الجملة ينظر الحموي، فوات الوفيات 1: 612-613.

و في الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاعني زيد مسرعا، و جاعني يسرع ، و جاعني و هو مسرع، أو و هو يسرع، و جاعني قد أسرع، و جاعني و قد أسرع. فيعرف لكلّ من ذلك موضعه، و يجيء به حيث ينبغي له، و ينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثمّ ينفرد كلّ واحد منها بخصوصيّة في ذلك المعنى. فيضع كلّ من ذلك في خاصّ معناه، نحو أن يجيء بـ(ما) في نفي الحال، و بـ(لا) إذا أراد نفي الإستقبال، و بـ(إن) فيما يترجّح بين أن يكون و ان لا يكون، و بـ (إذا) فيما علم أنّه كائن. و ينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثمّ يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، و موضع الفاء من موضع (ثمّ) و موضع (أو) من موضع (أم)، و موضع (لكن) من موضع (بل). و يتصرّف في التعريف و التّكثير، و التّقديم و التّأخير في الكلام كله، و في الحذف و التّكرار، و الإضمار و الإظهار، فيصيب بكلّ من ذلك مكانه، و يستعمله على الصّحّة و على ما ينبغي له.

و هذا هو السّبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، و خطؤه إن كان خطأ إلى النّظم، و يدخل تحت هذا الإسم إلا و هو معنى من معاني النّحو، قد أصيب به موضعه، و وضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه و استعمل في غير ما ينبغي له.⁽¹⁾

و لم يكن الزّمخشريّ بأقلّ تأثرا بمسائل النّحو و أصوله من عبد القاهر. فقد ألف هو الآخر مصنّقات في النّحو. منها (المفصل)، الذي طارت شهرته في الأمصار فتصدّى له كثيرون بالشرح و التّحليل، و لعلّ أشهرهم ابن يعيش.

وقد عالج في تفسيره (الكشاف) عديدا من المسائل النّحوية، و تفرّد في بعض منها بآراء جديدة. من ذلك أنّه يرى في الواو التي تدخل عليها همزة الإستفهام ثلاثة آراء. أحدها أنّها تعطف على ما قبل ألف الإستفهام، ففي قوله تعالى: (أثناء لمبعوثون أو آباوعنا الأولون)⁽²⁾

(1) – الجرجاني، دلائل الإعجاز 62-63 و ينظر الصّفحة 354 أيضا.

(2) – الصّافات: 16-17.

يقول: " و أبواعنا معطوف على محلّ إنّ و اسمها أو على الضمير في مبعوثون، والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الإستفهام".⁽¹⁾ و بالتالي أنّها تعطف على معطوف عليه محذوف بعد ألف الإستفهام، و ذلك نحو (أو كلّما عاهدوا عهداً)⁽²⁾، يقول: " الواو للعطف على محذوف معناه: أكفروا بالآيات البيّنات،كلما عاهدوا..".⁽³⁾

و الثالث أنّها قد تكون للحال، و ذلك في نحو (أو لو كان أبواعهم)⁽⁴⁾، يقول الواو للحال، و الهزمة بمعنى الرّد و التّعجب، معناه أيّبعونهم، و لو كان أبواعهم لا يعقلون شيئاً من الدّين، ولا يهتدون للصّواب.⁽⁵⁾ و الحق أنّنا بخصوص الزمخشري لا نستطيع أن نزعم أنّه بلاغيّ محض أو نحويّ محض، لأنّ دراساته تراوحت بين النّحو و البلاغة على حدّ سواء. و من هنا فقد تردّد اسمه عندنا في كلّ فصول هذا البحث.⁽⁶⁾

أمّا ابن الأثير فإنّه يرى أن مفاتيح الدّرس البلاغيّ و آياته، هي النّحو و التصرّيف و غيرها.⁽⁷⁾ و قد ظهرت استفادته - في حدود ما مرّ بنا من آرائه في هذا البحث - من جهود النّحاة في الفصل الذي خصّصه لدراسته حروف المعاني.⁽⁸⁾

ولم ينج أبو يعقوب السّكاكيّ، و من شرحوا كتابه من تأثير الدّراسات التّحوية على آرائهم و كتاباتهم. فقد نفنّ السّكاكيّ، مثل ما مرّ بنا، في علوم شتى منها النّحو.⁽⁹⁾ و خصّص قسمين كبيرين من كتابه (مفتاح العلوم) للصرّف و النّحو. و قد ظهر تأثر المتأخّرين من البلاغيّين بالدّرس التّحوي، خصوصاً، من خلال محاولاتهم تعقيد أبواب البلاغة و تقسيمها و تبويبها، و ضبط أحكامها، و الإقتناع بالشّاهد الواحد، و التّركيز على صحّة القاعدة. يقول

(1) - الزمخشري، الكشاف 3: 298.

(2) - البقرة : 100.

(3) - الزمخشري،المصدر السابق 1: 85.

(4) - البقرة: 170 و نص الآية (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أوّ لو كان أبواعهم لا يعقلون شيئاً و لا يهتدون).

(5) - الزمخشري، المصدر السابق 1: 107.

(6) - ذكر أنّ الزمخشري لا يعتدّ بآرائه في النّحو، و أنّ كتابه (المفصل) محتقر، لا يشتغل به و لا ينظر فيه إلا على وجه التّقض و الحط عليه. ينظر: السيوطي، الأشباه و النظائر 3: 26 تحقيق: إبراهيم محمّد عبد الله. مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق.

(7) - ينظر: ابن الأثير، المثل السائر 2: 9.

(8) - ينظر: المصدر السابق 2: 50-52.

(9) - ينظر: السيوطي، بغية الوعاة 2: 364.

أحمد مطلوب:" و قد كان بحث القزويني، و من لفّ لقه، و سار على منهجه أقرب إلى الدّراسات النّحوية، و من هنا جاءت جافة لا رواء فيها و لا رونق، و لا تفيد في تربية الدّوق و صقله، و إن كانت فيها بعض الومضات التي يمكن الإستفادة منها في كتابه البلاغة الجديدة. ممّا تجدر الإشارة إليه هنا، أنّ القزوينيّ ابتعد عن مجال الدّراسات النّحوية المتأخّرة من اهتمام بالعامل و الإعراب و غير ذلك. و لكنّ دراسته هذه لا تجدي نفعا في البلاغة، و لا تقدّم غداء فيه النّماء و التطور، لأنّ تحليقه كان دون تحليق عبد القاهر و ابن الأثير، و إن حلق في أجواء غير أجواء النّحاة المتأخّرين.⁽¹⁾

فكرة الفصل و الوصل بين الجمل، التي اهتمّ بها البلاغيّون فكرة نحوية في أساسها، لأنّها تعتمد على أسلوب نحويّ معروف هو العطف. يقول عبد القاهر: " اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك ذلك فيها و المجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة".⁽²⁾ فمواضع الفصل حددت على أساس نحويّ محض.

و قد ترددت مصطلحات نحويّة كثيرة في كتب البلاغيّين كالاستئناف و الإعراب و التّشريك في الحكم، و التّوكيد اللفظي و المعنوي، و بدل الكلّ و الاشتمال، و التّصّب و الرفع، و الحمل على المعنى و غير ذلك. إلا أنّ البلاغيّين و خصوصا أقطاب المدرسة الأدبيّة، حاولوا أن يخرجوا في أبحاثهم من إسار الأحكام الوظيفيّة إلى المعاني الإضافية التي تستفاد من هذه الأحكام النّحوية. و ذلك ما سنحاول أن نستجليه في أقسام لاحقة في هذا الفصل إن شاء الله.

جوانب التمايز بين البلاغيّين و النّحاة في الدراسة

نقف في هذا القسم من بحثنا على أهمّ المواطن التي رأينا فيها تمايزا بين فهم النّحاة و البلاغيّين لحيثيات هذه الظاهرة و أقسامها، محاولين أن نبرز ملامح من جهود البلاغيّين في إرساء دعائم هذا الموضوع، و إعطائه المكانة التي يستحقها في البلاغة.

(1) -د.محمد مطلوب، القزويني و شروح التلخيص 296.

(2) -الجرجاني، دلائل الإعجاز 156.

1- المصطلح: إنَّ أوّل ما ينبغي التّنبية عليه ههنا ، أنّ مصطلحي الفصل و الوصل لم يكونا مستخدمين عند النّحاة بنفس المفهوم الذي وضعه البلاغيّون .

فقد ورد مصطلح (الفصل) في الدّراسات التّحوية للتعبير عن معان معينة كالفصل بين المتضايقين، كما في قراءة ابن عامر (و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم)⁽¹⁾.
و كقول الشّاعر:

فسقتاهم سوق البغاث الأجادل⁽²⁾ ñ عتوا إذا أجبناهم إلى السلم رافة

فقد فصل في الآية بين المضاف (قتل) و المضاف إليه (شركائهم) بالمفعول (أولادهم) وكذلك الحال بالنّسبة إلى البيت، إذ فصل بين المضاف إليه . بالمفعول، و هو قوله (البغاث) .
وقد ذكر القيسيّ أنّ هذا الأمر يجوز عند التّحويين في الشّعر، و أكثر ما يكون في الظروف⁽³⁾. و حصر ابن هشام مواطن و روده في سبع مسائل⁽⁴⁾.

و هناك أيضا الفصل بين الصّفة و الموصوف كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

جهرأ، أحبُّ خريدة معطارا⁽⁵⁾ ñ هل في هوى رجل جناح زائر

فقد فصل بين الموصوف ، و هو (رجل)، و الصّفة و هي (زائر) بالمبتدأ المؤخر و هو (جناح) .

و هناك أيضا ما يسمّى النّحاة بضمير الفصل، في نحو (أولئك هم المفلحون)⁽⁶⁾ و (هؤلاء بناتي هنّ أظهر لكم)⁽⁷⁾، و الكلام فيه يرد في أربع مسائل⁽⁸⁾.

(1) - الأنعام : 137.

(2) - لم ينسبه ابن هشام إلى أحد . ينظر: أوضح المسالك 2: 226. البغاث: طائر ضعيف يصاد لا يصيد. و الأجادل ج أجدل و هو الصّقر.

(3) - ينظر: القيسي، إعراب مشكل القرآن. 1: 291 ، تحقيق: ياسين محمّد السّواس، دار المأمون للتراث، ط 2 ، دمشق.

(4) - ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك 2: 226-236.

(5) - شرح ديوان عمر 144 ، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد ، دار الأندلس ط 2 بيروت 1983.

(6) - الأعراف: 157.

(7) - هود: 78.

(8) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2: 641-646.

و جاء مصطلح (الوصل) عند النحاة للدلالة على أغراض معينة. كحروف الجرّ التي وضعوها ليتوصّلوا بالأفعال إلى المجرور بها، و حرف التنبيه (ها) التي للتنبيه وضعت ليتوصل بها إلى نداء (ال)، و الضمير الذي يربط الجمل الجارية على المفردات أحوالا وأخبارا و صفات و غيرها.⁽¹⁾ ويسمى ذلك الضمير الرّابط.⁽²⁾

أمّا المصطلحان عند البلاغيين فقد ارتبط ذكرهما بالجمل. فالوصل هو عطف بعض الجمل على بعض، و الفصل ترك ذلك، و جعل الجمل تتوالى مستأنفة واحدة في إثر الأخرى.⁽³⁾ و جعلوا دعامة ذلك حروف العطف، و خاصة الواو، التي يشكل الأمر بها في الجمل العارية من الإعراب.⁽⁴⁾

2- حدود الظاهرة: اقتصر البلاغيون في دراستهم لظاهرة الفصل و الوصل على أسلوب العطف وحده. فبيّنوا مواطن العطف بين الجمل و ترك ذلك فيها. و الحقوا بذلك الجملة الحالية، لأنها تأتي تارة بالواو و تارة بدونه.⁽⁵⁾

و قد رأينا أنّ أسلوب الشرط من صميم الفصل و الوصل، لأنه يتشكّل من جملتين تأتيان حيناً موصولتين بالفاء و غيرها، و حيناً مفصولتين. و كذلك الجملة الصّفة فإنّها تأتي مفصولة عمّا قبلها. و هناك اللام الرّابطة أيضا. و غير ذلك.

و من ههنا فقد تنا و لنا بعض هذه المسائل ضمن الفصل الثاني عند النحاة، و تنا و لنا بعضها في قسم التطبيق ، لأننا نعتقد أنّها جزء مهم من الظاهرة التي ندرسها .

و ينبغي أن نذكر هنا أنّ تناول النحاة لظاهرة الفصل و الوصل لم يكن مقصودا و إنّما جاء عرضا ، ذلك أنّهم لم يشيروا إلى أنّهم سيدرسون جانبا مهماً من اللغة العربيّة ، فيبيّنون

(1) - ينظر: السيوطي، الأشباه و النظائر 1: 670-671.

(2) - ينظر: المصدر السابق 1: 445.

(3) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 156 و السكلكي، مفتاح العلوم 134 و القزويني، الإيضاح 109.

(4) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 157 و الزمكاني، التبيان في علم البيان 128.

(5) - درس عبد القاهر الجرجانيّ الجملة الحالية في فصل خاص بها أسماء: فروق في الحال لها فضل التعلق بالبلاغة. ينظر: دلائل الإعجاز 142.

مواضعه و حدوده، و لم يخصّصوا لذلك فصلا قائما برأسه، يدرسون فيه جوانب هذا الموضوع و أقسامه. فقد ورد حديثهم عن ذلك موزّعا هنا و هناك ضمن أبواب النحو.

أمّا البلاغيّون فكانت دراستهم مقصودة، إذ أشادوا كلّهم بأهميّة الفصل و الوصل بين الجمل، و اعتبروا ذلك سرّا من أسرار البلاغة، بحيث لا يتأتّى " لتمام الصّواب فيه إلا الأعراب الخّص، و الأقوام طبعوا على البلاغة ، و أوتوا فنّا من ذوق الكلام." (1) ، فذلك، مثلما يقولون، فنّ دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد و الأسرار. (2)

و من هنا وجدناهم أي البلاغيّين، يخصّصون له فصلا طويلا و مهمّا من فصول علم المعاني (3) و قد بدأ ذلك عبد القاهر الجرجانيّ في دلائل الإعجاز، فتلقف البلاغيّون بعده ما كتبه، و راحو يفصلّون الحديث في هذا الفنّ. و قد أنحصرت جهودهم في زيادة ضبطهم لقواعده، و تقسيمهم لأبوابه، و تبويبهم لعناصره و أجزائه.

و من المفيد أن نذكر هنا أنّ ظاهرة الفصل و الوصل بلاغيّة في أساسها، لأنّ البلاغيّين هم الذين أصلّوها، و جعلوها فنّا له حدوده و مجالاته. إلا أنّ ذلك عندهم لم يخلق من عدم، لأنّهم، و خصوصا المتبرّزين منهم كعبد القاهر و الزّمخشريّ، قد أفادوا كثيرا من الموروث اللّغوي و النّحوي و الأدبيّ الذي كان ثمرة جهود طويلة و مضيئة. فقد كان عبد القاهر الجرجانيّ في حياته العلميّة صورة " للحضارة العربيّة في إنتشار ثقافتها، و تكامل علومها و سيرورة الكتب بين النّاس على اختلاف الأصقاع التي أضلّها الفكر العربيّ، و عايشة أهلها اللّغة العربيّة." (4)

(1) – الجرجاني، دلائل الإعجاز 156.

(2) – ينظر: الزمكاني، التبيان في علم البيان 128 و العلوي حمزة، الطراز 2: 33.

(3) – لم يخصّص الزّمخشريّ فصلا أو بحثا مستقلا للفصل و الوصل، و إنما جاء حديثه عن ذلك منبثا هنا و هناك في ثنايا تفسيره (الكشاف).

(4) – مقدمة محققي دلائل الإعجاز 7.

و قد حاولنا أن نبين، في مدخل هذا البحث، أصول الظاهرة قبل عبد القاهر، فتوصلنا إلى أن جذورها كانت منبثة هنا وهناك في كتب النحو واللغة و التفسير و أن هذه الجذور كانت عوناً كبيراً للبلاغيين كي يرسوا دعائم هذا الفن، و يضبطوا أحكامه و قوانينه.

2- بين الجمل و المفردات: اعتنى البلاغيون، في بحثهم لهذه الظاهرة، بعطف الجمل و ترك ذلك فيها، و ركزوا على ذلك جلّ اهتمامهم، و أهملوا الحديث عن عطف المفردات و فصلها، لأنّ فائدة العطف في المفردات ظاهرة فهي إشراك الثاني في إعراب الأول و إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب. نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، و المعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو منه شريك له في ذلك.⁽¹⁾

فلم نجد منهم من أشار إلى الوصل بين المفردات. أو فصلها باستثناء الزمخشريّ الذي كانت آراؤه البلاغية . كما قلنا موزعة هنا و هناك في كتابه (الكشاف). و المملكانى و حمزة العلوي الذي كان متأثراً بما كتب الزملكاني. و قد أشار هو نفسه إلى ذلك في مقدمة كتابه الطراز.⁽²⁾

فقد جعل الزملكانيّ ذلك مقدّمة لحديثه عن الجمل، و لم يتناول بحثه سوى الصّفات التي عادة ما تتوالى دون عاطف، و خصوصاً الأوصاف الدّالة على ذات الله⁽³⁾، نحو (هو الرّحمن الرّحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدّوس السّلام المهيمنّ العزيز الجبار المتكبر. سبحان الله عمّا يشركون. هو الله الخالق البارئ المصورّ له الأسماء الحسنى).⁽⁴⁾

و قد تأتي الصّفات متعاطفة في بعض المواضع نحو (هو الأوّل و الآخر و الظاهر والباطن)⁽⁵⁾، و سبب تعاطفها هنا أنّها متضادّة المعاني، فجاء بالواو لرفع الوهم و الالتباس عمّن يستبعد ذلك في ذات واحدة.⁽⁶⁾ و نحو ذلك قوله تعالى (و عسى ربّه إنّ طلقن أن يبدله

(1) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 156-157.

(2) - ينظر: العلوي حمزة، الطراز 1 : 4.

(3) - ينظر: الزملكاني، التبيان في علم البيان 129.

(4) - الحشر : 22-23.

(5) - الحديد: 3.

(6) - ينظر: الزملكاني، المصدر السابق 130.

أزواجاً خيراً منكنّ، مسلمات قانتات عابدات سائحات ثيبات و أبكاراً. (1) ، و يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم أخليت الصّفات كلها عن العاطف، و وسّط بين الثيبات و الأبكار؟ قلت: لأنّهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصّفات، فلم يكن بدّ من الواو. (2)"

و قد ركز البلاغيون، بخصوص العطف بين الجمل، على الواو، لأنّ الإشكال إنّما يعرض فيها وحدها " دون غيرها من حروف العطف، و ذلك لأنّ تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أنّ الفاء توجب الترتيب من غير تراخ، و (ثمّ) توجبه مع تراخ، و (أو) تردد الفعل بين شيئين، وتجعله لأحدهما لا بعينه. فإذا عطفت بواحد منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة، فإذا قلت: أعطاني فشكرته، ظهر بالفاء ان الشكر كان معقبا على العطاء و مسببا عنه و اذا قلت: خرجت ثم خرج زيد أفادت (ثمّ) أنّ خروجه كان بعد خروجك، و أنّ مهلة وقعت بينهما. وإذا قلت: يعطيك أو يكسوك دلت (أو) على أنّه يفعل واحدا منهما لا بعينه. و ليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعته فيه الثاني الأوّل. فإذا قلت: جاءني زيد و عمرو، لم تقد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتّه لزيد، و الجمع بينه و بينه، و لا يتصور إشراك بين شيئين حتّى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه. و إذا كان ذلك كذلك، و لم يكن معنا في قولنا: زيد قائم و عمرو قاعد، معنى نزع أنّ الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه ثبت إشكال المسألة. (3)"

أمّا النّحاة فقد اعتنوا بعطف المفردات أكثر من عنايتهم بعطف الجمل، حتّى إنّ حديثهم عن تعاطف الجمل كان يأتي مقتضبا. و لعلّ تركيزهم على أدوات العطف و محاولاتهم ابراز معانيها. و اكتشاف دلالاتها المختلفة قد شغلهم عن الإلتفات إلى ذلك.

و الحقّ أنّهم، بخصوص أدوات العطف، قد حصروا كل معانيها، و بيّنوا جميع ما تخرج إليه من دلالات إضافية. و ينبغي أن نسجّل هنا أنّ عنايتهم بهذه الأدوات فاقت كثيرا عناية البلاغيين بها، إلا أنّ توجّه البلاغيين في دراستها كان مخالفا لما رأيناه عن النّحاة، و سنكشف ذلك حينما نعرض لإضافات البلاغيين.

(1) - التحريم: 5.

(2) - الزمخشري، الكشاف 4: 115-116.

(3) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 157 ، و ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 135 والقرويني، التلخيص 177-178.

أمّا بخصوص ترابط الجمل و وصلها، دون عطفها، فقد وجدناهم يعتنون به كما في أسلوب الشرط، و ارتباط جملتيه بالفاء و غيرها، و الجملة الحالّية ذات الواو، و الجملة الإستثنائية المسبوقة بالأدوات، و كذلك فعلوا بخصوص الجمل المفصولة كالجملة المفسّرة و الجملة الحالّية العديمة الواو، و الجملة الصّقة و غير ذلك. و لكن من المفيد أن أكرّر هنا أنّهم تناولوا ذلك دون أن يذكروا أنّ حديثهم هذا هو من قبيل الفصل و الوصل بين الجمل.

4- الإستئناف: إنّ الاستئناف عند النّحاة مرتبط دائماً بالعلاقات الإعرابيّة. فالجملة عندما لا يكون لها حكم تشارك فيها الجملة التي تسبقها كالخبريّة أو الوصفية و غير ذلك، يسمّيها النّحويون جملة مستأنفة، أو منقطعة عمّا قبلها، من حيث وظيفتها النّحوية في النّص و علاقتها بالجملة قبلها. و تسمّى كذلك حتّى في حال توسّط أداة بين الجملتين كالفاء و الواو و ثمّ غيرها. أمّا البلاغيّون فيخصّون الإستئناف بما كان جواباً لسؤال مقدّر. و قد مرّ بنا تفسير ذلك في الفصل الذي خصصناه للبلاغة.

و من هنا فقد وجدنا ابن هشام، و هو من النّحاة المتأخّرين، يشير إلى الفرق بين الإستئنافين.⁽¹⁾ فقد ذكر قوله تعالى (و حفظا من كلّ شيء مارد، لا يسمعون إلا المأ الأعلى)⁽²⁾ و قال إنّ جملة (لا يسمعون) من الإستئناف النّحوي، و ليست من الإستئناف البيانيّ لفساد المعنى.⁽³⁾ و قد تبيّن لنا أنّ الاستئناف البلاغيّ هو نوع من الاستئناف النّحوي، فجملة (صدقوا) في قول الشّاعر⁽⁴⁾

صدقوا، و لكنّ غمّرتي لا تنجلي. ñ زعم العواذل أنني في غمرة

لا علاقة إعرابية تربطها بما قبلها. و هي عند البلاغيّين من قبيل الاستئناف الذي وضعوه.⁽⁵⁾ و عليه فهي استئناف نحويّ و بلاغيّ. و مثل ذلك جملة (قال سلام) في قوله تعالى (هل أتاك

(1) - ينظر: ابن هشام، مغني النيبب 2: 427-428.

(2) - الصّافات: 7-8.

(3) - ينظر: ابن هشام، المصدر السابق 2: 429.

(4) - مرّ في الفصل الأوّل. 23

(5) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 166.

حديث ضيف إبراهيم المكرّمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما، قال سلام قوم منكرون).¹ فهي من قبيل الاستئناف البيانيّ و التّحويّ.

أمّا الاستئناف التّحويّ فلا يمكن أن نعدّه استئنافا بلاغيّا، فجملة (أجل مسمّى عنده) في قوله تعالى (ثمّ قضى أجلا، و أجل مسمّى عنده)² لا يمكن أن تكون من قبيل الاستئناف البيانيّ لسببين : أولهما أنّها ليست جوابا لسؤال تضمنه الجملة قبلها و ثا نيهما انها مسبوقه بالواو . و من ههنا يمكن أن نزع أن كلّ استئناف بلاغيّ يكون استئنافا نحويّا في الغالب، بينما ليس كل استئناف نحويّ بلاغيّا.³

5- التّناسب بين الجمل المتعاطفة: ألحّ البلاغيّون على ضرورة التّناسب بين الجمل من حيث الاسميّة و الفعلية، والمضي و المضارعة و ما شاكل ذلك. و جعلوا ذلك من الأسباب التي يحسن بها الوصل⁴، نحو (إنّ الأبرار لفي نعيم ، و إنّ الفجار لفي جحيم)⁵

و قد حاولوا تفسير بعض التّماذج التي وردت فيها الجمل غير متناسبة، من نحو (إنّ المنافقين يخادعون الله، و هو خادعهم).⁶ و (سواء عليكم أذعوتموهم، أم أنتم صامتون).⁷ و (إنّ الذين كفروا، و يصدّون عن سبيل الله).⁸

أمّا النّحاة فقد اختلفوا في ذلك، فمنهم من جوّز عطف الاسميّة على الفعلية، و الفعلية على الاسميّة، و الماضي على المضارع، و المضارع على الماضي، دون وضع اعتبار لفكرة التّناسب. و منهم من لم يجوّز ذلك، معتبرا تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما. و عموما فإنّ في المسألة عند النّحاة، كما ذكر ابن هشام، ثلاثة أقوال.⁹

(1) – الذّاريات: 24-25.

(2) – الأنعام : 2.

(3) – ينظر: د. فخر الدّين قباوة، إعراب الجمل. 41، دار الأصمعي، طر ، بيروت 1972.

(4) – ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 147 و ابن الناظم، المصباح 33 و القزويني، الإيضاح 121-122.

(5) – الانفطار: 13-14.

(6) – النّساء: 142.

(7) – الأعراف : 193.

(8) – الحجّ: 25.

(9) – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب 2: 538.

و بخصوص عطف الإنشاء على الخبر أو العكس، فإنّ البلاغيين منعوا ذلك ألبتة،
و جعلوه أحد الدواعي إلى الفصل بين الجمل، و سمّوه كمال الإنقطاع⁽¹⁾ و قد حاولوا تأويل
الشواهد التي عرض لهم فيها ما ظاهره عطف الإنشاء على الخبر أو العكس، نحو (لئن لم تنته
لأرجمك، و اهجرني ملياً).⁽²⁾

أمّا النّحاة، على عاداتهم، فقد اختلفوا في المسألة. فمنهم المجيز و منهم المانع، و منهم من
أجاز ذلك إلا أنّه جعل المناسبة في الجمل هو الكثير .

7-الجملة الحالية: ذكر البلاغيون أنّ الغالب في الجملة الاسميّة الواقعة حالاً أن تقترن بالواو،
وجعلوا ذلك هو الأصل و القياس فيها. ⁽³⁾ يرى عبد القاهر أنّه لا تجيء " جملة من مبتدأ و خبر
حالاً إلا مع الواو، و أمّا الذي جاء من ذلك فسبيله سبيل الشيء يخرج عن أصله و قياسه...
و يدلّ على أن ليس مجيء الجملة من المبتدأ و الخبر حالاً بغير الواو أصلاً قلته، و أنّه لا
يجيء إلا في الشّيء بعد الشّيء. هذا و يجوز أن يكون ما جاء من ذلك إنّما جاء على إرادة
الواو، كما جاء الماضي على إرادة قد. "⁽⁴⁾

و نفس الأمر أكده الزّمخشري حيث ذكر أنّ ما أتى من الجمل الاسميّة بدون واو فهو
من الشّاد الذي لا يعثر عليه إلا في النّدره.⁽⁵⁾

أمّا النّحاة فالأمر عندهم على خلاف ذلك. فالجملة الحالية ترتبط بصاحبها بأحد أمرين:
إمّا الواو و إمّا الضّمير.⁽⁶⁾ و من ثمّ فإنّ أحدهما مغن عن الآخر.⁽⁷⁾ ، و لذلك ردّ كلّ من ابن
يعيش و ابن هشام زعم الزّمخشريّ في أنّ ورود الجملة الإسميّة بدون واو نادر.⁽⁸⁾

(1) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 137 وابن الناظم، المصباح 30-31 والقزويني، التلخيص 179.

(2) - مريم: 46

(3) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 142 والسكاكي، المصدر السابق 149 والزمكاني، التبيان في علم البيان 120.

(4) - الجرجاني، المصدر السابق 154.

(5) - ينظر: الزّمخشري، المفصل 64.

(6) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2: 66.

(7) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 277-278 والمالقي، رصف المباني 419.

(8) - ينظر: ابن يعيش، المصدر السابق 2: 66 وابن هشام، مغني اللبيب 2: 558.

و قد ذكر النحويون كذلك أنّ ورودها مع الواو هو الأكثر إلا أنّهم لم يجعلوا ورودها بدونه ممّا لا يطرّد.⁽¹⁾ بل منهم من جعل الأمر ها هنا سواء.⁽²⁾

و الحق أنّ ما ذهب إليه النحاة هو الأرجح، لأنّ الشواهد التي أوردتها البلاغيّون أنفسهم عن الجملة الإسميّة المستغنية عن الواو بلغت تسعة. فإذا أضفنا إليها الشواهد الأربعة التي أوردتها ابن هشام للردّ على زعم الزمخشريّ، تبين لنا صحّة ما قاله النحاة، لأنّ الأمر الذي لا يطرّد، كما نعتقد، يرد في شاهد أو شاهدين على الأكثر، أمّا أن يشمل عشرة شواهد أو أكثر فإنّه يصبح، لا محالة، شائعاً. و لعلّ هذا الأمر هو الذي دفع القزوينيّ إلى القول بجواز الأمرين جميعاً إلا أنّ ورود الواو أولى.⁽³⁾

و بخصوص الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع، فإنّنا لم نجد كبير اختلاف بين البلاغيّين و النحاة. فهي عندهم - إذا كان فعلها مثبتاً - تأتي مفصولة عمّا قبلها دون حاجة إلى واو.⁽⁴⁾ أمّا إذا كان فعلها منفيّاً فيجوز الأمران.⁽⁵⁾ إلا أنّ السكاكي، من البلاغيّين، رجح ترك الواو⁽⁶⁾، و استثنى ابن مالك، و بعده السيوطي، المضارع المنفيّ بـ(لا). فلا يجوز عنده أن يصحب بالواو و ما ورد من ذلك يجعله خبر مبتدأ مقدر⁽⁷⁾. و ذكر بعضهم أنّ المضارع المنفيّ بـ (لم) لا بدّ فيه من الواو.⁽⁸⁾

و ذكر الرضيّ أنّ المنفيّ بـ(ما) لا تدخله الواو، و حجّته في ذلك أنّ " المضارع المجرد يصلح للحال، فكيف لا إذا انضمّ معه ما يدلّ بظاهره على الحال و هو (ما) " ⁽⁹⁾. و قد

(1) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2: 66 و ابن مالك، تسهيل الفوائد 112 و السيوطي، الهمع 1: 246.

(2) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 277-278 و المالقي، رصف المباني 419.

(3) - القزويني، الإيضاح: 126.

(4) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 151 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 123 و القزويني، التلخيص 209 و ابن يعيش، شرح المفصل 2: 66 و ابن مالك، تسهيل الفوائد 112 و المرادي، الجنّي الدانيّ 164. يفهم من كلام المالقي أنّ الجملة ههنا يمكن أن ترد بالواو، إلا أنّ الاستغناء عنها هو الأكثر. ينظر: رصف المباني 420.

(5) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 141 و الزملكاني، التبيان في علم البيان 121 و ابن يعيش، شرح المفصل 2: 67 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1: 659.

(6) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 149.

(7) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 112-113 و السيوطي، الهمع 1: 246.

(8) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 2: 44 و السيوطي، المصدر السابق 1: 246.

(9) - الاستربادي، المصدر السابق 2: 45.

ورد شاهد عند البلاغيين مضارعه منفيّ بـ(ما) و معه الواو، و هو قول الشاعر:

فأين أحيدهم لا أحيده **ن** أتاني معصب و بنو أبيه

و كنت و ما ينهنهني الوعيد. ⁽¹⁾ **ن** أقادوا من دمي و توعدوني

فقوله: و ما ينهنهني الوعيد، جملة في موقع حال، و (كان) قبلها تامّة، و المعنى: وجدت غير منهنه بالوعيد. ⁽²⁾

أمّا بخصوص الجملة الحالية ذات الفعل المضارع فإنّها - عند البلاغيين - تجيء تارة بالواو و أخرى بدونه. إلا أنّ الشيخ عبد القاهر يرجّح ورودها مع الواو ⁽³⁾، في حين يرجّح السكاكيّ ورودها بدونه. ⁽⁴⁾ و لم يغلب القزوينيّ واحدا من الأمرين. ⁽⁵⁾

و قد اختلف النحاة أيضا في المسألة، فمنهم من يرى أنّ هذه الجملة إن اقترن ماضيها بـ(قد) كنت مخيّرا في الإتيان بواو الحال و تركها. ⁽⁶⁾ و منهم من يربط ذلك بالضمير، فإن عدم لزمت الواو. ⁽⁷⁾ و يرى فريق آخر رأي البلاغيين، إذ يجوز أن توصل بما قبلها بالواو، كما يجوز أن تأتي مفصولة، و ذلك سواء كان الماضي مثبتا أو منفيّا. ⁽⁸⁾

و قد اتفق الفريقان، بلاغيّون و نحاة، بخصوص الجملة الحالية المصدرّة بـ (ليس)، إذ الأكثر الأشيع أن تأتي بالواو. ⁽⁹⁾ و يرى عبد القاهر أنّها إن أتت بدون واو كان ذلك ألطف، و أدخل في البلاغة و أحسن. ⁽¹⁰⁾ و من ذلك، كما مثل، قول الأعرابي:

تعرفه الأرسان و اللدلاء **ن** لنا فتى حبذا الأفتاء

خلى القلب ليس فيه الماء ⁽¹¹⁾ **ن** إذا جرى في كفه الرشاء

(1) - مرّ البيتان في الفصل الأول. 75.
(2) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 147 و التبيان في علم البيان 121.
(3) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 149.
(4) - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم 149.
(5) - ينظر: القزويني، الإيضاح 125.
(6) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 2: 67.
(7) - ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد 113 و المالقي، رصف المياني 419.
(8) - ينظر: الاستربادي، شرح الكافية 2: 44 و ابن عقيل، شرح ابن عقيل 1: 659.
(9) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 149 و السكاكي، مفتاح العلوم 150 و الاستربادي، المصدر السابق 2: 43 و السيوطي، الهمع 1: 246.
(10) - ينظر: الجرجاني، المصدر السابق 149.
(11) - مرّ في الفصل الأول. 79.

و قد عدّ القزوينيّ وحده، دون غيره من البلاغيين و النحاة ، المضارع المجزوم بـ(لم) و (لما) من هذا القبيل، لأنّه في معنى الماضي.⁽¹⁾ و أورد لذلك أمثلة منها قوله تعالى (أتى يكون لي غلام، و لم يمسنني بشر).⁽²⁾ و (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم).⁽³⁾

وهناك امر ينبغي الإشارة إليه ههنا ، هو ان البلاغيين تنا ولوا بالحديث الحال التي تكون شبه جملة نحو قول بشرار :

خرجت مع البازي عليّ سواد⁽⁴⁾ إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها
أمّا النحاة فلم نجد منهم من أشار إلى ذلك.

و أحب أن أنبه هنا إلى أنّ البلاغيين، خصوصا عبد القاهر، قد حاولوا تفسير السبب في أن تأتي الواو مع الجملة الحالية في موضع، و لا تأتي في موضع آخر. يقول عبد القاهر: " و اذ قد رأيت الجمل الواقعية حالا قد اختلفت بها الحال هذا الاختلاف الظاهر، فلا بدّ من أن يكون ذلك إمّا كان من أجل علل توجبه، و أسباب تقتضيه. فمحال أن يكون هنا جمل لا تصح إلا مع الواو، و أخرى لا تصلح فيها الواو، و ثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو، و أن تدعها فلا تجيء بها، ثمّ لا يكون لذلك سبب و علة. و في الوقوف على العلة في ذلك إشكال و غموض. ذاك لأنّ الطّريق إليه غير مسلوک، و الجهة التي منها تعرف غير معروفة"⁽⁵⁾ و قد بيّنا ذلك في قسم البلاغة، و شرحناه تحت عنوان : أسباب المجيء بالواو أو الاستغناء عنها.⁽⁶⁾ أمّا النحاة فكانت إشارتهم إلى ذلك مقتضبة.⁽⁷⁾ ، و منهم من لم يلتفت إلى ذلك ألبتة.

(1) - ينظر: القزويني، التلخيص 202-203 و الإيضاح 125.

(2) - مريم : 20.

(3) - البقرة : 214.

(4) - مرّ في الفصل الأوّل 71

(5) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 151.

(6) - ينظر: الفصل الأوّل ص 77 و ما بعدها.

(7) - ينظر: حديث ابن يعيش عن المضارع المثبت 2: 66 و حديث الرّضيّ أيضا عن المضارع المثبت 2: 43 و المضارع المنفيّ

45-44: 2.

و قد اختلف النّحاة في هذه الواو، فأغلبهم على أنّها واو الحال، و سمّاها سيبوية واو الابتداء.⁽¹⁾ و زعم بعض المتأخّرين أنّ الواو هذه هي العاطفة.⁽²⁾ و قال آخرون إنّها ليست كذلك، و إنّما هي التي شبّهها سيبويه بـ(إن)⁽³⁾ و إنّما شبّهها بـ (إن) لأنّها تتعلق بما قبلها في الكلام كما تتعلق (إن).⁽⁴⁾

و هي عند البلاغيين واو الحال اجتلبت لضمّ جملة. و نظيرها في ذلك فاء الجزاء، فهذه و إن لم تكن عاطفة فإنّ ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة، في أنّها جاءت لتربط جملة بجملة.⁽⁵⁾ فأصل هذه الواو عندهم العطف.⁽⁶⁾

إضافات البلاغيين

قلنا فيما مضى إنّ البلاغيين أفادوا كثيرا من الدّراسات النّحوية في بحوثهم و أعمالهم. و قد تجلّى ذلك بوضوح في كتاباتهم و موعظاتهم. و ليس معنى هذا أنّهم كانوا مجرد ناسخين لأراء غيرهم، بل إنّ لهم و خصوصا رجال المدرسة الأدبيّة، إضافات قيّمة لها مكانتها لو أحسن استغلالها.

فقد فتحوا أبوابا جديدة، و مجالات أرحب في الدّراسات اللغويّة عند العرب. و سنحاول هنا أن تبيّن جانبا من هذه الإضافات، في حدود الظاهرة التي نعالجها.

1-فكرة الجامع: تجاوز البلاغيون فكرة الحكم الإعرابي، أو التّشريك بين المتعاطفات، التي كنّا نقرأها عند النّحاة. فقد وجدناهم يركزون على الجهة الجامعة التي تسوّغ التّعاطف بين الجمل، وخصوصا العارية من الإعراب، فالأمر عندهم أصبح يحتاج "إلى تأمل عميق أو في من أجل

(1) - ينظر: سيبويه، الكتاب 1: 90.

(2) - ينظر: السيوطي، الهمع 1: 247.

(3) - ينظر: سيبويه، المصدر السابق 1: 90.

(4) - ينظر: ابن الشجري، الأمالي الشجرية 2: 277 والسيوطي، المصدر السابق 1: 247.

(5) - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز 152 والزمكاني، التبيان في علم البيان 124.

(6) - ينظر: الزمخشري، الكشاف 2: 53 والسكاكي، مفتاح العلوم 148.

قراءة أثار عقلية أنضح، و أبعد ممّا رسخ في أذهاننا عن فكرة المشاركة".(1)
 فالعطف عند البلاغيين لا يحسن ما لم تكن هناك علاقة معنويّة، أو مناسبة ما
 تجعل المتعاطفين متضامّين في الذهن. فأنت إذا عطفت " على الأوّل شيئاً ليس منه بسبب،
 و لا هو ممّا يذكر بذكره، و يتّصل حديثه بحديثه لم يستقم، فلو قلت : خرجت اليوم من
 داري ثمّ قلت: و أحسن الذي يقول بيت كذا قلت ما يضحك".(2) ، و لذلك عابوا أبا تمام في
 قوله:

صبر، و أنّ أبا الحسين كريم(3) لا و الذي هو عالم أنّ النوى

لأنّه لا مناسبة - في نظرهم - بين " كرم أبي الحسين و مرارة النوى، و لا تعلق لأحدهما
 بالآخر، و ليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك".(4)

ففكرة الجامع أو العلاقة المعنويّة فكرة جديدة أضافها البلاغيون، و ألحوا على ضرورة
 وجودها بين الجمل المتعاطفة. فقد وجدناهم يبيّنون أسباب الجمع بين الجمل التي تبدو
 العلاقة بينها بعيدة لا تستبين لأوّل وهلة. كما في قوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت،
 و إلى السّماء كيف رفعت، و إلى الجبال كيف نصبت، و إلى الأرض كيف سطحت)(5) و (الشّمس
 والقمر بحسبان، و النّجم و الشّجر يسجدان). (6) ، و غير ذلك من الآيات.

2- المعاني النّحوية: من الأمور البارزة في دراسات البلاغيين، و خصوصاً عبد القاهر و
 من لفّ لقه، التّركيز على المعاني الإضافية التي تستفاد من الأحكام النّحوية، و الإبتعاد عن
 البحث في الوظائف النّحوية التي توعيّها الأدوات و الجمل و غيرها. فاهتمامهم بهذه
 الأحكام لا يكون إلا بقدر ما توحيه من معان و ابعاد.

(1) - د. تامر سلوم، نظرية اللغة و الجمال 137.

(2) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 158.

(3) - مرّ في الفصل الأوّل 50.

(4) - الجرجاني، المصدر السابق 158.

(5) - الغاشية : 17-20.

(6) - الرّحمن: 5-6.

و ما النَّظْم عند الإمام عبد القاهر إلا " توحي معاني النَّحو و أحكامه بين الكلمة، و لا يقصد بالنَّحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون، و إنما يريد المعاني الإضافية التي يصورها النَّحو. و بذلك رسم في دلائل الإعجاز طريقا جديدا للبحث النَّحوي تجاوز أواخر الكلمة، و علامات الإعراب، و بيّن أنّ للكلام نظاما، و أنّ رعاية هذا النَّظم، و اتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة و الإفهام.⁽¹⁾

و قد أكّد بعض الدّراسين المحدثين أنّ الطّريق الذي فتحه عبد القاهر في الدّراسات النَّحوية يتماشى مع أحدث ما وصل إليه علم اللسان الحديث في أيامنا من آراء. فما قرّره علماء *Systeme de* اليوم من أنّ اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات (*rapports*⁽²⁾ هو الأساس العام الذي بنى عليه عبد القاهر كلّ تفكيره اللغوي.⁽²⁾

و نحن هنا سنورد نماذج من تحليلات البلاغيين لنبيّن من خلالها كيف فهموا أحكام النَّحو و قوانينه، و كيف أفادوا من ذلك في إبراز المعاني التي توحى بها تلك القواعد، و الأنماط الثابتة التي وضعها النَّحاة.

يقول عبد القاهر عن قول المتنبي:

تهبّني ففاجاني اغتيا لا ñ تولّوا بغتة فكان بيّنا

و سير الدّمع إثرهم انهمالا⁽³⁾ ñ فكان مسير عيسهم ذميلا

يقول: " قوله: فكان مسير عيسهم : معطوف على (تولّوا بغتة) دون ما يليه من قوله (ففاجاني) ، لأنّنا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى ، من حيث أنّه يدخل في معنى (كان)، و ذلك يؤدّي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة ، و يكون متوهّما كما كان تهيبّ البين كذلك ، و هذا أصل كبير. و السبب في ذلك أنّ الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة أخيرا ، و بين المعطوف

(1) - د. محمد مطلوب، القزويني و شروح التلخيص 288.

(2) - ينظر: د. محمد مندور، الميزان الجديد 185 ، مكتبة نهضة مصر و مطبعتها، الفخالة ، مصر، ط 2 . يقول جعفر دكّ الباب: " و هكذا أنّ النظرية اللغوية التي وضعها الإمام عبد القاهر الجرجاني في القرن الحادي عشر الميلادي ، قد جاءت بنفس الأسس التي تقوم عليها نظرية القواعد التحويلية التوليدية ، و أرست كذلك بنفس الأسس التي تقوم عليها النظرية البنوية الوظيفية و تتميز نظرية الجرجاني اللغوية فوق ذلك بأنها تجمع و توحد في نظرية واحدة بين نظرية القواعد التحويلية و التوليدية ، و بين النظرية البنوية الوظيفية . و هذا هو ما تسعى إليه أحدث الدراسات اللغوية في السنوات الأخيرة. " الموجز في شرح دلائل الإعجاز 123.

(3) - مرّ البيتان في الفصل الأوّل. 62.

عليها الأولى ترتبط في معناها بتلك الأولى كالذي ترى أن قوله (فكانَ بينا تهيّبي) مرتبط بقوله (تولّوا بغتة) ، و ذلك أن الثانية مسبب، و الأولى سبب. ألا ترى أن المعنى (تولّوا بغتة فتوهّمت أن بينا تهيّبي) ، و لا شك أن هذا التوهّم كان بسبب أن كان التّولي بغتة. و إذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد، و كان منزلتها منها منزلة المفعول و الظرف و سائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل ممّا لا يمكن إفراده على الجملة، و أن يعتدّ كلاما على حدته.

و هنا شيء آخر دقيق، و هو أنّك إذا نظرت إلى قوله: فكان مسير عيسهم ذميلا: وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه، و لكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطا آخره بأوله. ألا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتة، و على الوجه الذي توهم من أجله أن البين تهيّبه مستدعيا بكاءه ، و موجبا أن ينهمل دمه فلم يعنه أن يذكر ذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع، و أن يوفق بينهما؟. و كذلك الحكم في الأول ، فنحن و إن كنا قلنا إن العطف على (تولّوا بغتة) فإنا لا نعني أن العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده، بل العطف عليه مضموما إليه ما بعده إلى آخره، و إنّما أردنا بقولنا: إن العطف عليه أن نعلمك أنّه الأصل و القاعدة ، و أن نصرّفك عن أن تطرحه، و تجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه فتزعم أن قوله: فكان مسير عيسهم معطوف على (فاجأني) فتقع في الخطأ كالذي أريناك، فأمر العطف إذا موضوع على أنّك تعطف تارة جملة على جملة، تعتمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضا على بعض ، ثمّ تعطف مجموع هذين على تلك.⁽¹⁾ فهو هنا لم ينظر إلى محالّ هذه الجمل من الإعراب ، و إنّما نظر إلى أمر وراء ذلك ، و هو علاقة هذه الجمل بعضها ببعض ، و مدى ما توحى به من إظهار الغرض الذي كان يقصده المتنبّي.

و في قوله تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فتصبح الأرض مخضرة⁽²⁾) يقول الزّمخشري: " فإن قلت هلا قيل : فأصبحت و لمّ صرف إلى لفظ المضارع ، قلت: لنكتة فيه

(1) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 171-172.

(2) - الحجّ: 63.

و هي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان ، كما تقول : أنعم عليّ فلان عام كذا ، فأروح و أغدو شاكرًا له. و لو قلت: فرحت و غدوت لم يقع ذلك الموقع ، فإن قلت: فما له رفع و لم ينصب جوابا للإستفهام ، قلت : لو نصب لأعطى عكس الغرض ، لأن إثبات الاخضرار فينقلب بالنّصب إلى نفي الاخضرار. مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أنّي أنعمت عليك فتشكر ، إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه ، و إن رفعته فأنت مثبت للشكر. (1)

و يقول عن قوله تعالى (و إن يقاتلوكم يولوكم الأديار، ثمّ لا ينصرون) (2): " فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله (ثمّ لا ينصرون)؟ قلت: عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل: ثمّ أخبركم أنّهم لا ينصرون. فإن قلت : فأيّ فرق بين رفعه و جزمه في المعنى؟ قلت: لو جزم لكان نفي النّصر مقيّدًا بمقاتلتهم كتولية الأديار، و حين رفع كان نفي النّصر مطلقًا ، كأنه قال : ثمّ شأنهم و قصّتهم التي أخبركم عنها، و أبشركم بها بعد التّولي أنّهم مخذولون منتف عنهم النّصر و القوّة ، لا ينهضون بعدها بجناح و لا يستقيم لهم أمر. (3)

أمّا ابن الأثير فإنه استعان بمعنى الفاء ليحكم على مسألة ظهر فيها اختلاف بين المفسرين، يقول : " و ممّا جاء من ذلك أيضا قوله تعالى في قصّة مريم و عيسى عليهما السّلام (فحملته فانتبذت به مكانا قصيًّا، فأجاءها المخاض إلى جذع النّخلة ، قالت يا ليتني مت قبل هذا، و كنت نسبيًا منسيًّا.) (4)، و في هذه الآية دليل على أنّ حملها به و وضعها إياه كانا متقاربين، لأنّه عطف الحمل و الإنتباز إلى المكان الذي مضت إليه، و المخاض الذي هو الطلق بالفاء ، و هي للفور، و لو كانت كغيرها من النّساء لعطف بثمّ التي للتراخي و المهلة. ألا ترى أنّه قد جاء في الأخرى (قتل الإنسان ما أكفره ، من أيّ شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثمّ السّبيل يسره.) (5)، فلمّا كان بين تقديره في البطن ، و إخراجها منه مدّة متراخية عطف ذلك بثمّ، و هذا بخلاف قصّة

(1) - الزمخشري، الكتّاف 3: 38-39.

(2) - آل عمران: 111.

(3) - الزمخشري، المصدر السابق 1: 210.

(4) - مريم: 22-23.

(5) - عبس: 17-22.

مريم عليها السلام ، فإنها عطفت بالفاء . و قد اختلف الناس في مدّة حملها، فقيل أنه كان كحمل غيرها من النساء، و قيل لا بل مدة ثلاثة أيام ، و قيل أقل و قيل أكثر ، و هذه الآية مزيلة للخلاف، لأنها دلت صريحا على أنّ الحمل و الوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، و ربّما كان ذلك في يوم واحد أو أقلّ ، أخذا بما دلت عليه الآية.(1)

و كان يقول، في أثناء دراسته للحروف العاطفة، إنّ ذلك موضع لطيف المأخذ " دقيق المغزى، و ما رأيت أحدا من علماء هذه الصنّاعة تعرّض إليه و لا ذكره، و ما أقول إنّهم لم يعرفوه ، فإنّ هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى، لأنّه مذكور في كتب العربيّة جميعها، و لست أعني بإيراده هنا ما يذكره النّحويون من أنّ الحروف العاطفة تتبع المعطوف المعطوف عليه في الإعراب... بل أمرا وراء ذلك، و إنّ كان المرجع فيه إلى الأصل النّحوي."(2)

و من ههنا وجدناه يدرس معاني الحروف داخل سياقاتها ، ليكشف عمّا توعديه من معنى ضمن النّص الذي ترد فيه. كلّ ذلك من خلال علاقاتها بباقي الوحدات التي تتشكل منها الجملة أو العبارة.

و نحن حينما نقول إنّ البلاغيين قد ذهبوا هذا المذهب في دراساتهم لا نعني أنّ النّحاة أهملوا دراسة المعنى ، لأننا نعتقد أنّ الأحكام و القوانين التي وضعها النّحويون قائمة كلها على أساس من النّظر في المعنى ، و لكن اهتمامهم بالجوانب الوظيفيّة ، و ما يتبع ذلك من أعمال و تعليق و رفع و نصب و غير ذلك ، هو الذي طغى على بحوثهم و دراساتهم ، و هو الذي يحجب عن الدّارس - في نظري - إشاراتهم إلى المعاني.

(1) - ابن الأثير، المثل السائر 2: 51.

(2) - المصدر السابق 2: 50.

و هناك أمر آخر يجب الإنتباه إليه، هو أنّ طبيعة الدّراسة لا بدّ أن تختلف من علم إلى علم. فالنحو - في مختلف اللّغات - يهتم بالمفاهيم و الأحكام و القواعد و الصّيغ و صحتّها ، أمّا البلاغة فتهتمّ بالتشكيل الأدبيّ، و التلوينات التعبيريّة ، و الأساليب القادرة على إقناع القارئ و امتاعه و شدّ اهتمامه، و تحريك خياله، و من تمّ الثّأثير فيه.⁽¹⁾ ومن هنا لا نقتنع بما ذهب إليه بعض الدّارسين المحدثين من أنّ علم المعاني هو قمّة الدّراسة النّحوية و فلسفتها، وأنّ علماء المعاني هم النّحاة الحقيقيّون.⁽²⁾ لأنّ البلاغة في حقيقتها فنّ يعني بالجمال، أمّا النحو فعلم يهتمّ بالتّظير و التّعيد.⁽³⁾

3- النّواحي الجماليّة: عني البلاغيون في أبحاثهم بالنّواحي الجماليّة التي تتصل في الغالب بالمعنى العامّ الذي توحى به العبارة أو النّص. فقد وجدناهم يشيرون إلى مواطن الجمال و الحسن الذي يشي به تشكيل معيّن، أو تركيب ما في جملة، أو جمل ذات إتصال معنوي وثيق.

و كانوا يركزون في أحكامهم الجماليّة على معطيات النّحو . فالجمال عندهم، و خصوصا عبد القاهر، يقاس بمدى احترام المؤلّف لقوانين النّحو و توحى أحكامه. فأنّه ما وصف " بصحة نظم أو فساد ، أو وصف بمزيّة و فضل فيه إلا و أنت تجد مرجع تلك الصّحة. و ذلك الفساد، و تلك المزيّة ، و ذلك الفضل إلى معاني النّحو و أحكامه، و وجدته يدخل في أصل من أصوله ، و يتصل بباب من أبوابه."⁽⁴⁾

فالجمال عند عبد القاهر يرتبط بالنّظم لا يبرحه حتى إته جعله أساس إعجاز القرآن الكريم.⁽⁵⁾ ففي أبيات البحريّ التّالية:

(1) - La Stylistique, Pierre quiraud, P 11, Edition que Sais-je ?, Prose Universitaire De France, - (1)
Paris 1954

(2) - ينظر: د. تمام حسان، اللّغة العربيّة معناها و مبناها 18 و في النّحو العربي: نقد و توجيه 29.

(3) - La Stylistique 23

(4) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 63.

(5) - ينظر: المصدر السابق، 354-355.

ت عزما و شيكا، و رأيا صليبا \tilde{n} هو المرء أبدت له الحادثاً
 سماحا مرجى، و بأسا مهيباً¹ \tilde{n} تنقل في خلقي سوءدد
 و كالبحر إن جنّته مستثيبا \tilde{n} فكالسيف إن جنّته صارخا

يقول: " فإذا رأيتها قد رافتك، و كثرت عندك، و وجدت لها اهتزازا في نفسك، فعد فأنظر في السبب، و استقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أنّ ليس إلا أنه قدّم و أخّر، و عرف و نكر، و حذف و أضمر، و أعاد و كرّر، و توخّى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو، فأصاب في ذلك كله، ثمّ لطف موضع صوابه، و أتى مأتى يوجب الفضيلة. أفلا ترى أنّ أوّل شيء يروك منها قوله: هو المرء أبدت له الحادثات ، ثمّ قوله: تنقل في خلقي سوءدد، بتكرير السوءدد و إضافة الخلقين إليه. ثمّ قوله: فكالسيف ، و عطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ، لأنّ المعنى : لا محالة فهو كالسيف. ثمّ تكريره الكاف في (و كالبحر)، ثمّ أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم، ان اخرج من كل واحد من الشرطين حا لا على مثال ما اخرج من الاخر ، وذلك قوله (صارخا) هناك (و مستثيبا) ههنا . لا ترى حسنا تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عددت، أو ما هو في حكم ما عددت. فاعرف ذلك."²

و نحن هنا نسوق نماذج من أقول بعض البلاغيين وقفنا عليها في ثنايا كتبهم. يقول عبد القاهر، في أثناء حديثه عن الجملة الحالية: " و ممّا ينبغي أن يراعى في هذا الباب أنّك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو، و يحسن ذلك، ثمّ تنتظر فتري ذلك إنّما حسن من أجل حرف دخل عليها، مثاله قول القرزديق:

بني حوالى الأسود الحوارد³ \tilde{n} فقلت عسى أن تبصريني كأنما

فقوله (كأنما بّني) إلى آخره في موضع الحال من غير شبهة، و لو أنّك تركت (كأن) فقلت: عسى أن تبصريني بني حوالى كالأسود ، رأيت لا يحسن حسنه الآن، و رأيت الكلام يقتضي

(1) - البحرى، الديوان. 1: 151.

(2) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 65 و ينظر : أيضا حديثه في الصفحة 66.

(3) - الفرزدق، الديوان 1: 172.

الواو كقولك: عسى أن تبصريني، و بني حوالي كالأسود الحوا رد. و شبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بعقب مفرد فلفظ مكانها ، و لو أنك أردت أن تجعلها من غير أن يتقدمها ذلك المفرد لم يحسن. مثال ذلك قول ابن الرومي:

برداك تبجيل و تعظيم¹ و الله يبيئك لنا سالما

فقوله: برداك تبجيل في موضع حال ثانية، و لو أنك أسقطت (سالما) من البيت فقلت: و الله يبيئك برداك تبجيل ، لم يكن شيئاً.²

و يقول في موضع آخر: " و ممّا يجيء بالواو في الأكثر الأشيع ثم يأتي في مواضع بغير الواو فيلطف مكانه، و يدلّ على البلاغة الجملة قد دخلها (ليس)، تقول : أتاني و ليس عليه ثوب، و رأيت و ليس معه غيره. فهذا هو المعروف المستعمل، ثمّ قد جاء بغير الواو فكان من الحسن على ما ترى، و هو قول الأعرابي:

تعرفه الأرسان و الدلاء ñ لنا فتى و حبذا الأفتاء

خلى القلب ليس فيه الماء⁽³⁾ " (4) ñ إذا جرى في كفه الرشاء

و يقول ابن أبي الأصبع متحدثا عن حسن النسق: " حسن النسق عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر ، و الأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا، لامعيا مستهجنا. من ذلك أن يكون كلّ بيت إذا أفرد قام تاما بنفسه، و استقلّ معناه بلفظه، و إن ردفه مجاوره صاروا بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما،

(1) - مرّ في الفصل الأوّل. 70

(2) - الجرجاني، دلائل الإعجاز 150-151.

(3) - مرّ البيتان في الفصل الأوّل. 76

(4) - الجرجاني، المصدر السابق 149-150.

و نقص تما مهما و تقسم معنا هما وهما ليسا كذلك بل حالهما في تمام المعنى و كمال الحسن مع الانفراد و الافتراق كحالهما مع الائتنام و الاجتماع⁽¹⁾

و قد مثل لذلك بقوله تعالى (و قيل يا أرض ابلعي ماءك ، و يا سماء اقلعي، و غيضي الماء، وقضى الأمر ، و استوت على الجودي، و قيل بعدا للقوم الظالمين.)⁽²⁾، يقول: " فأنت ترى إتيان هذه الجمل معطوفا على بعضها على بعض بعض بواو النسق ، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ، لأنه سبحانه بدأ بالأهم، إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها و لا يحصل ذلك الانحسار الماء عن الأرض ، فلذلك بدا بالأرض فأمرها بالابتلاع، ثم علم عز وجل أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها من الماء، و لم تنقطع مادة السماء تأدى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها، و ربما كان ما ينزل من السماء مخلفا لما تبتلعه الأرض من الماء، فلا يحصل الإنحسار . فأمر سبحانه السماء بالإفلاق ثم اخبر بغيض الماء عندما ذهب ماء الأرض، و انقطعت مادة السماء. ومقتضى الترتيب أن تأتي هذه الأخبار ثالث الجملتين المتقدمتين. ثم قال سبحانه (و قضي الأمر) ، أي هلك من جفّ القلم بهلاكه ، و نجا من سبق العلم بنجاته. و هذا كنه الآية و حقيقة المعجزة ، و لا بدّ أن تكون معلومة لأهل السفينة ، و لا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها، و خروجهم موقوف على ما تقدّم ، فلذلك اقتضت البلاغة مجيء هذه الجملة رابعة الجمل. وكذلك استقرار السفينة على الجودي: أي استقرارها على المكان الذي استقرت عليه استقرارا لا حركة معه لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها. و ذلك يقتضي أن تكون بعد كل ما ذكرناه، و عدل عن لفظة استقرت إلى لفظه استوت لما يحتمله الإستقرار من الزيغ والميل، و يدلّ عليه

(1) - ابن أبي الأصبغ المصري، بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر بالجمالة، ط 1، 1957.

(2) - هود: 44.

الاستواء من عدم ذلك. و في هذا طمأنينة أهل السّقينة و أمنهم من المخافة، إذ لو كان استقرارها استقرارا لا توأم مع الحركة لكانت حالهم في مكابدة الحركة، واضطراب القلوب لأجلها واحدة في حال سيرها و وقوفها، و لم يحصل لهم الانتقال من أذى الحركة و تعبهم بها إلى دعة السّكون، و قوله تعالى (و قيل بعدا للقوم الظالمين) ، و هذا دعاء أوجب الاحتراس ممّن يظنّ أنّ الغرق لشموله الأرض ربّما هلك به من لا يستحق الهلاك، فدعا سبحانه على الهالكين و وصفهم بالظلم ليعلم أنّ الهلاك إنّما شمل من يستحق العذاب احتراسا من هذا الاحتمال، و ذلك يقتضي أن يكون مجيء هذه الجملة بعد جميع ما تقدّم ، و الله أعلم.

فانظر إلى حسن هذا النسق و صحة هذا الترتيب المعطوف بعضها على بعض لتعلم قدر هذا النظم ، و الله اعلم.⁽¹⁾

و قد كان عبد القاهر الجرجانيّ كثيرا ما يشير إلى مواطن الحسن دون أن يعلّل ذلك ، كأن يقول: و من الحسن البينّ ، أو من اللطيف في ذلك.⁽²⁾

(1) - ابن أبي الأصبع المصريّ ،بديع القرآن 164-165 و ينظر أيضا: ابن قيم، الفوائد 191-192.

(2) - ينظر: الجرجاني،دلائل الاعجاز. الصّفات : 148 و 149 و 168 و غيرها.

التطبيق:

أقف ههنا أمام مستوى معين من اللغة العربية لا نظر إلى أي مدى وفق البلاغيين والنحاة في إرساء قواعد هذا النظام و أحكامه ، و لأبين من ثم ما اعتقد انه من صميم الفصل و الوصل بين الجمل . إلا أن البلاغيين أغفلوه و لم يذكروه ضمن المواطن التي حددها لهذا النظام.

الفصل و الوصل عند البلاغيين

مواطن الفصل بين الجمل:

إن أغلب المواضع التي حددها البلاغيون للفصل بين الجمل اطردت معنا ، إلا أنها تفاوتت في ذلك ، من حيث القلة و الكثرة و سنتتبع ذلك سائرين على الترتيب نفسه الذي وضعناه في الدراسة النظرية.

1-القطع: ميز البلاغيون، مثلما بينا بين نوعين من القطع أما الأول و هو الذي سموه بالقطع للوجوب. وهو أن تكون للجملة الأولى حكم ولم يقصد إعطاؤه للجملة الثانية.⁽¹⁾ و مثاله قوله تعالى: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين).⁽²⁾ إننا إذا تأملنا الآيتين نجد أن جملة (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) في محل نصب مفعول به لقلتم أما جملة يعظكم الله فليست كذلك لأنها ليست من مقولهم و لهذا فصلت عنها لا ختلاف حكمها.

(1) -ينظر: القزويني، التلخيص 179 والإيضاح 1110

و مما يقطع للوجوب قوله تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا و قالوا هذا إفك مبين لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء.)⁽¹⁾ فجملة (هذا افك مبين) مفعول به في محل نصب ل قالوا أما جملة (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) فهي مستأنفة و لا تدخل في حكم سابقتها.

أما النوع الثاني من القطع و هو الذي سموه بالقطع للاحتياط، فإذا أدى عطف جملة على جملة أخرى إلى غموض أو معنى غير مراد يترك الوصل الذي هو العطف بالواو ، و يلجأ إلى الفصل الذي هو ترك العطف و يحدث القطع للاحتياط في الجملة الاسمية المنسوخة بنا سخ ناصب لمفعولين أصلهما مبتدأ و خبر و النواسخ الفعلية التي تدخل على الجملة الاسمية فإذا كانت أخبارها جملا أدى ذلك إلى تجاوز ثلاثة جمل هي جملة الناسخ و جملة الخبر و الجملة المراد عطفها على جملة الناسخ فيتم فصلها عن الجملة القريبة منها دفعا للإيهام والالتباس. و نحن في حدود السورة التي قراناها لم نجد شاهدا يمكن إدراجه ضمنه هذا النوع .

(1)- النور-12-13

الاستئناف

لعل الاستئناف كان أكثر أقسام الفصل بين الجمل ترددا في النصوص إذ مرت بنا شواهد كثيرة ، من ذلك قوله تعالى (و الله يشهد أن المنافقين لكاذبون اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله.)⁽¹⁾ فجملة (اتخذوا إيمانهم جنة) وقعت جوابا لسؤال سائل يفهم من فحوى الجملة قبلها فكأنه قال لم شهد الله عليهم بالكذب فقليل لعلمه أنهم اتخذوا إيمانهم جنة أما في سورة النور فيمكن الاستشهاد بقوله تعالى (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينان لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما.)⁽²⁾ فقد أوحى الله تعالى إلى رسوله سورة و أنزلها عليه و فرض أحكامها ، و هذا ما عرفناه في قوله (سورة أنزلناها و فرضناها) الأمر الذي يحرك السامع أن يسأل وما هي و ما أحكامها التي فرضت؟ فقال (الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)...و كذلك قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين.)⁽³⁾ فهذه الآية جاءت جوابا على السؤال نفسه الذي تضمنته الآية الأولى كما أوضحنا في سابقتها.

و من ذلك أيضا قوله (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم.)⁽⁴⁾ فجملة (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) مستأنفة جاءت جوابا لسؤال سائل نفهمه من مضمون الجملة التي سبقتها إذ حسب المومنون أنهم آمنون بما اتهموا به عائشة رضي الله عنها في حادثة

(1)-المنا ففون 25-29

(2)-النور 01

(3)-النور 03

الافك و إن كان الخائضون في الحديث عصبية منهم كما أشار في قوله (إن الذين جاؤا بالا فك عصبية منكم) أي ليس كل المومنين ثم قال (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) ففي هذا ما يدعو إلى أن يسأل و كيف ذلك؟ فاجاب (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) فالله تعالى يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبية من الإثم على مقدار خوضه.⁽¹⁾

و مما يدخل ضمن السؤال و الجواب قوله تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال)⁽²⁾. و كأن سائلا قال من يسبح له؟ فقل يسبح له رجال أوهم رجال و هنا حذف صدر الاستئناف كما بينا في الفصل الأول.⁽³⁾

-كمال الاتصال: نقف ههنا مع الجمل التي تأتي بيانا أو بدلا أو توكيدا لجمل تسبقها فتفصل عنها و من ذلك قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة و رزق كريم)⁽⁴⁾ فجملة (أولئك مبرؤون) و (لهم مغفرة و رزق كريم) جاءتا تأكيدا و تقريرا للجمل قبلها و قوله (و الله يخلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه و منهم من يمشي على رجلين و منهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)⁽⁵⁾ فقد فصلت جملة (يخلق الله ما يشاء) وجملة (إن الله على كل شيء قدير) عن سابقتها و في ذلك زيادة في التقرير و التثبيت انه تعالى القادر الخلاق.

(1) - ينظر: الزمخشري، الكشاف تفسير سورة النور

(2) - النور 36

(3) - مرفي الفصل الاول

(4) - النور 26

(5) - النور 44

ومن ذلك أيضا قوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق).⁽¹⁾ و في ها تين الآيتين فصلت الجملة (يومئذ يوفيهم الله دينهم). عن التي قبلها و في فصلها تحقيق و توكيد من الله على اليوم الموعود إذ توعدهم و لعنهم في الدنيا و الآخرة فحقت عليهم لعنته.

-كمال الانقطاع: ذكر البلاغيون أن من أسباب الفصل بين الجمل ما سموه كما ل الانقطاع و ميزوا في ذلك بين قسمين : أن تختلف الجملتان خبرا و إنشاء لفظا أو معنى فقط أو أن لا يكون بينهما جامع أو مناسبة.

1- اختلاف الجملتين خبرا و إنشاء: مما يوجب الفصل بين الجمل اختلاف الجملتين خبرا و إنشاء و من ذلك قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالافك عصابة منكم لا تحسبوه شرا لكم).⁽²⁾ فقوله (لا تحسبوه شرا لكم) إنشاء معنى و لفظا و قوله (إن الذين جاؤا بالافك عصابة منكم) خبر و لذلك فصلت الجملتان.

و قد تختلف الجملتان معنى و ذلك ان تكون أحدهما تتضمن معنى الإنشاء ولسنا نجد شاهدا في حدود السورة فنسجله.

(1)- النور 24-25

(2)- النور 11

2- انعدام المناسبة: إن من أسباب الفصل بين الجمل أن تقطع الجملة عما قبلها حينما لا يكون بينهما مناسبة تجمعهما في الذهن.⁽¹⁾

و لا ينبغي أن نفهم من كلام البلاغيين أن الانفصال بين الجمل يعني الانقطاع الكلي بينهما في المعنى لأننا نعتقد أن النص أي نص وحدة متكاملة.

و قد احترز السكاكي ههنا إذ ذكر بشأن القطع أنك قد تكون " في حديث و يقع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه و بين ما أنت فيه بوجه أو بينهما جامع غير ملتفت إليه لبعد مقامك عنه و يدعوك إلى ذكره داع فتورده في الذكر مفصولاً".⁽²⁾

فليس في كلامه ما يوحي إلى أن الانقطاع بين الحديثين في المعنى أيضا لان الداعي الذي يدعو إلى حديث جديد لا بد أن يكون بسبب من الحديث الأول بأي حال ومن هاهنا فنحن نعتقد بما نسميه بالوصل السياقي أو بالوصل العام بمعنى أن الجمل و إن تواردت أحيانا مفصولة بعضها عن بعض في فقرة أو نص فإنها متصلة المعاني متشابكة القصد.⁽³⁾

فمما قطع فيه الحديث عما قبله قوله تعالى: (يأيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون).⁽⁴⁾ لان ما قبله سيق للحديث

(1)- ينظر: الزمخشري، الكشاف 1:25 والسكاكي، مفتاح العلوم 173 و 146

(2)- ينظر: مالسكاكي، المصدر السابق 146

(3)- ينظر: عباس محمود العقاد. مراجعات في الادب و الفنون 83-84 دار الكتاب العربي. ط1. بيروت 1966م

(4)- النور 27

عن الخبيثات والخبيثين أنهم بعضهم لبعض واما الطيبات فيتعرض لهن الطيبون وهم مبرؤون من كل ما يقوله عنهم الخبيثون و انه لهم مغفرة و يرزقهم الله من كريم رزقه أما هذا الحديث فموجه إلى المومنين ليعلمهم آداب الدخول إلى البيوت.

و من ذلك قوله تعالى (الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسه نار).⁽¹⁾ فالأول حديث عن النكاح و بعض أحكامه و فيه ينهى الله تعالى عن إكراه الفتيات على البغاء كما كان يفعل أهل الجاهلية فالملاحظ انه لامنا سبة بين هذا الكلام و بين ما سبقه.

و قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم و الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر و حين تضعون ثيابكم من الظهيرة و من بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم).⁽²⁾

فكل ما سبق هذا الكلام حديث عن الذين امنوا و الذين كفروا و ما يلاقيه كل فريق أما هذا فهو خطاب موجه إلى الذين امنوا من النساء و الرجال يعلمهم آداب الاستئذان.

(1)-النور 35

(2)- النور 5

مواطن الوصل بين الجمل

نقف ههنا مع مواطن الوصل التي حددها البلاغيون لنحاول أن نتبين مدى سيرورة ذلك في النص الذي استقريناه.

1- عطف الإنشاء على الإنشاء و الخبر على الخبر :

إن عطف الإنشاء على الإنشاء أو الخبر على الخبر من المسائل التي اطرقت بشكل ملفت و يمكن أن نلمس ذلك في أي نص من نصوص العربية و لعل السر في ذلك أن المبدع يميل في تأليف كلامه إلى جعله متألفا منسجما يجمع جملة و فقره أسلوب واحد و لون واحد معين من ألوان التعبير.

2- الوصل لدفع الإبهام:

ساق القر ويني عن هذا النوع من العطف مثلا واحدا لا غير هو قولهم (لا ،أيدك الله) و لم نعثر في حدود القسم الذي شمله التطبيق على شاهد واحد يمكن أن ندرجه هنا و هو الأمر الذي دعانا إلى القول بان يمكن العدول عن هذا النوع من الوصل إذ أن الالتباس الذي قد يعتري السامع من قو لنا :لا أيدك الله.(1) نستطيع أن ندفعه بقرائن أخرى غير الوصل كالكسوت قليلا بعد قو لنا لا و هو ما سماه تمام حسان بقرينة التنعيم.(2) ، و يكون ذلك في النطق. أما الكتابة فبإحدى علامات الترقيم أو عن طريق التقديم و التأخير كان يقال :أيدك الله لا.(3) و فضلا عن ذلك فان الأحكام التي توضع بناء على شاهد واحد تجعلنا لا نقتنع خصوصا إذا كان الشاهد مصنوعا.

(1)- ينظر: الجاحظ البيان و التبيين ،قصة ال اعرابي 1:261

(2) ينظر: تمام، حسان. اللغة العربية نعناها ومبناها. 266 و ما بعدها

(3) ينظر: التنوخي، تهذيب ال ايضاح 3

3- عطف جملة على جملة و بينهما جملة أو أكثر :

لقد مرت بنا شواهد عديدة بخصوص ما ذكره عبد القاهر أن الجملة قد تعطف على جملة و بينهما جملة أو أكثر من ذلك قوله تعالى: (و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة فان الله غفور رحيم و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة احدهم أربع شهادات بالله).⁽¹⁾ فجملة (و الذين يرمون أزواجهم) معطوفة على (والذين يرمون المحصنات) دون ما يليها و قوله (و انكحوا الايمى منكم والصالحين من عبادكم و إمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله و الله واسع عليم و ليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله).⁽²⁾ فجملة (و ليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) معطوفة على (و انكحوا الايمى) دون ما يليها.

و من ذلك قوله تعالى (و عد الله الذين امنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و لبيدأنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).⁽³⁾ فجملة (ومن كفر..). معطوفة على (و عد الله الذين امنوا) الأولى دون ما تلاها.

أساليب أخرى للفصل و الوصل

إن ما يخرج إليه الباحث - بعد قراءة ما كتبه البلاغيون حول الفصل و الوصل بين الجمل و بعد النظر في النصوص العربية الفصيحة- هو الشعور المؤكد بان البلاغيين لم يحصروا في درا ستهم لنظام الفصل و الوصل كل مواطنه.

(1)- النور 6.5.4

(2)- النور 33

و نعتقد أن تركيزهم على أسلوب العطف وخصوصا الواو، ثم، اكتفاء المتأخرين بما كتبه الإمام عبد القاهر في دلائل الإعجاز قد شغلهم عن البحث في أسباب أخرى للوصل بين الجمل أو ترك ذلك فيها و نحن هنا نذكر مواضع أخرى نعتقد أنها من صميم الفصل و الوصل غفل عنها البلاغيون و أهملوها.

1- أسلوب القسم: _ يرد الجواب في القسم مفصولا تارة و موصولا باللام تارة أخرى و في هذا سجلنا شاهدا واحدا هو قوله تعالى: (و اقساموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا).⁽¹⁾ فالجواب هنا جاء موصولا باللام و دخولها لا يكون لإرادة توكيد أمر محقق الوقوع فلسياق و قرائن الأحوال أثر كبير في ثبوت اللام أو سقوطها.

2- الجملة الصفة: تأتي الجملة الصفة في الكلام مفصولة في الغالب عما قبلها ذلك ما لمسناه من الشواهد التي مرت بنا في السورة التي ثم استقرأوها و مرجع ذلك كما نعتقد أن الصفة في الأصل تستغني عما يصلها بالموصوف لمتانة العلاقة بينهما فا نسحب هذا الأمر على الجمل أيضا.

و تكون الجملة الواقعة صفة فعلية أو اسمية فإذا كانت فعلية فإنها لا تخلوا من أن يكون فعلها ما ضيا نحو (سورة انزلناها و فرضناها).⁽²⁾ او مضارعا و هو كثير نحو (رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوما ما تتقلب فيه الا بصار).⁽³⁾ فجملة (انزلناها) و (لا تلهيهم تجارة) و (يخافون يوما و تتقلب فيه الابصار) كلها صفات جاءت جملا فعلية مفصولة عن موصوفها.

ومن ذلك ايضا قوله تعالى (أو كظلمات في بحر لجي يغشيه موج).⁽⁴⁾ و (و الذين كفروا عما لهم كسراب بقية يحسبه الظمان ماء).⁽⁵⁾

(1)- النور 53

(2)- النور 1

(3)- النور 37

(4)- النور 40

(5)- النور 39

و (كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة).⁽¹⁾ و (زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء).⁽²⁾

ومن الجمل الاسمية الواقعة صفة قو له تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح).⁽³⁾ فجملة (فيها مصباح) اسمية في موقع صفة لمشكاة و كذلك قو له بعده (المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب دري).⁽⁴⁾ فجملة (المصباح في زجاجة) اسمية جاءت صفة ل مصباح و جملة (الزجاجة كأنها كوكب دري) صفة ل الزجاجه و من ذلك قو له تعالى (أو كظلمات يغشيها موج من فوقه موج).⁽⁵⁾ و قو له (ومن فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض).⁽⁶⁾

و اللافت للانتباه في الجمل الواقعة صفة أنها إذا تكررت تستغني عن العاطف فتترد مفصولة كما في قو له (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه الا بصار).⁽⁷⁾ فجملة (يخافون)صفة تالية جاءت مفصولة عن الصفة الأولى. و يظهر ذلك أكثر في قو له (الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار).⁽⁸⁾

(1)-النور 35

(2)-النور 35

(3)-النور 35

(4)-النور 35

(5)-النور 40

(6)-النور 40

(7)-النور 37

(8)-النور 35

قد: إن قد حينما لا تكون الجملة بعدها في موقع حال يرد الكلام بها مفصو لا عما قبله نحو (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا).⁽¹⁾ و (ألا إن الله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه و يوم ير جعون إليه).⁽²⁾

لام الربط: إن اللام التي تتصل بالمضارع المنصوب تأتي في الكلام لتصل جملة بجملة أخرى نحو (و لا تكهوا فتيتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا).⁽³⁾ و (لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن).⁽⁴⁾

فهناك جملتان مو صولتان باللام لتفيد معنى معيناً و لولا هذه اللام لما أفيد بالكلام الغرض الذي يراد إبلاغه للمستمع.

3- الاستفهام: قد ترد الجملة مفصولة أيضاً حينما تكون واردة على سبيل الاستفهام الإنكاري نحو (ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض).⁽⁵⁾ و (و الله ملك السموات والأرض و إلى الله المصير ألم تر أن الله يجزي سحاً با ثم يؤلف بينه).⁽⁶⁾ و (و إن يكن لهم الحق مالوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا).⁽⁷⁾

4- لفظ قل: يمكن أن نضيف ههنا لفظ قل بصيغة الأمر إذ و رد في الشواهد التي صادفنا مفصولة به الجملة عما قبلها نحو (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم و الله يعلم ما

(1) - النور 63

(2) - النور 64

(3) - النور 33

(4) - النور 35

(5) - النور 41

(6) - النور 42-43

(7) - النور 49-50

ما تبون و ما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم⁽¹⁾. و قوله (و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)⁽²⁾..

الفصل و الوصل عند النحاة

أسلوب العطف :

سنتناول هنا أدوات العطف ، و نرجئ الحديث عن التنا سب بين الجمل المتعاطفة إلى حين تعرضنا لها ضمن القسم الذي سنخصصه للمسا ئل المشتركة بين البلاغيين و النحاة. إن أول ما ينبغي أن نسجله في بداية حديثنا عن أدوات العطف هو تفاوت هذه الحروف و رودا في النصوص فمنها ما الحاجة ما سة إليه باستمرار كالواو و الفاء و منها ما لا يستدعيه الحديث إلا قليلا كـ كي مثلا.

لقد وجدنا أن الواو مثلما ذكر النحاة⁽³⁾ أكثر أدوات العطف دورا في آيات السورة تليها الفاء ثم أو ثم تأتي بقية الحروف لكن بدرجة أقل بكثير منها .

فقد وردت الواو أكثر من مئة و عشرين مرة ووردت الفاء أكثر من ثلاثين مرة تليها بقية الحروف و ذلك في السورة التي شملها التطبيق.

(1) -النور 30

(2) -النور 53-54

(3) - ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل 8:90 والمالقي، رصف المباني 410 والمرادي، الجنى الداني 158

ونعتقد أن السر في ذلك هو كون الواو و الفاء خفيفتين غير مركبتين و تتشكلان من مقطع و احد قصير و فوق ذلك فان الحاجة ماسة في اللغة إلى الجمع و الربط أكثر من الإباحة أو الترتيب أو التسوية و غير ذلك. ومن هاهنا أعطيت اغلب المعاني الواردة في اللغة لا خف الحروف.

و نحن ههنا سنعرض للأدوات التي و قع فيها جدل و نترك ما عداها إذ لا حاجة إلى منا قشة ما شمله الاتفاق.

1-أو: رأينا في القسم النظري أن أو من حروف العطف التي كثر الخلاف بين النحاة في تحديد معانيها ودلالاتها فقد و صلت معانيها إلى ثلاثة عشر معنى عند بعضهم و حصرها بعضهم في ثلاثة معان هي الشك و التخيير و الإباحة.

و الحق أن الفروق بين هذه المعاني غير مضبوطة و لا محدودة بالقدر الذي تتيح للدارس أن يضع الشاهد الذي يصادفه ضمن و احد من هذه المعاني باطمئنان دون أن يرد في خاطره معنى آخر.

و المحقق في أو كما نعتقد أنها موضوعة لا حد الشئيين أو الأشياء أين كانت و كيف تصرفت.⁽¹⁾ أما المعاني التي تخرج إليها فتستفاد من السياق و قرائنه لا منها.

فالإباحة و التخيير مثلا مستفادان من قرائن الأحوال لا من (أو) و حدها إذ لا فرق بين قولنا جالس الحسن أو ابن سيرين و قولنا : كل السمك أو اشرب اللبن من ناحية التركيب فلو لا القرائن المعنوية التي انضمت إلى (أو) من جهة المعنى لما قلنا إن أو في المثال الأول للإباحة و في الثاني للتخيير.⁽²⁾ و كذلك بقية المعاني الأخرى.

(1)- ينظر: ابن جني، الخصائص 2:457

(2)- ينظر: المصدر السابق 1:348

فورود أو لأحد الشئيين أو الأشياء هو ما وضعت له وقد لمسنا ذلك من خلال ما مر بنا من الشواهد نحو قوله تعالى (إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها).⁽¹⁾

الإباحة: نجد ذلك في قوله تعالى (و لا يبد بين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت أيماهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل).⁽²⁾ وكذلك قوله تعالى (ليس عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا).⁽³⁾

الجمع المطلق: تأخذ (أو) أحيانا معنى الجمع المطلق و هو معنى الواو و يمكن أن ندرج ضمن هذا قوله تعالى (و لا على أنفسكم أن تؤكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحه أو صديقكم).⁽⁴⁾ تبين النوع: و ذلك في قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشرقة و الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك).⁽⁵⁾

2-بل: ذكر أن بل إذا وليتها جملة تكون حرف عطف.⁽⁶⁾ و قيل إنها تكون حرف ابتداء حيناً و حرف عطف حيناً آخر.⁽⁷⁾ وقيل هي حرف ابتداء لا غير و المؤكد في رأينا أنها في كل الأحوال تصل بين الجمل لإفادة معنى الإضراب فتكون لكلام واحدا في كلام غيره.⁽⁸⁾

(1)- الطلاق 61

(2)-النور 31

(3)-النور 61

(4)-النور 61

(5)-النور 03

(6)-ينظر: المرادي، الجنى الداني 236

(7)- الما لقي، رصف المباني 150

(8)- ينظر: سيويه، الكتاب 1:191 وابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن 408

و قد يكون ما بعدها مثلما ذكر النحاة إبطالا للكلام الأول تماما و مثال ذلك من سورة النور (إن الذين جاؤا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم).⁽¹⁾ وكذلك قوله تعالى (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله بل او لئنك هم الظالمون).⁽²⁾

3- ثم: ان اشواهد التي و قفنا عليها و صلت فيها ثم بين جملتين أو اكثر و كانت مرتبة في الزمن خصوصا و من ذلك قوله تعالى (الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما).⁽³⁾ و قوله (و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة).⁽⁴⁾ و قوله (يقولون امنا بالله و بالرسول و اطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك).⁽⁵⁾

4- حتى: تكون حتى حرف عطف فتشرك بين المعطوفين لفظا و معنى.⁽⁶⁾ لان معناها في جميع الكلام الغاية و اذا كانت غاية كان ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها.⁽⁷⁾

و عموما فان حتى حرف وصل يربط بين الجمل لا فادة معنى معين و من ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا).⁽⁸⁾ و قوله فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم).⁽⁹⁾

(1) - النور 11

(2) - النور 50

(3) - النور 43

(4) - النور 47

(5) - النور 47

(6) - الميرد، المقتضب 1:38 والمالقي، رصف المباني 181 والمرادي، الجني الداني 546

(7) - الانباري، أبو البركات، أسرار العربية 266

(8) - النور 27

(9) - النور 28

ومن ذلك كذلك (و ليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله).⁽¹⁾ و (و اذا كانوا على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه).⁽²⁾ و (يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا).⁽³⁾

5- الفاء: لم يقع بين النحاة خلاف بخصوص الفاء العاطفة فهي تارة تكون للترتيب و تارة للتعقيب و تارة أخرى للسببية.⁽⁴⁾ و ينبغي ان نسجل ههنا أن معظم الشواهد التي وقعت فيها الفاء حرف وصل يربط بين الجمل و الفاء في اغلب الأحوال تقع للترتيب أي ان ما يليها يكون من حيث الزمن بعد الذي سبقها.

أ- الترتيب و التعقيب: أما الترتيب فهو نوعان كما ذكر احدهما في المعنى أي في الأحداث و هو أن يكون المعطوف بها لا حقا متصلا بلا مهلة و ذلك نحو قوله تعالى (قد يعلم الله ما انتم عليه و يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا و الله بكل شيء عليم).⁽⁵⁾ و الثاني من أنواع الترتيب هو عطف مفصل على مجمل يكون في المعنى.⁽⁶⁾ و هذا النوع قليل جدا بالقياس إلى النوع الأول و على العموم فان الترتيب و التعقيب معنيان لا يفارقان هذا الحرف و الشواهد في هذا كثيرة منها قوله تعالى (حتى اذا جاءه لم يجده شيئا و وجد الله عنده فوفاه حسابه).⁽⁷⁾ و قوله (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه).⁽⁸⁾ و (الم تر أن الله يجزي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء).⁽⁹⁾ فقد بدا بالسوق قبله ثم بالتأليف ثم بالركم فينزل المطر بعد ذلك و نجد أن حرف

(1) - النور 33

(2) - النور 62

(3) - النور 39

(4) - ينظر: المرادي، الجنى الداني 61 وابن هشام، مغني اللبيب 173:1

(5) - النور 64

(6) - ينظر: المرادي، المصدر السابق 64 و ابنهشام، المصدر السابق 173:1

(7) - النور 39

(8) - النور 45

(9) - النور 43

العطف قد تغير لان الفترة من السوق إلى التأليف يأخذ زمنا ومن التأليف إلى نهاية الركن يأخذ زمنا ولكن بعدان ينتهي الركن إلى نزول المطر بدون وجود زمن متطول لذلك كان الفارق في حرفي العطف الفاء و ثم فالفاء أفادت الترتيب مع التعقيب دون تراخ ذلك عكس العاطف ثم .

ب- الفاء الزائدة: ذهب النحاة منهم الاخفش و قطرب إلى أن الفاء قد تكون زائدة في بعض المواضع. (1) وذلك مثل قوله تعالى (و الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) . (2) وقوله (و الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة احدهم أربع شهادات) . (3) و (و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايما نكم فكاتبوهم) . (4) و (و القواعد من النساء التي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح) . (5)

ج- الفاء الرابطة للجواب: تأتي هذه الفاء للربط و الترتيب و تلازمها السببية. (6) و تكون أحيانا فاء للجواب و أحيانا فاء للمجازاة. (7) وهي سواء كانت للجواب أو للمجازاة فان فائدتها الوصل بين جملتين و سنعرض هذه الفاء ضمن أسلوب الشرط و الجزاء .

و قد تأتي لمجرد الربط ليس أكثر نحو قوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا فليحذروا الذين يخالفون عن أمره) . (8)

6- الواو: كانت الواو أكثر حروف العطف دوراناً في النصوص التي وقفنا عليها ذلك أن الحاجة إليها ماسة لكونها لا تفيد سوى الجمع في حين أن بقية الحروف توجب زيادة في المعنى. (9)

(1) - ينظر: ابن فارس، الصحابي 110 و ابن يعيش، شرح المفصل 8:95 والمالقي، رصف المباني 386

(2) -النور 02

(3) -النور 06

(4) - النور 33

(5) -النور 60

(6) - يتظر: ابن يعيش، المصدر السابق 8:95 والمالقي، المصدر السابق 379 والمرادي، الجني الداني 66

(7) - ينظر: الاخفش، معاني القرآن 1: 221-222:

(8) -النور 63

و قد لا حظنا أنها تعطف جملة على جملة لها محل من الإعراب نحو قوله تعالى (سورة أنزلناها و فرضناها و أنزلنا فيها آيات بينات).⁽¹⁾ فجملة و فرضناها معطوفة على جملة (أنزلناها) و هي في موقع صفة لسورة و مثلها قوله تعالى (يأيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهله).⁽²⁾ فجملة (و تسلموا..) معطوفة على جملة (تستأنسوا) و (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق و يعلمون أن الله هو الحق المبين).⁽³⁾ و (في بيوت إذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه).⁽⁴⁾

و قد تعطف الواو جملة على جملة لا محل لها من الإعراب فيكون المراد حينئذ هو الإيدان بحصول مضمونها لا أكثر.⁽⁵⁾ و من ههنا فالتشريك في المعنى غير لا زم إذ أن الجملة الثانية قد تكون منفية لا تدخل في المعنى المستفاد من مضمون الجملة الأولى و من ذلك قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه و منهم من يمشي على رجلين و منهم من يمشي على أربع).⁽⁶⁾ فهذه معطوفة على المستأنفة قبلها (ولا ياتل أولو الفضل منكم و السعة أن يوتوا أولي القربى و المساكين و المهاجرين في سبيل الله و ليعفوا وليصفحوا).⁽⁷⁾ فجملة (وليعفوا) معطوفة على الجملة المستأنفة (و لا ياتل).

وقد رأينا أن بعض المتعاطفات تأتي متلازمة متقدما احدها في كل الأحوال مما قد يوهم ان الواو تفيد الترتيب و ليس الأمر كذلك لان الذي قدم لا اعتبارات أخرى لا دخل فيها للواو.

(1) - النور 01

(2) - النور 27

(3) - النور 25

(4) - النور 36

(5) - ينظر: الزمخشري، المفصل 304 وابن يعيش، شرح المفصل 90:8

ومن ذلك تقديم اسم الله تعالى جل شاناه نحو قوله تعالى (و اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون).⁽¹⁾ وقوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله و يخش الله و يتقاه فاولئك هم المفلحون).⁽²⁾ و (قل اطيعوا الله و اطيعوا الرسول).⁽³⁾ و (انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله).⁽⁴⁾ و (اولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله) .⁽⁵⁾

ومن ذلك تقديم السماء على الارض نحو (الله نور السموات و الارض).⁽⁶⁾ و (الم تر ان الله يسبح له من في السموات و الارض).⁽⁷⁾ و (لله ملك السموات و الارض)⁽⁸⁾ و (الا ان لله ما في السموات و الارض).⁽⁹⁾

ومن ذلك تقديم الايمان على العمل الصالح نحو (وعد الله الذين امنوا و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض).⁽¹⁰⁾

فتقديم اسم الله عز وجل إنما كان لعلو قدره و عظمة سلطانه سبحانه لا اله الا هو اما تقديم السماء على الارض فلان مكانة السماء عند الله ارفع لان فيها عرشه و فيها ملائكته الذين يسبحون بحمده باستمرار و فيها الشمس تضيء الكون و الكواكب التي يهتدي بها الانسان ومنها ينزل الماء الذي جعله الله سر الحياة و بها يتعلق نظر الانسان في حالة اليبس و الجذب و غير ذلك و اما تقديم الايمان على العمل الصالح فلانه لا يوصف عمل بالصالح ما لم يكن مقرونا بالايمان مسبقا به.

(1) - النور 48

(2) - النور 52

(3) - النور 54

(4) - النور 62

(5) - النور 62

(6) - النور 35

(7) - النور 41

(8) - النور 42

أسلوب الاستئناف:

ير تبط الا استئناف عند النحاة كما بينا بالحكم الاعرابي و بتمام المعنى. (1) فالجملة حينما لا تتصل بجملة اخرى من جهة الاعراب تفصل و تستأنف ويكون ذلك بالادوات و بدونها.

فالاستئناف الذي يرد بلا ادوات نحو قوله تعالى (سورة انزلناها وفرضناها و انزلنا فيها آيات بينات لعلمكم تذكرون). (2) فجملة (لعلمكم تذكرون) في موضع استئناف لانه لا يرتبط بما قبلها من جهة الاعراب و قوله (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستا نسوا و تسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلمكم تذكرون). (3) فجملة (ذلكم خير لكم) في موضع استئناف و كذلك جملة (لعلمكم تذكرون) و قوله (يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسه نار نور على نور). (4) فجملة (نور على نور) مقطوعة عما قبلها بتقدير (هو نور على نور) و قوله (واقسموا جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة). (5) فجملة طاعة معروفة مرفوعة على الاستئناف و التقدير هي طاعة معروفة و هناك شواهد في آيات السورة. (6).

و أما لاستئناف الذي يقترن بالادوات فقد لا حظنا ان اقترانه بالواو الفاء هو الاكثر فمما ورد مستأنفا بالفاء قوله تعالى (الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم). (7) و (لولا جاء عليه باربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون). (8) فجملة (فاذا لم يأتوا بالشهداء)

(1)- ينظر: الفراء، معاني القرآن 2:346 و 3:280 والمرادي، الجنى الداني 63 وابن هشام، مغني البيب 427.

(2)- النور 01

(3)- النور 27

(4)- النور 35

(5)- النور 53

(6)- ينظر: النور الايات 2.11.16.17.22.26.28.35...

(7)- النور 5

(8)- النور 13

مستأنفة مقترنة بالحرف. و (قل اطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل).⁽¹⁾ و (إن الذين يستأنفونك أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله فإذا استأنفوك لبعض شأ نهم فاذن لمن شئت).⁽²⁾ و ينبغي ان نشير ههنا الى ان الاستئناف بالفاء ارتبط خصوصا بالفعل المضارع الذي يحتمل النصب و الرفع.

و مما ورد مستأنفا بالواو قوله تعالى (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة و الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك و حرم ذلك على المومنين) .⁽³⁾ و قوله (و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة ابدًا و أولئك هم الفاسقون).⁽⁴⁾ فجملة (و حرم ذلك على المومنين) و (و أولئك هم الفاسقون) مستأنفة بالواو و قوله (و من يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء و المنكر و لولا فضل الله عليكم ما زكى منكم من احد و لكن الله يزكى من يشاء و الله واسع عليم) .⁽⁵⁾ فجملة (و لولا فضل الله عليكم ...) و (و الله واسع عليم) وردت مستأنفة بالواو و كذا قوله (و ليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتى يغنيهم الله من فضله و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايما نكم).⁽⁶⁾ فجملة (و الذين يبتغون الكتاب) مستأنفة بالواو و هناك شواهد اخرى.

و نذكر ههنا ان تسمية هذه الحروف بادوات الاستئناف لا يمنع من ان تكون مستعملة لضم جملة الى جملة كما قال عبد القاهر عن واو الحال.⁽⁷⁾ و الظاهر في هذه الادوات كما قيل

(1)-النور 54

(2)-النور 62

(3)-النور 03

(4)-النور 04

(5)-النور 21

(6)-النور 33

(7)- ينظر: الجرجاني، دلائل الاعجاز 15

أنها ترجع في التحقيق الى العطف لان القصد من الإتيان بها هو ربط الجمل.⁽¹⁾

أسلوب الشرط والجزاء

مواضع الوصل:

لقد لا حظنا ان جميع المواضع التي حددها النحاة للوصل و الفصل بين الشرط وجزائه مضبوطة و لم يخرج شاهد واحد من الشواهد التي وقفنا عليها عن القواعد التي وضعوها و يمكن تبين ذلك من خلال ما حصرناه من امثلة من سورة السورة منها قوله تعالى (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء و المنكر).⁽²⁾ و (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).⁽³⁾ و (من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتبعه فاولئك هم الفائزون).⁽⁴⁾ و (فان تولوا فانما عليه ما حمل)⁽⁵⁾ فالملحوظ ان الفاء قد وصلت بين الشرط و الجزاء وجاء الجزاء جملة اسمية و قد ياتي الجواب جملة فعلية فعلها ما ض او مضارع مصدر بلن او ما و سوف و السين او ان يكون الجزاء جملة طلبية مثل (فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها).⁽⁶⁾ و (ان قيل لكم ارجعوا فارجعوا)⁽⁷⁾.

(1)- ينظر: المرادي، الجنى الداني 76 و 163 وابن هشام، مغني اللبيب 1:182

(2)-النور 21

(3)-النور 42

(4)-النور 52

(5)-النور 54

(6)-النور 28

(7)-النور 28

و هناك ادوات اخرى تفيد معنى الشرط و تقتضي جملتين منها اذا و اما ولما و لو ولولا ولوما ومن ذلك قوله (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت).⁽¹⁾ و (اذا بلغ الاطفال منكم الحلم فاليستا ذنوا).⁽²⁾ و نرى هنا اقتران الجواب بالفاء و هو جملة فعلية طلبية و قد يكون الجواب جملة اسمية مقترنة باذا الفجائية مثل قوله تعالى (و اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون).⁽³⁾ و من امثلة لولا قوله (و لو لا فضل الله عليكم و رحمته في الدنيا و الاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم).⁽⁴⁾ فلولا هنا دخلت على المبتدا و احتاجت إلى جواب يكون جملة فعلية والذي وصل بين الشرط و الجزاء هنا هو اللام لتأكيد ارتباطها.

-مواضع الفصل-

قال النحاة ان الجزاء لا يحتاج الى رابط اذا كان يصلح ان يقع شرطا، و نحن في سورة النور كثيرا ما صا دفنا من الشواهد التي لم تحتج جمل الجزاء فيها الى رابط للا سباب التي وضحناها انفا ومن ذلك قوله جل و علا (و اذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا).⁽⁵⁾ فالجزاء هنا جاء فعلا مضارعا منفيًا بـ لم و كذلك قوله (اذا اخرج يده لم يكذب يراها).⁽⁶⁾ وقوله (حتى اذا جاءه لم يجده شيئا).⁽⁷⁾ و (وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين).⁽⁸⁾

(1) - النور 62

(2) - النور 59

(3) - النور 48

(4) - النور 14

(5) - النور 62

(6) - النور 40

(7) - النور 39

(8) - النور 49

و (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله).⁽¹⁾ فالجزاء هنا جاء جملة فعلية فعلها مضارع مجزوم غير مقترن بالفاء ومن امثلة (لولا) قوله تعالى (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا).⁽²⁾ و (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بانفسهم خيرا).⁽³⁾

وإذا كان الجزاء منفيا ب ما تجرد عن اللام غالبا وورد مفصولا عما قبله نحو (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا).⁽⁴⁾

المسائل المشتركة

نود ان نتحدث ههنا عن المناسبة بين الجمل المتعاطفة من جانبيين اولهما توافقهما من حيث الاسمية و الفعلية وثانيهما من حيث الخبرية و الانشائية.

1- المناسبة من جهة الاسمية و الفعلية: لقد لاحظنا ان توافق الجمل وتنا سبها في الاسمية و الفعلية هو الغالب في النصوص.

ومما تناسب في الاسمية قوله تعالى (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا و الآخرة و الله يعلم و انتم لا تعلمون).⁽⁵⁾ وقوله (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم و الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) .⁽⁶⁾ و(ولولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من

(1)-النور 32

(2)-النور 16

(3)-النور 13.

(4)-النور 21

(5)-النور 19

(6)-النور 1

من احد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء).⁽¹⁾ و قوله (الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات والخبيثات للخبيثين و الخبيثون للخبيثات).⁽²⁾ و (و الطير صفت كل قد علم صلاته و تسبيحه و الله عليم بما يفعلون و لله ملك السموات والارض)⁽³⁾ فجملة (ولله ملك السموات..) معطوفة على الجملة الاسمية قبلها و قوله ايضا (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة و الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك).⁽⁴⁾

و مما تنا سب في الفعلية قوله تعالى (و اذا تلقونه بالسنتكم و تقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم و تحسبونه هينا) .⁽⁵⁾ و (ليجزيهم الله احسن ما عملوا و يزيدهم من فضله).⁽⁶⁾ و (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا و وجد الله عنده فوفاه حسابه).⁽⁷⁾ و (الم تر ان الله يجزي سحابات ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عن من يشاء).⁽⁸⁾

(1)-النور 21

(2)-النور 26

(3)- النور 41-42

(4)- النور 03

(5)-النور 15

(6)- النور 38

(7)- النور 39

(8)- النور 43

و قد ترد الجمل المتعاطفة غير متنا سبة فتعطف الاسمية على الفعلية نحو (و عد الله الذين امنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا و من يكفر بعد ذلك فاولئك هم الفا سققون).⁽¹⁾ فجملة (ومن يكفر.) اسمية معطوفة على جملة (و عد الله ..) و نحو(ان الذين يرمون المحصنات الغفلات المومنات لعنوا في الدنيا و لا خرة و لهم عذاب عظيم).⁽²⁾ فجملة (ولهم عذاب عظيم) معطوفة على جملة (لعنوا) و (لقد انزلنا آيات مبينات و الله يهدي من يشاء الى سراط مستقيم).⁽³⁾ فجملة (و الله يهدي) معطوفة على الفعلية قبلها و قوله (و يقلب الله الليل و النهار ان في ذلك لعبرة لا ولي الا بصرار و الله يخلق كل دابة من ماء).⁽⁴⁾

و تعطف الفعلية على الاسمية نحو (و الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكا ذبين و يدروا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله).⁽⁵⁾ فجملة (ويدروا عنها العذاب) معطوفة على الاسمية (و الخامسة ان لعنة الله عليه). و قوله (أفي قلوبهم مرض ام ارتابوا).⁽⁶⁾

(1)-النور 55

(2)- النور 23

(3)- النور 46

(4)-النور 44-45

(5)- النور 7-8

(6)- النور 50

و قد تعطف جملة فعلية على جملة اخرى و يكون فعلا هما مختلفين نحو (و انكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم و اما نكم ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله و الله واسع عليم و ليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) .⁽¹⁾ و قوله (و لا يضربن با رجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن و توبوا الى الله جميعا).⁽²⁾ فجملة (و ليستعفف..) فعلية معطوفة على جملة (وانكحوا..) و كذلك جملة (و توبوا) معطوفة على جملة (ولا يضربن).

2- المناسبة من جهة الخبر و لانشاء : ذهب البلاغيون الى ان الانشاء لا يعطف على الخبر و العكس و حصروا ذلك في الواو خصوصا اما النحاة فمنهم من يجيز ذلك و منهم من يمنعه.

و نحن نقول اننا نكاد لا نجد في حدود السورة التي قرانا ان الواو عطفت جملة انشائية على جملة خبرية او العكس و يمكن ان نثبت شاهدا واحدا في قوله تعالى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض و ما واهم النار).⁽³⁾

الجملة الحالية:

لقد لا حظنا ان كل الجمل الاسمية باستثناء التي خبرها ظرف مقدم على المبتدا التي وقعت احوالا جاءت موصولة بالواو .

(1)- النور 32-33

(2)-النور 31

(3)- النور 57

و من ذلك قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء فان الله غفور رحيم).⁽¹⁾
 فجملة (ولم يكن لهم شهداء) في موقع حال وهي جملة اسمية منسوخة وقوله
 (و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم).⁽²⁾ و (ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك و ما أولئك
 بالمؤمنين).⁽³⁾

و أما الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع فقد وجدنا انها وردت كلها مفصولة كان فعلها
 مثبتا أم منفيا نحو (و ينزل من السماء من جبال من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عنم يشاء يكاد
 سنا برقه يذهب بالا بصار).⁽⁴⁾ و قوله (ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله).⁽⁵⁾ و (ليبدلنهم
 من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا).⁽⁶⁾

و الملاحظ ان الجمل الحالية ذات الفعل المضارع اذا كان قد جاء فعلها مثبتا فصلت عما
 قبلها دون حاجة الى الواو اما اذا كان فعلها منفيا جاز ان تو صل و جاز ان تفصل عما قبلها.
 أما الجمل الاسمية الواقعة حالا فالملاحظ أنها قد جاءت موصولة بما قبلها بالواو إلا أنها
 قد تستغني عنه فتجيء مفصولة عما قبلها ولنا من ذلك شاهد قوله تعالى (الم تر أن الله يسبح له
 من في السموات والأرض و الطير صفت كل قد علم صلاته) .⁽⁷⁾ فجملة (كل قد علم صلاته) جملة
 اسمية في موضع حال و قد جاءت مفصولة عما قبلها مستغنية عن الواو .

(1)- ا لنور 05

(2)-النور 15

(3)- النور 47

(4)- النور 43

(5)- النور 43

(6)- النور 55

(7)- النور 41

الخاتمة

سعيًا في هذا البحث إلى إبراز أمرين، أولهما محاولة إخراج ظاهرة الفصل و الوصل بين الجمل، و التي طالما تحدّث البلاغيّون، خصوصًا، عن مكانتها و دقتها في اللّغة العربيّة، من حيّز الدّراسة النّظرية المحدودة إلى حيّز أرحب و أوسع هو الدّراسة النّطبيقيّة، لنكشف من خلالها مدى سيرورتها في النّصوص العربيّة الفصيحة. و الثاني هو الوقوف على عمل كلّ فريق، من بلاغيّين و نحاة، على اعتبار أنّ علم المعاني هو الجانب المقابل لعلم النّحو، إذ هما، في نظرنا، علمان متكاملان. فعلم المعاني يحيا بالقوانين النّحويّة، و يعيش بها، و يتوخى الوصول إلى معرفة مدى مراعاة المؤلّف تطبيقيًا و احترامها. فما دتّهما واحدة، و نظرتّهما مختلفة.

و نحن نذكر ههنا أهمّ النّتائج التي تمكّنا من استخلاصها بعد أن تمّ لنا الوقوف على ما كنّا نسعى إليه، و بعد أن حصرنا أبعاد هذه الظّاهرة و حدودها عند الفريقين.

أمّا بخصوص عمل البلاغيّين فقد توصلنا إلى مايلي:

1- كان أثر عبد القاهر الجرجانيّ واضحا في وضع حدود هذه الظّاهرة و إعطائها مكانها في الدّرس البلاغيّ. وقد تأثر معظم البلاغيّين، الذين جاءوا بعده، بما كتبه عنها في مؤلّفه (دلائل الإعجاز). و يمكن أن نحصر جهدهم، و خصوصا أبا يعقوب السّكاكيّ، فيما أضافوه إليها من تقسيم و تبويب و ترتيب.

2- ركّز البلاغيّون على الفصل بين الجمل، ولم يهتمّوا بالمفردات، إلا قليل منهم؛ لأنّ فائدة العطف في المفردات تظهر أكثر ممّا هو في الجمل.

3- سار البلاغيّون في اتّجاهين، في أثناء تناولهم للفصل و الوصل، يعتمد بعضهم كعبد القاهر الجرجانيّ و الزّمخشريّ و ابن الأثير على الدّوق في التّحليل، و يعنى بمواطن الجمال، و يتلصق بالنّصوص. و يهتمّ بعضهم الآخر كالسّكاكيّ و القزوينيّ و التّفنّازانيّ بالقاعدة و إيجاد الشّاهد المناسب لها، و لا يعنى بالجوانب الفنيّة للشّاهد أو النّص. فقد لاحظنا أنّ بعض الأقسام عند أصحاب الإِتّجاه الثاني تعوزها الدّقة و الإثراء، من ذلك مثلا ما سمّاه القزوينيّ بالوصل لدفع الإيهام، و جعله قسما من أقسام الوصل بين الجمل، ولم يورد له سوى نموذج واحد.

4- استعان البلاغيّون المتأخرون بعلوم أخرى كالفلسفة في معالجة بعض جوانب الظّاهرة، مثلما فعل السّكاكيّ بخصوص الجامع بين الجمليّتين، إذ قسّمه إلى عقليّ و خياليّ و وهميّ، و تبعه في

ذلك معظم الدّين شرحوا كتابه أو لخصّوا شرحه. وقد انعكس ذلك على طريقتهم في الكتابة، فجاء أسلوبهم معقداً مختلطاً بالمصطلحات البعيدة عن البلاغة.

5- استفاد البلاغيّون في أبحاثهم من الدّراسات النّحوية. فظاهرة الفصل والوصل نفسها تعتمد على أسلوب معروف في النّحو هو العطف. وهناك مصطلحات نحويّة عديدة تردّدت في كتاباتهم كالرفّع والنّصب، والاستئناف، والحمل على المعنى وغير ذلك.

6- لم يحدّد البلاغيّون كل مواضع الفصل والوصل بين الجمل في اللّغة العربيّة، وإنّما ركّزوا على أسلوب واحد هو العطف. ومن ههنا حاولنا أن نضيف ما اعتقدنا أنّه من صميم الفصل والوصل بين الجمل، كأسلوب الشّروط والجزاء، وأسلوب القسم، والجملّة الصّفة، وغير ذلك. أمّا بخصوص عمل النّحويّين فقد توصلنا إلى مايلي:

1- لم يكن للظاهرة عند النّحاة حدود معيّنة، وإنّما جاءت موزعة على أبواب النّحو، أي إنّهم لم يخصّصوا لها باباً قائماً برأسه مثلما فعل البلاغيّون.

2- إنّ تناول النّحاة للظاهرة لم يكن مقصوداً، أي إنّهم لم يشيروا إلى أنّهم سيتناولون جانباً مهماً من اللّغة العربيّة، فبيّنوا مواضعه وحدوده، وذلك بعكس البلاغيّين الذين عالجوها عن قصد، وألحوا على مكانتها وخطورتها في الدّرس البلاغيّ، كما حدّدوا مواطنها، ورسوموا أبعادها.

3- لم يكن لمصطلحي الفصل والوصل نفس المفهوم الذي وجدناه عند البلاغيّين، إذ لم يتعدّ مفهوم الفصل عندهم، مثلاً، الفصل بين المتضايّفين، أو الصّفة والموصوف. وكان الرّبط عندهم يقابل الوصل أحياناً، مثل قولهم: الفاء الرّابطة للجواب.

4- انصبّت عناية النّحاة على الوصل أو العطف بين المفردات والجمل جميعاً، إلا أنّ عنايتهم بالمفردات كانت هي الغالبة. وقد كانوا يركّزون على الجوانب الوظيفيّة في علاقة الجمل بعضها ببعض، أي إنّهم يهتمّون بمواقعها من الإعراب.

هذه هي أهمّ النتائج التي تمّ لنا استخلاصها بعد معاينة التراث النّحويّ والبلاغيّ عند العرب.

وبعد، هذا جهد سنتين من الجدّ والعمل الدّؤوب المضني، قضيتهما متصلاً بمصادر في النّحو والبلاغة واللّغة والتّفسير، ما كان لي عهد بها إطلاقاً. والحقّ أنّي رغم المعاناة والألم والتّعب كنت أشعر بالمتعة العارمة وأنا أكتشف أسرار لغتي، وأقف على دقائقها، وإني

أنتقدّم بهذا العمل خالصا لوجه الله، و أرجو أن يساعدني على خدمة لغة القرآن. و ما توفيقي إلا
بالله.

قائمة المصادر و المراجع i

- 1- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح. الجامع الكبير، تحقيق: مصطفى جواد. ود.جميل سعيد.مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956م.
- 2- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح. المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. تحقيق: محمد محي الدين. مطبعة مصطفى الباني الحلبي بمصر، 1939م.
- 3- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح.الوشي المرقوم في حل المنظوم. مطبعة ثمرات الفنون . 1298.هـ.
- 4- الأحوص، عبد الله بن محمد . الديوان. تحقيق: شوقي ضيف وعادل سليمان جمال. الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر. القاهرة ، 1970م.
- 5-الأخطل، غياث بن غوث .الديوان. تحقيق: د.فخر الدين قباوة . دار الأصمعي. حلب.
- 6-الأخفش ،عبد بن مسعدة .معاني القرآن . تحقيق: د.عبد الأمير محمد أمين الورد. ط1 .عالم الكتب. بيروت.
- 7-الاستربادي ،رضي الدين . شرح الكافية . تحقيق: يوسف حسن عمر. منشورات جامعة بنغازي . قار يونس ليبيا.
- 8-الاسكندري ، أحمد بن المنير.الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال. دار المعارف .بيروت.
- 9-ابن أبي الإصبع ، زكي الدين . بديع القرآن تحقيق حنفي محمد شرف.ط1. مكتبة نهضة مصر بالفضالة، 1975م.
- 10-لأصفهاني، أبو الفرج .-الأغاني دار الثقافة. بيروت،1956م.
- 11-أمير، محمد. حاشية الأمير. دار إحياء الكتب العربية.
- 12- الأنباري ، عبد الرحمان أبو البركات . الإنصاف في مسائل الخلاف . شرح محمد محي الدين عبد الحميد، 1982م.
- 13-الأنباري ، محمد أبو بكر. إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عز وجل. تحقيق : محي الدين عبد الرحمن رمضان بدمشق، 1971م.
- 14- الباقلائي ، محمد أبو بكر .إعجاز القرآن تحقيق : أحمد صقر .دار المعارف بمصر.

- 15- البحتري، الوليد بن عبيد. الديوان. تحقيق : حسن كامل الصيرفي دار المعارف بمصر، 1963م.
- 16- د. بدوي ، طبانة أحمد أحمد. -عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربية . ط2. المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر.
- 17- د. بدوي ، طبانة أحمد أحمد. من بلاغة القرآن . ط2. مكتبة نهضة مصر.
- 18- ابن برد، بشار. الديوان . تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور. مطبعة لجنة التأليف و النشر. القاهرة، 1957م.
- 19- البرقوقي ، عبد الرحمن . شرح ديوان حسان بن ثابت. المطبعة الرحمانية، 1929 م.
- 20- البغدادي، عبد القادر. خزنة الأدب . تحقيق : عبد السلام محمد هارون. دار الكتاب العربي بمصر، 1967م.
- 21- البغدادي، عبد القادر . شرح أبيات مغني اللبيب . تحقيق : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. ط1. دار المأمون للتراث مطبعة زيد بن ثابت بدمشق، 1973م.
- 22- التبريزي ، يحي أبو زكريا . شرح ديوان أبي تمام . تحقيق: محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر.
- 23- التنوخي، عز الدين. تهذيب الإيضاح. مطبعة الجامعة السورية، 1948 م.
- 24- التفتزاني، سعد الدين. مطول على التلخيص. المطبعة العثمانية . اسطنبول، 1904م.
- 25- ثعلب، أبو العباس. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة، 1949م.
- 26- الجاحظ، أبو عمان بن بحر . البيان و التبيين . تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3. مكتبة الخانجي، 1968م.
- 27- الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. تصحيح: محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت، 1982م.
- 28- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق: د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية. ط1، 1983م.
- 29- ابن جندل، سلامة. الديوان تحقيق: د. فخر الدين قباوة. نشر و توزيع المكتبة العربية بدمشق، 1968م.

- 30- ابن جني، عثمان أبو الفتح. التمام في تفسير أشعار هذيل. تحقيق : احمد ناجي القيسي ود. خديجة الحديثي و احمد مطلوب. ط1. مطبعة العاني. بغداد، 1962م.
- 31- ابن جني، عثمان أبو الفتح . الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. مطبعة دار الكتب القاهرة، 1952م.
- 32- الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد العزيز عطار. دار الكتاب العربي بمصر.
- 33- ابن الحاجب ،عثمان أبو عمرو. شرح الوافية نظم الكافية. تحقيق: د.موسى بناي علوان العليلي. مطبعة الآداب في النجف الاشرف، 1980 م.
- 34- د.حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. الدار البيضاء.
- 35- الحموي، شهاب الدين ياقوت. معجم الأدباء. مطبعة دار المأمون .
- 36- الحموي، شهاب الدين ياقوت . معجم البلدان. دار صادر للطباعة و النشر. بيروت، 1957م.
- 37- أبو حيان، أثير الدين محمد. تفسير البحر المحيط. مكتبة النصر الحديثة. الرياض.
- 38- ابن خالويه، الحسين أبو عبد الله . 1941. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم. تحقيق: سالم الكرنكوي. مطبعة دار الكتب المصرية، 1914 م.
- 39- الخفاجي ،عبد الله بن سنان . سر الفصاحة تحقيق: عبد المتعال الصعيدي. مكتبة محمد علي صبيح أولاده. القاهرة، 1953 م.
- 40- ابن خلدون، عبد الرحمن .المقدمة دار العودة بيروت.
- 41- خلف الله، محمد. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. دار المعارف بمصر.
- 42- الخولي، أمين. فن القول. دار الفكر العربي. القاهرة ، 1947 م.
- 43- د. دك الباب، جعفر. الموجز في شرح دلائل الإعجاز في المعاني. ط1. دار الجليل. بيروت.
- 44- الرازي ، محمد أبو الفضل فخر الدين . التفسير الكبير. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط1 المطبعة المصرية، 1933. م
- 45- ابن رشيقي، الحسن أبو علي. العمدة في محاسن الشعر و آدابه و تقده. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط1. مطبعة السعادة، 1957م.
- 46- الرماني، علي أبو الحسن. معاني الحروف. تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. دار نهضة مصر للطباعة و النشر. القاهرة.
- 47- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي. الديوان. ط1. كمبريج ، 1919م.

- 48- ابن الرومي ، علي أبو الحسن. الديوان تحقيق: د.حسين نصار. مطبعة دار الكتب ،1973م.
- 49- الزجاج، إبراهيم أبو إسحاق. إعراب القرآن. تحقيق: إبراهيم الأبياري. المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، 1965م.
- 50- الزجاجي، عبدا لرحمن أبو القاسم. الجمل في النحو. تحقيق: علي توفيق الحمد. ط1. مؤسسة الرسالة بيروت ودار الأمل اربد، 1984م.
- 51- الزجاجي، عبدا لرحمن أبو القاسم. اللامات. تحقيق: د.مازن المبارك المطبعة الهاشمية بدمشق، 1969م.
- 52- الزمخشري، محمود أبو القاسم. الكشاف. دار المعارف. بيروت.
- 53- الزمخشري، محمود أبو القاسم. المفصل في علم العربية. ط1. مطبعة التقدم. مصر، 1323هـ.
- 54- الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن. تحقيق: د أحمد مطلوب و د خديجة الحديثي. ط1. مطبعة العاني. بغداد، 1974م.
- 55- الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن. تحقيق: د.أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي. ط1. مطبعة العاني. بغداد، 1974م.
- 56- الزين، احمد . ديوان الهذليين. ط1 . مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة، 1945م.
- 57-السكاكي ، يوسف أبو يعقوب . مفتاح العلوم .ط1. المطبعة الأدبية بمصر.
- 58- السكري، الحسن أبو سعيد . شرح أشعار الهذليين. تحقيق: عبد الستار فراج .مكتبة دار العروبة .القاهرة.
- 59- السكري، الحسن أبو سعيد . شرح ديوان كعب بن زهير .ط1. مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1950 م.
- 60- ابن السكيت، يعقوب . إصلاح المنطق. تحقيق: احمد محمد شاكر و عبد السلام هارون. ط2. دار المعارف بمصر، 1956م.
- 61- ابن السكيت، يعقوب. شرح ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: د شكري فيصل دار الفكر، 1961م.
- 62- د سلوم، تامر. نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي. ط1. دار الحوار اللاذقية، 1983م.
- 63- سيبويه، عمرو بن عثمان أبو بشر. الكتاب . تحقيق: عبد السلام محمد هارون. عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع. بيروت.

- 64- السيرافي، يوسف أبو محمد. شرح أبيات سيبويه . تحقيق: د محمد علي سلطاني . مطبعة الحجاز. دمشق، 1976م.
- 65- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن . الإتقان في علوم القرآن. ط3. مطبعة مصطفى الباني . مصر، 1951م.
- 66- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الأشباه و النظائر في النحو، تحقيق: عبد الإله نبهان و جماعة. ط3. مطبوعات المجمع اللغوي. دمشق، 1987م.
- 67- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. بغية الوعاة في طبقة اللغويين و النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي. مصر ، 1965م.
- 68- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن . حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة. 1327هـ.
- 69- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. همع الهوا مع. تصحيح محمد بدر الدين النعساني . دار المعرفة للطباعة و النشر. بيروت.
- 70- الشافعي، محمد بن إدريس. الديوان. تحقيق: زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت، 1961م.
- 71- ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات . الامالي دار المعارف العثمانية، 1349م.
- 72- د الشرقاوي، عفت . بلاغة العطف في القرآن. دار النهضة العربية للطباعة و النشر . بيروت، 1981م.
- 73- د الصالح، صبحي. مباحث في علوم القرآن. ط. دار العلم للملايين . بيروت، 1982م.
- 74- الصاوي ، محمد إسماعيل . شرح ديوا جرير. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.
- 75- أبو صخر، كثير بن عبد الرحمن. الديوان. جمعه: د. إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ، 1971م.
- 76- ابن أبي، الصلت أمية . الديوان تحقيق: د . عبد الحفيظ السطلي . المطبعة التعاونية بدمشق، 1973
- 77- د. ضيف، شوقي. البلاغة تطور و تاريخ. دار المعارف مصر ، 1965
- 78- د. ضيف، شوقي. في النقد الأدبي. دار المعارف بمصر، 1962
- 79- د. ضيف، شوقي. المدارس النحوية. ط2. دار المعارف بمصر، 1972
- 80- طاش كبري، زادة أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوع العلوم . تحقيق: كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديثة مطبعة الاستقلال . مصر.

- 81- د. طبانة، بدوي . البيان العربي. ط5 . دار العودة بيروت، 1972م.
- 82- الطبري، محمد أبو جعفر. تاريخ الرسل و الملوك. تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. دار المعارف بمصر.
- 83- د. عباس، إحسان. شرح ديوان لبيد. مطبعة حكومة الكويت، 1962م.
- 84- د. عباس، إحسان . شعر الخوارج. دار الثقافة. بيروت.
- 85- عبد الحميد، محمد محي الدين . شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة. ط2. دار الأندلس، 1983م.
- 86- د. عبد الرحمن، عائشة بنت الشاطئ . التفسير البياني للقران الكريم. ط5. دار المعارف مصر.
- 87- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى . مجاز القران . تحقيق: نحمد فؤاد سزكين. ط2. مؤسسة الرسالة . بيروت، 1981م.
- 88- العسكري، أبو هلال. كتاب الصناعتين الكتابية و الشعر. ط1.
- 89- العقاد، عباس محمود. مراجعات في الآداب و الفنون . ط1. دار الكتاب العربي . بيروت، 1966م
- 90- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله .شرح ابن عقيل بشرح محمد محي الدين عبد الحميد . ط2.
- 91- العلوي، بحي بن حمزة.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز. مطبعة المقتطف مصر، 1914م
- 92- ابن فارس، أحمد أبو الحسن .الصاحبي في فقه اللغة. تحقيق : مصطفى الشويمي . مؤسسة أ . بدران للطباعة و النشر. بيروت، 1963م.
- 93- الفارسي، أبو علي .الإيضاح العضدي. تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود. ط1 .مطبعة دار التأليف. مصر، 1969م.
- 94- الفراء، يحي بن زكرياء.معاني القرآن. تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي . ط2، 1980،
- 95- الفرزدق.غالب بن همام .الديوان. تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي. ط2 .مطبعة الصاوي 1936،
- 96- الفحل، علقمة.الديوان. تحقيق: لطفي الصقال و درية الخطيب. ط1.دار الكتاب العربي .حلب، 1969م.
- 97- القالي، إسماعيل أبو علي. الامالي.مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1926م.

- 98- الفالي، إسماعيل أبو علي. ذيل الامالي. ط1. المطبعة الكبرى الأميرية بولاق. مصر، 1324هـ.
- 99- د.قباوة، فخر الدين. إعراب الجمل. ط1. دار الأصمعي حلب ، 1982م.
- 100- ابن قتيبة، عبد الله أبو محمد. تأويل مشكل القرآن. تحقيق: احمد صقر. دار إحياء الكتب العربية .
- 101- ابن قتيبة، عبد الله أبو محمد. عيون الأخبار. المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر.
- 102- القز ويني، جلال الدين محمد. الإيضاح. مطبعة محمد علي صبيح و أولاده. مصر.
- 103- القز ويني، جلال الدين محمد. التلخيص في علوم البلاغة. شرح :عبد الرحمن البرقوقي. المكتبة التجارية الكبرى. مصر.
- 104- امرؤ القيس، حندج بن حجر. الديوان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.
- 105- القيسي، مكّي بن ابي طالب. مشكل إعراب القرآن. تحقيق: ياسين محمد السواس . ط2. دار المأمون للتراث.
- 106- ابن قيم الجوزية، محمد بن شمس الدين . كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان. ط1. مطبعة السعادة .
- 107- الكتبي، محمد بن شاكر. فوات الوفيات. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ، 1951م.
- 108- المالقي، احمد بن عبد النور. رصف المباني في شرح حروف المعاني. تحقيق: احمد محمد الخراط. مطبعة زيد بن ثابت بدمشق، 1975م.
- 109- ابن مالك، محمد جمال الدين. تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد. تحقيق: محمد كامل. دار الكتاب العربي للطباعة و النشر بمصر، 1967م.
- 110- ابن مالك، محمد جمال الدين. شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مكتبة دار العروبة. القاهرة.
- 111- المبرد، محمد أبو العباس. الكامل في اللغة و الأدب . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و السيد شحاتة. دار نهضة بمصر.
- 112- المبرد، محمد أبو العباس. المقتضب. تحقيق: عبد الخالق عظيمة عالم الكتب. بيروت
- 113- المخزومي، مهدي. في النحو العربي نقد و توجيه. ط1. منشورات المكتبة المصرية صيدا . بيروت، 1964م.

- 114- المرادي، الحسن بن قاسم. الجني الداني في حروف المعاني. تحقيق: د. فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل. ط2. دار الآفاق الجديدة . بيروت، 1983 م.
- 115- المرزوقي، احمد أبو علي. شرح ديوان الحماسة. تحقيق: احمد أمين و عبد السلام محمد هارون. مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر بمصر، 1951م.
- 116- مصطفى، إبراهيم. إحياء النحو. مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1937م.
- 117- د.مطلوب، احمد. البلاغة عند السكاكي. ط1. منشورات مكتبة النهضة. بغداد، 1964م.
- 118- د.مطلوب، احمد. القزويني و شروح التلخيص. ط1. منشورات مكتبة النهضة . بغداد، 1967م.
- 119- ابن المعتز، عبد الله. كتاب البديع. نشره المستشرق أغناطيوس كراتشوفسكي.
- 120- ابن معمر، جميل. الديوان. تحقيق: د.حسين نصار. دار مصر للطباعة.
- 121- د.أبو المكارم، علي.-أصول التفكير النحوي. مطابع دار القلم. بيروت، 1973م.
- 122- د.الملا، حويش عمر. نصوص النظرية البلاغية. مطبعة الأمة. بغداد، 1977م.
- 123- د.مندور، محمد. -في الميزان الجديد. مكتبة نهضة مصر و مطبعتها الفجالة بمصر
- 124- ابن منظور، محمد جمال الدين.لسان العرب. دار صادر. بيروت، 1956م.
- 125- الميداني، أبو الفضل.-مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار المعرفة . بيروت، 1955م.
- 126- ابن الناظم، محمد بدر الدين.-المصباح في علم المعاني و البيان و البديع. ط1. المطبعة الخيرية، 1302هـ.
- 127- ابن النديم. الفهرست. مكتبة خياط. بيروت.
- 128- أبو نواس، الحسن بن هانئ.-الديوان. تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي. مطبعة مصر. القاهرة، 1953م.
- 129- الهروي ، علي بن محمد.-الأزهرية في علم الحروف. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1971م.
- 130- ابن هشام، عبد الله أبو محمد. الإعراب عن قواعد الإعراب. تحقيق: رشيد عبد الرحمن العبيطي. ط1. دار الفكر، 1970م.
- 131- ابن هشام، عبد الله أبو محمد. أوضح المسالك. ط2. مطبعة السعادة مصر، 1949م.
- 132- ابن هشام، عبد الله أبو محمد. شذور الذهب . تهذيب: محمد محي الدين عبد الحميد

- 133- ابن هشام، عبد الله أبو محمد. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب. تحقيق: د.مازن المبارك
ومحمد علي حمد الله. ط2. دار الفكر، 1969م.
- 134- الهمداني، بديع الزمان أبو الفضل. المقامات. شرح: محمد عبده. ط2. الدار المتحدة للطباعة
و النشر و التوزيع. بيروت، 1983م.
- 135- ابن الوردة عروة. الديوان. دار بيروت للطباعة و النشر، 1964م.
- 136- و نسك، ا.ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، 1967م.
- 137- ابن وهب، إسحاق أبو الحسين. البرهان في وجوه البيان. تحقيق: د.احمد مطلوب
و.د.خديجة الحديثي. العراق، 1967م.
- 138- اليازجي، ناصف. شرح ديوان المتنبي. دار صادر. بيروت، 1964م.
- 139- ابن يعيش، موفق الدين. يعيش شرح المفصل. مكتبة المتنبي. القاهرة.

p المراجع باللغة الأجنبية i

- Guiraud pierre ,1954- la stylistique, édition que sais –je ? Presse
Universitaire de France, paris.

52-45.....	معاني الحروف العاطفة
48-46.....	1- عند الزمخشري
50-48.....	2- عند ابن الأثير
52-50.....	3- عند الزمكاني
60-52.....	الجامع بين الجملتين المعطوفتين
56-55.....	1- الجامع العقلي
57-56.....	2- الجامع الوهمي
60-57.....	3- الجامع الخيالي
65-61.....	مواطن الوصل بين الجمل :
65-61.....	1- التوسط بين الحالتين
61.....	أ- عطف الخبر على الخبر
61.....	ب- عطف الإنشاء على الإنشاء
62-61.....	ج- عطف الإنشاء معنى على الإنشاء لفظا
63.....	د- عطف الخبر معنى على الخبر لفظا
65-63.....	هـ- ما يوهم أنه من عطف الإنشاء على الخبر أو العكس.....
65.....	2 - الوصل لدفع الإيهام
67-65.....	الجملة المعطوفة على جملة و بينهما جملة أو أكثر
70-68.....	محسنات الوصل:
83-70.....	الجملة الحالية
73-70.....	الجملة الاسمية
71-70.....	1- المبتدأ و الخبر
71.....	2 - المبتدأ ضمير منفصل
72-71.....	3- الخبر ظرف مقدم
73-72.....	4- مجيء الاسمية بدون واو
79-74.....	الجملة الفعلية
76-74.....	1- ذات الفعل المضارع
79-76.....	2 - ذات الفعل الماضي
83-80.....	أسباب المجيء بالواو أو الاستغناء عنها
153-84.....	الفصل الثاني: الفصل والوصل عند النحاة

97-84.....	أسلوب العطف
94-85.....	الأدوات
89-86.....	1-أم
87-86.....	أ-أم المتصلة
88-87.....	ب-أم المنقطعة
89-88.....	ج-أم العاطفة للجمل
89.....	2-أو
90-89.....	3-بل
91-90.....	4-ثم
91-90.....	أ-ثم العاطفة للجمل
92-91.....	5-حتى
92.....	6-الفاء
92.....	7-لكن
94-93.....	8-الواو
94-93.....	أ- الواو العاطفة للجمل
97-94.....	التناسب بين الجمل المتعاطفة:
95-94.....	1-عطف الجملة الاسمية على الفعلية أو العكس
97-95.....	2-عطف الجملة الخبرية على الإنشائية أو العكس
99-97.....	الجملة المفسرة
98-97.....	المقترنة بحرف التفسير
98-97.....	1- أن
98.....	2- أي
99-98.....	المجردة من حرف التفسير
109-99.....	الجملة الاستئنافية
109-101.....	الاستئناف بالأدوات
101.....	1-أو
102.....	2- بل
103.....	3-ثم
106-104.....	4- حتى

107-106.....	5-الفاء
107.....	6-لكن
109-108.....	7- الواو
109.....	الاستئناف بدون أدوات
118-112.....	الجملة الحالية
.114-113.....	الجملة الاسمية
114.....	الجملة الفعلية
.116-114.....	1-الجملة ذات الفعل المضارع
118-116.....	2-الجملة ذات الفعل الماضي
120-118.....	الجملة الواقعة صفة
135-120.....	أسلوب الشرط و الجزاء
.134-120.....	أسلوب الشرط و الجزاء بالأدوات
127-121	1-مواضع الوصل
129-127	2-مواضع الفصل
134-129	3- ما يلحق بأدوات الشرط
130-129.....	أ-إذا
131.....	ب-أما
.132.....	ج- لما
.133.....	د-لو
.134.....	هـ لولا ولوما
135-134.....	أسلوب الشرط و الجزاء بدون أدوات
214-136.....	الموازنة و التطبيق
185-136.....	الموازنة
150-137.....	طريقة البلاغيين في الدراسة
144-138.....	خصائص مدرسة عبد القاهر الجرجاني
139-138	1- عدم الاهتمام بالتقعيد
140-139	2-الابتعاد عن الفلسفة و الجدل
142-140	3-الاعتماد على الذوق
144-142	4- استعمال الأساليب البسيطة في التعبير

150-144 خصائص مدرسة السكاكيّ
145-144 1- الاعتناء بوضع القواعد
146 2- الاعتماد على الفلسفة و الجدل
148-147 3- عدم العناية بأسلوب الكتابة
150-148 4- الإقلال من الشواهد
159-150 طريقة النّحاة في الدراسة
152-151 1- عرض القاعدة أوّلا
156-153 2- الخلاف
158-157 3- التّأويل
159 4- الاكتفاء بشاهد أو شاهدين في وضع القاعدة
163-160 تأثير البلاغيين بالدراسات النّحوية
175-163 جوانب التمايز بين البلاغيين و النّحاة في الدراسة
165-164 1- المصطلح
167-165 2- حدود الظاهرة
169-167 3- بين الجمل و المفردات
170-169 4- الاستئناف
170 5- التّناسب بين الجمل المتعاطفة
175-171 6- الجملة الحاليّة
185-175 إضافات البلاغيين
176-175 1- فكرة الجامع
181-176 2- المعاني النّحوية
185-181 3- النّواحي الجماليّة
214-186 التطبيق
198-186 الفصل و الوصل عند البلاغيين
192-186 مواطن الفصل بين الجمل
187-186 1- القطع
188 2- الاستئناف
190-189 3- كمال الاتّصال
190 4- كمال الانقطاع

190.....	5- اختلاف الجملتين خبرا و إنشاء
192-191.....	6 -انعدام المناسبة
194-193.....	مواطن الوصل بين الجمل
193.....	1- عطف الإنشاء على الإنشاء و الخبر على الخبر
193.....	2-الوصل لدفع الإيهام
194.....	3- عطف جملة على جملة و بينهما جملة أو أكثر
198-194.....	أساليب أخرى للفصل و الوصل
195.....	1- أسلوب القسم
195-195.....	2- الجملة الصفة
197.....	3-قد
197.....	4-لام الربط
197.....	5- الاستفهام
198-197.....	6-لفظ(قل)
210-198.....	الفصل و الوصل عند النحاة
205-198.....	أسلوب العطف
200-199.....	1 -أو
200.....	أ-الإباحة
200.....	ب-الجمع المطلق
200.....	ج-تبيين النوع
201-200.....	2-بل
201.....	3-ثم
202-201.....	4-حتى
203-202.....	5-الفاء
202.....	أ-التعقيب و الترتيب
203.....	ب-الفاء الزائدة
203.....	ج-الفاء الرابطة للجواب
205-203.....	6- الواو
207-206.....	أسلوب الاستئناف

208-210.....	أسلوب الشرط والجزاء
208.....	1-مواضع الوصل
.210-209.....	2--مواضع الفصل
213-210.....	المسائل المشتركة
212-210.....	1-مناسبة من جهة الاسمية و الفعلية
213.....	2 -المناسبة من جهة الخبر و لانشاء
.214-213.....	الجملة الحالية:
217-215.....	الخاتمة
227-218.....	قائمة المصادرو المراجع
234-228.....	الفهرس